جامعة بنغازي

# مجلة
# كلية الآداب

١٣٩٤ هـ

١٩٧٤ م

العدد السادس

عيسى يوسف اللبوني

مجلة

# كلية الآداب

منشورات جامعة بنغازي
كلية الآداب

# مجلة كلية الآداب



العدد السادس

١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م

# مجلة كلية الآداب

مجلة علمية ثقافية تصدرها سنوياً كلية الآداب بجامعة بنغازي ولا تعبر الآراء التي تنشر بالمجلة الا عن رأي أصحابها ولا تمثل وجهات نظر هيئة التحرير أو الكلية .



جميع المراسلات ومواد التحرير ترسل الى :

**أمين تحرير المجلة**

**كلية الآداب / جامعة بنغازي**

**الجمهورية العربية الليبية**

**الثمن للنسخة ٦٠٠ درهم ليبي او ما يعادلها**

# الفهرس

صفحة

## البحوث

صفحة

## المقـالات



## آراء وأنبـــاء

# البحوث

# حفريات قسم الآثار
# اكتشافات جديدة لمقابر من العصر الروماني
# في منطقة سيدي حسين - بنغازي

الدكتور أحمد حسن غزال

استاذ الآثار اليونانية الرومانية المساعد
كلية الآداب – جامعة بنغازي

كلية الآداب – ٢

## إكتشافات جديدة لمقابر من العصر الروماني في منطقة سيدي حسين — بنغازي

## التقرير رقم ١

جاء اكتشاف هذه المقابر ، في الفترة من ١١/٢٤ إلى ١٩٧٣/١٢/١٢ م ، عندما شرعت المؤسسة العامة للكهرباء لتقوية التيار الكهربائي بمنطقة سيدي حسين ، على أثر ثقب في سقف صخري أحدثه حفار الضغط الهوائي أثناء حفر الأرض لمد أسلاك كهربائية تخرج من محطة التقوية القائمة في المنطقة الحالية التي كانت تشغلها من قبل الجبانة الإسلامية ، ثم نقلت أخيراً إلى جبانة السلماني الجديدة شرقي المدينة ، وهذه المنطقة الحالية تمثل على ما يبدو الجزء الجنوبي لأحد التلال الصخرية الرئيسية الذي كان يمتد إلى الجنوب والشرق من مدينة برينيكي القديمة (١) .

والاكتشافات الأثرية الجديدة تلقي الضوء على وجهة نظر المرحوم جود

---

(١) لقد قدم الأخوة علي سالم لترك ، ومسعود شقلوف من مراقبة آثار بنغازي المساعدات اللازمة والتعاون المثمر ، وذلك مساهمة من مصلحة الآثار في إعطاء فرصة لتدريب طلاب قسم الآثار بجامعة بنغازي ، وكان لتعاونهما الأثر الفعال في نجاح مهمة بعثة الجامعة التي كشفت عن آثار المنطقة . وقد أجريت هذه الحفريات بغية تدريب طلاب قسم الآثار تحت إشراف أعضاء هيئة التدريس بالقسم فقد عاونني الدكتور سامي شنوده وقدم بعض الملاحظات أثناء الحفرية ، وكذلك الدكتور توفيق سليمان فقد لازمني طوال العمل بالمنطقة وعاونني في تصوير المقابر وبعض المخلفات الأثرية في أثناء الكشف عنها ، فلهم جميعاً جزيل شكري وتقديري .

تشايلد ، الذي ذكر أن أفضل الآثار الباقية لمدينة برينيكي القديمة يحتمل وجودها تحت الجبانات الإسلامية في منطقتي سيدي حسين وسيدي خريبيش[٢] التي تقع عند الطرف الشمالي الشرقي للمدينة ، واستشهد على وجهة نظره بالمقابر التي اكتشفت عام ١٩١٣ في شارع المفلوقة إلى الجنوب من منطقة سيدي حسين ، والمقابر التي اكتشفت عام ٣٣– ١٩٣٤ في أثناء تشييد إحدى العمارات السكنية المجاورة لجبانة سيدي حسين وتقع تقريباً في مواجهة محطة السكة الحديدية[٣] . هذا كل ما توافر من أدلة سابقة تفيد بوجود آثار حول منطقة سيدي حسين ، ثم جاءت الاكتشافات الجديدة بالإضافة إلى الاكتشافات القديمة بجوار المنطقة لتؤكد جميعها أن هذا التل الصخري قد استخدم لنحت مقابر إحدى الجبانات الأساسية في العصر الروماني وربما منذ نهاية العصر الهلنستي بعد تأسيس مدينة برينيكي القديمة .

وبرينيكي (Berenike) هو الاسم الجديد للمدينة بعد مدينة يوهسبريديس (Euhesperides) التي أسسها المهاجرون الإغريق من قوريني أو برقة في الربع الأخير من القرن السادس وقبل ٥١٥ ق.م على الطرف الشمالي لسبخة السلماني ، وموقعها الحالي جبانة سيدى عبيد القديمة[٤] . وكانت سبخة السلماني

(٢) تقوم جمعية الدراسات الليبية بلندن (The Society for Libyan Studies at London) بالتعاون مع مراقبة آثار بنغازي بإجراء سلسلة من الحفريات الناجحة بسيدي خريبيش ابتداء من عام ١٩٦٩ وتنشر نتائجها الأولية على التوالي في التقارير السنوية للجمعية (انظر التقارير ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ التي صدرت حتى الآن) .
The Annual Reports of the Society, Nos. 1 (·969-70), 2 (1970-71), 3 (1971-72), 4 (1972-73).

(3) R.G. Goodchild, Benghazi, the Storey of a City (2nd ed. 1962), p. 11.
أزيلت محطة السكة الحديدية من موقعها ، وكانت تقع بجوار مدرسة شهداء يناير الثانوية الحالية.

(4) G.B.D. Jones and J.H. Little, « Coastal Settlement in Cyrenaica », J.R.S., Vol. LXI (1971), pp. 65-66.
كان هيرودوت أول من ذكر مدينة يوهسبريديس في معرض الحديث عن موطن قبائل الأوسخيساي (Auschisae) ثم عن الحملة التي أرسلها أرياندس (Aryandes) الوالي =

تشكل مستنقعاً يسمح باستخدام السفن الشراعية ، ويتصل مباشرة بما كان يسمى حتى وقت قريب بالميناء الداخلي لبنغازي ثم بالبحر [٥] . وقد هجرت مدينة يوهسبريديس مع منتصف القرن الثالث ق.م إلى موقع جديد بالقرب من البحر على شريط صخري (Pseudopenias) يبرز بين البحر وسبخة السلماني[٦] ، إلى الغرب من المدينة السابقة بمسافة ميلين تقريباً . ويرى جود تشايلد أن اختيار الموقع الجديد كان لتيسير الاتصال بالبحر حيث أخذ مستنقع السلماني يجف تدريجياً وأصبح من الصعب استخدامه للملاحة في الوقت الذي شرع فيه في نقل المدينة إلى موقعها الجديد [٧] .

ويتفق الباحثون على أن تسمية المدينة باسم برينيكي ، إبنة ماجاس حاكم

---

الفارسي على مصر للانتقام من مدينة برقة بعد مقتل أركسيلاوس الثالث في تلك المدينة ، ويذكر هيرودوت أن هذه الحملة الفارسية تقدمت حتى يوهسبريدس ( Herod., IV, 204, 1 — انظر ايضاً ابراهيم نصحي انشاء مقبرتين وشقيقاتها ، منشورات الجامعة الليبية (١٩٧٠ ) ص ، ١١٠ ) . وتشير المراجع التي ناقشت تأسيس يوهسبريديس عادة إلى أن المؤسسين الأوائل للمدينة جاؤا من قوريني أو برقة ، ولكن الدكتور ابراهيم نصحي بعد دراسة وافية قدمها في بحث عن « أركسيلاوس الثالث » يرى أن هذا الملك هو الذي أسس المدينة قبل أن يلقى مصرعه في برقة لكي يتخذ منها آداة يخضع بها برقة لنفوذه ثم لتدعيم سيطرته على غرب قوريناية ( ابراهيم نصحي ، « اركسيلاوس الثالث » أعمال مؤتمر ليبيا عبر العصور ١٦ — ٢٣ مارس ١٩٦٨ ، صفحات ٧٠ — ٧١ ، النص الانجليزي ) . وقد اعتلى هذا الملك العرش حوالى ٥٢٧ ق.م. وبعد صراع مع الأرستقراطيين في قوريني فر إلى جزيرة ساموس ثم عاد ليعتلي العرش عام ٥٢٥ ق .م ، وفي فترة نشاطه هذا فتح برقة وأساء معاملة أهلها الذين قتلوه حوالى بداية عام ٥١٩ ق .م. ثم أتت الحملة الفارسية للانتقام من أهل برقة بعد ذلك باشهر قليلة أي حوالى ٥١٩ — ٥١٨ ق.م، ويستنتج من ذلك أن يوهسبريديس بوصفها مدينة قد أنشئت فيما بين عام ٥٢٥ وحوالى ٥١٩ — ٥١٨ ق.م ، وأن أركسيلاوس الثالث هو الذي أنشأ المدينة ( انظر : ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ، صفحات ١١٠ — ١١٥ ) .

(5) R.G. Goodchild, op. cit., p. 1.

(6) Strabo, 17, 3, 20; Solinus, C. 23; R.G. Goodchild ,op. cit., p. 8.

(7) R.G. Goodchild, op. cit., p. 1.

انظر أيضاً الدكتور ابراهيم نصحي ، إنشاء قوريني وشقيقاتها ( منشورات الجامعة الليبية ١٩٧٠ ) ص ، ١١٩ .

قورينايئة وزوجة بطلميوس الثالث ، إنما جاء بعد ارتقائها عرش مصر مع زوجها، ويتضح من وثيقة عثر عليها في مصر أن بطلميوس ارتقى العرش في ٢٧ يناير ٢٤٦ ق.م. [٨] . وتدل المخلفات الأثرية على أن موقع المدينة يشغل حالياً وسط مدينة بنغازي على الجانب الغربي لسبخة السلماني ويمتد في الاتجاه الشمالي الشرقي حتى « الفندق » ومن المنارة في الاتجاه الجنوبي الشرقي حتى الملعب الرياضي ( الاستاد ) [٩] .

وفي العصر الروماني ، الذي بدأ حوالى ٧٥ ق.م ، شهدت برينيكي كسائر مدن قورينايئة بعض المباني العامة الجديدة، ويرى جود تشايلد أن اتساع حدود المدينة في ذلك العصر غير مؤكد [١٠] ، ولكن السنوات الأخيرة شهدت مزيداً من لاكتشافات الأثرية في سيدي خريبيش ، والسلماني الشرقي [١١] ، والسلماني الأوسط [١٢] ، وكذلك في منطقة سيدي حسين التي نحن بصدد دراستها ، وكلها مناطق أثرية رومانية كما تدل طبيعة الموجودات الأثرية التي اكتشفت فيها ، ومن المؤكد أنها ستلقى مزيداً من الضوء على حدود المدينة في هذه الفترة بعد دراستها .

---

(٨) ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ، ص ، ١٢٠ ، ملاحظة رقم ٢٣٦ .

(9) R.G. Goodchild, op. cit., p. 9.

ويعني جود تشايلد بكلمة « الاستاد » الملعب البلدي القديم الذي كان بجوار « الفندق » وشمالي ضريح عمر المختار .

(10) R.G. Goodchild, op. cit., p. 12.

(١١) كشفت مراقبة آثار بنغازي عن مقابر رومانية في هذه المنطقة عام ١٩٦٩ ولم تنشر بعد، وتعرض الموجودات الأثرية بمتحف بنغازي .

(١٢) كشفت مراقبة الآثار ببنغازي بالاشتراك مع جمعية الدراسات الليبية بلندن عن مجموعة من المقابر الهلنستية الرومانية عام ١٩٧٢ ولم تنشر بعد . وتعرض الموجودات الأثرية بمتحف بنغازي .

وقد سمح لي مشكوراً الأستاذ مسعود شقلوف مراقب آثار بنغازي بالإشارة إلى هذه الموجودات الأثرية .

وقد شهدت برينيكي جالية يهودية كبيرة ، كشف من مخلفاتها الأثرية نقشان ، همـــا الآن في فرنسا ، ويشيران إلى مسرح دائري (Amphitheater) في المدينة ، ويسجل أحد النقشين (٢٥م) إهداء تقدير خاص من الجالية اليهودية للبروقنصل ماركوس تيتيوس سكستوس (Marcns Tittus Sextus) لحكمه العادل الخير[١٣] . وفي ذلك التاريخ رأس هذه الجالية تسعة أراخنة(Archons) وواضح أنها كانت منفصلة عن المواطنين الأساسيين لبرينيكي وتعيش حياتها الخاصة [١٤] . وعثر ايضاً على لوحة من المرمر عام ١٩٤٠ في أثناء إرساء أساس مبنى قصر ماجانزا في شارع عمر المختار ، عليها نقش يشير أيضاً إلى نشاط يهود برينيكي حيث يسجل ما يفيد بترميم المعبد اليهودي (Synagogue) بالمدينة عـــام ٥٦ م [١٥] . وتجلو هذه النقوش التقدم الإقتصادي الذي حققته الجالية اليهودية ، غير أن المدينة كسائر مدن قوريناثة قد تعرضت أيضاً لتخريب اليهود إبان ثورتهم ضد الرومان ( ١١٥ — ١١٦ م ) . ثم شيدت مدينة أخرى إبان حكم هادريان باسم هادريانوبوليس (Hadrianopolis) على بعد أربعين كيلومتراً من بنغـــازي في طريق توكره ، ولكن برينيكي استعادت نشاطها وظلت مزدهرة حتى نهاية العصر الروماني [١٦] .

---

(13) R.G. Goodchild, op. cit., pp. 11-12.

وحول وضع اليهود في برينيكي انظر : مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، ( منشورات الجامعة الليبية ١٩٦٦ ) ، صفحات ، ١٨٨ — ١٩٠ ، وقد قدم دراسة وافية لهذه النقوش . وقد أعطى الدكتور مصطفى كمال عبد العليم ، استاذ التاريخ القديم بالكلية ، اهتماماً كبيراً لموضوع اليهود في برقة ، وأضاف بعمله مرجعاً قيماً للمكتبة العربية عن تاريخ ليبيا القديم ، وكثيراً ما عاونني وشجعني على كتابة هذا التقرير ، فله كل تقديري .

(14) R.G. Goodchild, op. cit., p. 12.

(15) R.G. Goodchild, op. cit., p. 12.

ويقصد جود تشايلد بـ « Palazzo Maganza » قصر ماجانزا بجوار سوق الحوت . وحول هذا النقش انظر أيضاً مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، صفحة ١٩٠ والمراجع .

(16) R.G. Goodchild, op. cit., p. 12.

وسوف أتناول في الصفحات التالية الجزء الذي كشفت عنه الحفريات بالدراسة ويشمل مقبرتين من هذه الجبانة المهمة ، حيث أتعرض بالتفصيل لعمارة هذه المقابر والمخلفات الأثرية التي وجدت فيها وتحفظ الآن في متحف مدينة بنغازي. وسأعتمد في تأريخها على المقارنة بالموجودات الأثرية المعاصرة لها والتي اكتشفت في أماكن أخرى سواء في ليبيا أو خارجها . ومع ذلك فسوف يتبع هذه الدراسة دراسة أخرى عندما يتم الكشف عن المنطقة بأكملها حيث تتوافر الأدلة الكافية لتقديم المزيد من الدراسة العلمية الوافية .

## المقبرة الأولى

### التخطيط المعماري ( شكل ١ )

أبلغ مراقب آثار بنغازي حال العثور على المقبرة وجاء إليها وحمل إلى المتحف بعض الجرار المكسورة الظاهرة في أركان المقبرة وتابوتاً صغيراً من الحجر الجيري . وفي اليوم التالي ١٩٧٣/١١/٢٤ بدأت بدراسة الموقع ثم تنظيف المقبرة والوقوف على تخطيطها . وقد أمكن تحديد اتجاه المدخل نحو الشمال الشرقي خارج المقبرة ( اللوحة ١—١)، ثم عمل مجس في هذا الاتجاه، وبعد إزالة الأتربة كشف عن سلم متدرج من ثماني درجات منحوتة في الصخر ( اللوحة ٢ — ١ ) تنتهي بأرضية مستطيلة تقوم عليها لوحة حجرية سميكة مستطيلة الشكل تغلق مدخل المقبرة ( اللوحة ٢ — ٢ ) .

وكانت الرمال تملأ ردهة المقبرة حتى ثلثي ارتفاعها خلف المدخل ، حيث يتدرج ارتفاع الرمال في الهبوط حتى ثلث ارتفاع الردهة أمام الحجرات الخلفية ، ويبدو أن هذه الرمال قد تسربت من أعلى المدخل مع مرور الزمن[١٧] .

---

(١٧) وجدت هذه الظاهرة أيضاً في مقابر توكره ، انظر :

G.R.H. Wright, Palestine Exploration Quarterly, « Excavations at Tocra » (1963), pp. 37, 39, 41, 42, 43.

وبتنظيف هذه الردهة من الرمال ظهرت درجتا سلم تؤدي من المدخل إلى أرضية الردهة التي غطيت بطبقة من الرمال النظيفة يبلغ سمكها حوالى ٥٠ سم فوق الأرض الصخرية للمقبرة ، ويبلغ الارتفاع من سطح هذه الطبقة إلى سقف المقبرة حوالى ١٦٥ سم .

تتضح بعد ذلك المعالم الأساسية لداخل المقبرة المنحوتة في الصخر على النحو التالي : ردهة مستطيلة الشكل تقريباً ( ٣٤٥ × ٢٥٦ سم ) يحيط بها من ثلاثة جوانب ست غرف غير مستوية الجدران بعض الشيء ( ١ — ٢ ، ٣ — ٤ ، ٥ — ٦ ) ( انظر الشكل ١ ) ويرجع ذلك إلى طبيعة الصخر الذي كانت تحيط به المياه في وقت مبكر ولقرب المنطقة من البحر أيضاً . وقد لوحظ أن الجزء الأوسط من الجدار القائم بين الحجرتين ١ ، ٢ قد بني من كتل حجرية حتى السقف ، ويبدو لي أن هذه كانت نقطة البداية لاختبار عمق الصخر ومدى صلاحيته لنحت المقبرة وعندما تم الاختيار ونحتت المقبرة بني هذا الجزء ليستقيم الجدار بين الحجرتين . توجد أيضاً مشكاة ( Niche ) منحوتة (٧) تطل على الردهة على يمين مدخل الحجرة ٢ ووسط الجدار .

### عادات الدفن في المقبرة (The burial customs)

نلاحظ ثلاثة أنواع من عادات الدفن في المقبرة يمكن تلخيصها على النحو التالي :

١ — استخدام الجرار الفخارية الكبيرة (Amphorae) وهي مختلفة الأشكال ، كسرت أجزاؤها العليا أو السفلى لتسمح باستخدامها لتجميع العظام ، وهي تحوي عظام وجماجم لدفنات سابقة . وكانت هذه الجرار غالباً في الأركان وبجوار الجدران لتسمح بأماكن للدفنات الجديدة فوق سطح طبقة الرمال النظيفة التي تغطي أرضية المقبرة . وكانت هذه الجرار أصلاً لحفظ الخمور أو الزيوت ثم أعيد استخدامها لأغراض تجميع بقايا الجثث في المقابر [(١٨)]

(١٨) عرف هذا التقليد أيضاً في مقابر توكره ، انظر :
G.R.H. Wright, op. cit., pp. 32, 34, fig. 4, Tomb B.

٢ — حفرات منحوتة في أرضية المقابر (Cyst-graves) (١٩) ، وقد وجد في هذه المقبرة نموذج واحد من هذا النوع من عادات الدفن ، وذلك إلى اليمين من المدخل ، داخل الردهة ، وبجوار الحائط الشمالي الشرقي رقم ٨ وهي حفرة مستطيلة الشكل تقريباً ( ٤٥ — ٢٥ سم ) يصل عمقها إلى حوالى ٥٠ سم . وقد جمعت فيها عظام دفنة سابقة يعلوها جمجمة ، وبفحص هذه العظام والجمجمة ثبت أنها تنتمي جميعاً إلى جثة واحدة لامرأة ( اللوحة ٣ — ٢ ) (٢٠) . وعلى الحائط فوق هذه المقبرة وجد نقش بالإغريقية يقرأ كالتالي : ΠουΦα ( بوفا ) ( اللوحة ٣ — ١ ) ، لعله اسم المرأة التي جمعت عظام جثتها في هذا اللحد . وهو اسم محلي أي ليس إغريقيا ولا رومانيا (٢١) ،

---

(١٩) هذا النوع من المقابر « Cyst-graves » ينحت في الصخر على شكل حفر ، في الغالب ، مستطيلة تغطى بلوحات حجرية ، وعادة تنحت في الأرضية الصخرية بجوار الجدران ، وكذلك في منحدرات المحاجر . وشهدت توكره نماذج متعددة من هذا النوع تختلف من حيث الحجم والشكل ولكن تحافظ مع عناصرها الأساسية من حيث أنها حفرة مستطيلة عليها غطاء ، وترجع إلى فترات مختلفة حيث وجدت أمثلة لها من العصر الكلاسيكي والعصر الهلنستي كما تدل مخلفاتها الأثرية في توكره ، انظر: G.R.H. Wright, op. cit., pp. 56, 58. والغريب أنها فقدت شعبيتها هناك في العصر الروماني وحلت محلها في شعبيتها حجرات الدفن التي كانت تنحت في واجهات المحاجر المهملة . ولكننا نجدها انتشرت في سيدي حسين في العصر الروماني ، بل استعادت طابعها الشعبي كما حدث في المقبرة الثانية ، التي سنراها فيما بعد ، حيث زودت كل حجرة دفن بحفرة من هذا النوع (Cyst-grave) ، لا تستخدم للدفن ولكن لتجميع عظام الدفنات السابقة . ويبدو لي أن منطقة سيدي حسين غنية بهذا النوع الذي لم يكتشف بعد .

(٢٠) قام بفحص العظام الأستاذ الدكتور ابراهيم حلمي أستاذ التشريح بكلية الطب —جامعة بنغازي ، ثم أكمل العمل الدكتور محمد فوزي جاب الله ، المحاضر بكلية الطب — جامعة بنغازي ، حيث قام بفحص كل العظام سواء في المقبرة الأولى أو المقبرة الثانية ثم أمدني بتقرير أولي عن النتائج التي توصل إليها ، استعنت به في وصف العظام التي احتوتها بعض المقابر . ويسعدني أن أقدم لهما جزيل شكري وتقديري .

(٢١) التقيت بالبروفسور André Laronde من جامعة جرينوبل ، وهو من المهتمين بدراسة النقوش في قورينائية ، وكان في زيارة لجامعة بنغازي وطلب الاطلاع على صورة هذا النقش ، وهو يرى أنه من القرن الثاني الميلادي .

وربما انتمى إلى إحدى الجاليات الأخرى التي تسكن المدينة أو حولها .

٣ ــ الدفنات الأخيرة ، وأمكن تمييز ثلاث جثث منها مدفونة على الطبقة الرملية النظيفة في الردهة ، ويتضح من وضعها على الرمال أنها الدفنات التي تمت مباشرة قبل إغلاق المقبرة نهائياً ، فقد وضعت في الردهة بطريقة غير منتظمة . ومع أن هذه الجثث أصبحت هشة إلا أنه أمكن تحديد أماكنها ، بل إن إحدى الجثث كانت واضحة تماماً وتحددت معالمها وهي تتجه نحو الشرق وترقد على الظهر ثم تتعامد الذراعان على الصدر .

## المخلفات الأثرية

### أوان فخارية تستخدم في أغراض المطبخ (Kitchen and cooking pottery)

وأحسن هذه الأواني ثلاث وجدت سليمة في ردهة المقبرة ( ١ ، ٢ ، ٣ ، اللوحة ٤ ) إلى جوار الجدران فوق الطبقة الرملية النظيفة مغطاة بالرمال. وهي أوان مألوفة في منطقة قورينائية وبلدان البحر المتوسط . لها فوهات واسعة ذات حفاف تنثني إلى الخارج ، ومقابض صغيرة (رقم ٢) أو بدون مقابض ، وقواعد مستديرة (Rounded bases) توضع عادة فيما يبدو فوق المواقد (Braziers) . وغالبا توجد هذه الآواني في المقابر الرومانية .[٢٢]

وقد تميزت الأمثلة التي لدينا منها من حيث زخرفتها بدلالات محلية ، إذ يظهر على السطح الخارجي للآنية رقم ١ ( اللوحة ٤ ــ ١ ) زخرفة تكون ثلاث لطع حمراء تتكرر خمس مرات . ثم شريطان من اللون نفسه ، أحدهما حول الرقبة، والثاني حول القاعدة المستديرة لتحديد استدارتها على الأرجح . أما الآنية رقم ٢ فقد احيطت الرقبة الصغيرة بستة ثقوب ، وفي الآنية رقم ٣

(22) See G.R.H. Wright, op. cit., pp. 28, 30, figs. 3, 6, 6a.

حيث وجدت عدة أمثلة من هذه الأواني المنزلية .

أحيط الكتف بتسعة ثقوب أيضاً ( اللوحة ٤ ، ٢ — ٣ ) .

وبالقرب من هذه الآواني الصغيرة البيضاوية الشكل ، وجد موقدان (Braziers) أرقام ٤ ، ٥ ( اللوحة ٥ — ٢ ) وهما وإن كانا يختلفان في الشكل فقد زود كل منهما بثلاث قواعد يرتكز عليها طراز الأواني السابقة ذات القواعد المستديرة ( انظر اللوحة ٥ — ١ حيث يتمثل تصور لوضع الآنية رقم ٢ على الموقد رقم ٤ ) .

وإلى مجموعة الأواني السابقة يمكننا أن نضيف الآنية رقم ٦ ( اللوحة ٦ — ١ ) حيث وجدت في الحجرة رقم ٥ ، ولها قاعدة بارزة صغيرة . وقد عثر أيضا على آنية أخرى رقم ٧ ( اللوحة ٦ — ٢ ) في الردم الذي كان يغطي درجات السلم المؤدي إلى مدخل المقبرة ، وهي من أواني المطبخ الشائعة ، سوداء اللون بها حزوز أفقية وتتشابه مع أوان مثيلة لها اكتشفت في بطلمية ( طلميثة ) ترجع إلى نهاية العصر الروماني [٢٣] ، وأمثلة أخرى وجدت في توكره [٢٤] . وربما عنى وجود هذه الآنية في موقعها هذا انها كانت تتبع الدفنات الأخيرة في المقبرة أو ربما أتت من خارج المقبرة أيضا مع الردم الذي غطى درجات السلم .

### جرة (Amphora)

وجدت في الردهة وهي سليمة من الجرار (Amphorae) المستوردة ، رقم ٨ ( اللوحة ٧ ) ، حيث أعيد استخدامها هنا لحمل الماء أو الزيت . وهي تتشابه مع جرة أخرى ترجع إلى منتصف القرن الأول الميلادي عثر عليها في الأجورا الأثينية [٢٤] .

(23) C. H. Kraeling and others, Ptolemais, City of the Libyan Pentapolis (1962), p. 269, pl. LXII, A.

(23) G.R.H. Wright, op. cit., p. 30, fig. 3.

(24) H.S. Robinson, Pottery of the Roman period, the Athenian Agora, Chronology, (1959) Vol. V., pp. 84-85, pl. 19 (13).

### إبريق (Juglet)

عثر عليه في الردهة ، وهو كمثري الشكل مستدير الفوهة التي تتسع من أسفل إلى أعلى ومزودة ببلبلة للسكب (Spout) رقم ٩ ( اللوحة ٨ ) . وهو من الأشكال الفخارية الشائعة في منطقة قوريناية . حيث أمدتنا المقابر الرومانية في قوريني [٢٥] وتوكره بعدة أمثلة لهذا الشكل . وقد وجد الابريق في نفس المستوى مع الجرة السابقة رقم ٨ على الطبقة الرملية النظيفة ، وربما ساعد ذلك على نسبتهما إلى فترة واحدة هي منتصف القرن الأول الميلادي .

### أواني الدهون العطرية (Unguentaria)

مجموعة أوان صغيرة الحجم من الفخار والزجاج، وهي من أواني الدهون العطرية التي يطلق عليها عادة الاصطلاح « Unguentaria » . وجدت على سطح الطبقةالرملية النظيفة فيالحجرة رقم ٦، ما عدا الآنية رقم ١٠ (اللوحة٩ —١) فقد وجدت في الحجرة رقم ١، حيث أودعت بما تحوي من دهون عطرية مع المتوفى في المقبرة أو قدمت إليه كهدايا . ومع ما في أشكال هذه الأواني من تنوع في التفاصيل فإن من الممكن تقسيمها إلى مجموعتين :

المجموعة الأولى :

وتشمل الأواني الفخارية رقم ١٠ من الحجرة رقم ١ والأرقام ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ( اللوحة ٩ — ٢ ) من الحجرة رقم ٦ . وهي بصلية الشكل على قاعدة مسطحة صغيرة ، طويلة الرقبة ، التي تنتهي إلى فوهة تنثني حافتها إلى الخارج . ومنها ما يزداد فيه عرض الجسم واتساع الرقبة عن الشكل المألوف كما توضح الأرقام ١١ ، ١٢ .

وكانت أواني هذه المجموعة الأولى بأشكالها المذكورة من الأنواع ذات

(25) See Alan Rowe, Cyrenaican Expedition of the University of Manchester (1955, 1956, 1957), pls. 8a, 9b, 10b.

الطابع الشعبي في بلدان حوض البحر المتوسط وكانت شائعة منذ نهاية القرن الأول ق.م وطوال القرن الأول الميلادي في منطقة الأجورا الأثينية (٢٦) ، وفي نهاية القرن الأول ق.م في كورنث (٢٧) كذلك وجدت عدة أمثلة لها في فلسطين ترجع إلى ما بين ٢٠ ق.م ، ٦٨ م (٢٨) ، وأمثلة أخرى مناظرة في الاسكندرية (٢٩) ، وفي شمال أفريقيا (٣٠) ، ومن مقابر أخرى في برينيكي (٣١) . وأيضاً وجدت أمثلة مناظرة في دورا أوروبوس بسورية (٣٢) ، وفي سفاجيون بقبرص من مقبرة ترجع إلى القرن الأول الميلادي (٣٣) .

**المجموعة الثانية :**

وتشمل مجموعة كاملة من الأواني الزجاجية عثر عليها أيضاً في الحجرة رقم ٦ وتنقسم بدورها إلى مجموعتين : المجموعة «أ» رقم ١٥ ( اللوحة ١٠—١) والمجموعة «ب» ١٦ ( اللوحة ١٠ — ٢ ) .

أما المجموعة«أ»— فلها تقريباً نفس الشكل البصلي الذي رأيناه في المجموعة الأولى الفخارية ( قارن أرقام ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤، اللوحة ٩ — ١، ٢ ) ولكنها أصغر حجماً وأكثر تنوعاً . إحداها سليمة تقريباً والأواني الباقية مكسورة

(26) H.S. Robinson, op. cit., p. 15, F. 50 with a note, pl. 2; p. 31, G 97-9, pl. 5; p. 85, M 6, 7, (8), pl. 18.

(27) T.L. Shear, « Excavations at Corinth in 1928 », AJA, XXXII (1928).

(28) P.W. Lapp, Palestinian Ceramic Chronology, ASOR, Archaeology, III (1961), p. 199, type 92.

(29) E. Breccia, La Necropoli di Sciatbi (1912), p. 87, fig. 46.

(30) J. Ferron, « Un Hypogée Juif, » Cahiers de Byrase, VI (1956), pp. 105-116, pl. VI.

(٣١) يضم متحف مدينة بنغازي مجموعة كاملة من هذه الأواني اكتشفت في مقابر السلماني الأوسط في ١٩٧٣ ولم تنشر بعد .

(32) Stephan L. Dyson, the Excavations at Dura-Europos, Final Report, IV (1968), part, 1, Fascicle 3, pp. 9-11.

(33) J.B. Hennessy, « Excavations at Sphagion in Cypres, » PBSR, XXII (1954), p. 36.

في أجزاء منها ولكن من الممكن تمييز هذه الأجزاء سواء كانت من الأجسام أو الفوهات مع الرقبة .

وأما المجموعة ب – فكانت طويلة الجسم ، مستديرة المحيط في هيئة انابيب الاختبار الزجاجية الحديثة (Test-tube like Unguentaria) بعضها يكاد يكون سليماً وبعضها الآخر كسرت منه بعض الأجزاء .

وكانت الأواني الزجاجية كذلك من الأواني التي أخذت طابعاً شعبياً في بلدان حوض البحر المتوسط . حيث حلت محل طراز المجموعة الأولى من الفخار . فقد لوحظ في طرسوس تناقص أواني الفخار من طراز المجموعة الأولى فيما كشف من نهاية القرن الثاني والقرن الثالث الميلادي نتيجة لصناعتها من الزجاج [٣٤] . ويرى البروفسور روبنسون أنه في خلال الجزء الأخير من القرن الأول الميلادي ظهرت صناعة نفخ الزجاج فأدت إلى اختفاء الطرز الفخارية من السوق الأثينية [٣٥] . ويرى ديسون أن استخدام الطرز الزجاجية في دوراً أوروبوس في سورية قد بدأ مع نهاية القرن الأول الميلادي وقد عاصرت لفترة قصيرة الطرز الفخارية . [٣٦]

ويمكننا القول في ضوء ما تقدم إن المجموعة الثانية «أ» ذات الشكل البصلي هي في الواقع تقليد للنماذج الفخارية التي ترجع أساساً إلى القرن الأول الميلادي واستمرت قليلاً في القرن الثاني الميلادي ، ثم حلت تدريجياً محلها الطرز الزجاجية التي زادت شعبيتها في المقابر الرومانية منذ القرن الثاني الميلادي ولفترة طويلة بعد ذلك . وفي مقابر سيدي حسين يبدو واضحاً غلبة الأواني الفخارية على الزجاجية في المقبرة الأولى طوال القرن الأول الميلادي ، ومع بداية القرن

(34) D.H. Cox, H. Goldman, V. Grace, F.F. Jones and A.E. Raubischek, Excavations at Gozlu Kule, Tarsus 1 : The Hellenistic and Roman periods (1950), p. 201.

(35) H.S. Robinson, op. cit., p. 15.

(36) S.L. Dyson, op. cit., pp. 10-11, note 19.

الثاني بدأت تتلاشى ويحل محلها تدريجياً الطرز الزجاجية ، على حين خلت المقبرة الثانية تماماً من الطرز الفخارية واصبحت الطرز الزجاجية هي الطابع الشعبي السائد مما يؤكد أن المقبرة الثانية ترجع لتاريخ متأخر عن المقبرة الأولى ، وربما بدأ الدفن فيها مع منتصف القرن الثاني الميلادي ، يؤكد ذلك أيضاً ما وجد فيها من آثار .

أما المجموعة الثانية «ب» التي أخذت شكل أنابيب الاختبار ، فقد وجدت أمثلة مناظرة لها في كرانس في الفيوم وتؤرخ بصفة عامة من القرنين الثالث والرابع الميلادي (٣٧) . ووجدت أمثلة أخرى في قبرص واكتشفت معها قطعة عملة من عصر أنطونينوس بايوس ( حوالى ١٦٠ ميلادية ) (٣٨) . كذلك وجدت أمثلة في دورا أوروبوس بسورية تؤرخ من منتصف العصر الامبراطوري (٣٩) . كما أمدتنا مقابر توكره بأمثلة عديدة منها أرخت من القرن الأول الميلادي وذلك تأسيساً على المقارنة بينها وبين ما وجد معها من آثار (٤٠) ، ولكن يبدو ان هذا التأريخ غير دقيق لأن المقابر قد خلت تماماً من طرز فخارية ، وهذه انما سيادة الطرز الزجاجية في ذلك الوقت . غير أن هذا لم يحدث قبل نهاية القرن الأول الميلادي ، لذلك فلا ينبغي تأريخ النماذج الزجاجية فيتوكره قبل بداية القرن الثاني الميلادي . على أي حال يمكننا القول في ضوء ما تقدم من أدلة إن النماذج الزجاجية استخدمت طوال العصر الروماني ابتداء من القرن الثاني الميلادي سواء في برينيكي أو مدن البحر المتوسط .

---

(37) D.B. Harden, Roman glass from Karanis (University of Michigan Studies, Humanistic Series, XL1, Anne Arbor 1936) pp. 266 ff., pl. XX, Nos. 834, 835, and p. 131.

(38) Otto Vesberg, « Roman glass in Cyprus ». Opscula Archaeologica, VII (1952), pp. 109-165, pl. IX, 23.

(39) C.W. Clairmont, the Excavations of Dura-Europos, the Glass Vessels (1963), pp. 131, 138, No. 721.

(40) G.R.H. Wright, op. cit., pp. 35-36, (cf. fig. 6, Nos. 3, 4, fig: 6a, No: 4)

**المصابيح الفخارية :**

تبرز المصابيح التي اكتشفت في المقبرة الأولى ( أرقام ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ) خصائص معينة هي : أن كل مصباح قد زود بفتحتي فتيل طويلتين (Nozzles) تستدير نهايتاهما ، وأحيطت كل فتحة بزوج من الحلزونيات (Volutes) ما عدا رقم ٢٢ ( اللوحة ١٣ ) . وأضيف فوق المقبض في مؤخرة المصباح وصلة في شكل المثلث (Triangular attachment) ما عدا أرقام ١٧ ، ١٨ ( اللوحة ١١ — ١ ) . وقد يظهر على الشكل المثلثي شكل نباتي يتمثل في نحت بارز كما في رقمي ١٩ ، ٢٠ ( اللوحة ١١ — ٢ ) ، أو شكل لهلال فوقه نجمة في نحت بارز أيضاً كما في رقم ٢١ ( اللوحة ١٢ — ١ ) أو يأخذ الشكل المثلثي نفسه شكل هيئة ورقة نبات كما في رقم ٢٢ ( اللوحة ١٣ — ١ ) .

وتتبع هذه المصابيح الخصائص المتنوعة التي انطلقت نتيجة التطور السريع الذي أحرزه صناع المصابيح الإيطاليون منذ نهاية العصر الهلنستي وحوالى نهاية القرن الأول ق . م ، وسرعان ما انتشرت هذه الخصائص وأصبحت هي السائدة طوال القرن الأول الميلادي [٤١] . وقد جاءت المصابيح ذات الوصلات المثلثة في الواقع نتيجة لتقليد المصابيح البرنزية التي تميزت بهذه الصفة ، وكذلك بفتحتي الفتيل . وقد شاع استعمالها في النصف الأول من القرن الأول الميلادي ، وبالتالي فالأمثلة الفخارية الموجودة لدينا ربما تكون قد عاصرتها ثم أصبحت شائعة في النصف الثاني لهذا القرن وبداية القرن الثاني الميلادي .

أما المصباحان برقم ١٧ ، ١٨ ( اللوحة ١١ — ١ ) وكل منهما صورة دقيقة من الآخر ، فقد انفردا بخصائص هي : تزويد جانبي جسم المصباح بعروتين (Side-lug handles) بالإضافة إلى وقوع المقبض في نهاية

(41) Cf. T. Szentléleky, Ancient lamps (1969), p. 64.

الجسم . وقد انتشر هذا النوع من المصابيح التي تميز بهذه الخاصة في القرن الأول الميلادي أيضاً ، وترجع هذه الخاصة إلى العصر الهلنستي ثم شاعت بعد ذلك في بلدان منطقة البحر المتوسط . ووجدت أمثلة مناظرة في الأجورا الأثينية (٤٢) وفي ميليتوس (٤٣) على الساحل الغربي لآسية الصغرى .

وقد وجد هذان المصباحان في المشكاة (Niche) رقم ٨ ( انظر التخطيط في شكل ١ ) مع آنية صنعت من الرصاص تحوي عظام دفنة سابقة (٤٤) ، وذلك يلقي الضوء على تاريخ استعمال هذه المشكاة ، فيبدو واضحاً أنها استخدمت في القرن الأول الميلادي وربما في بداية ذلك القرن ، وهو التاريخ المرجح بالنسبة للمصباحين .

أما المصباحان برقم ١٩ ، ٢٠ (اللوحة ١١ — ٢) وقدعثر عليهما في الحجرة رقم ٥ . فكل منهما صورة من الآخر أيضاً . وهما من النوع الذي أضيفت فوق مقبضه الوصلة المثلثة (Triangular attachment) حيث تمثلت عليهـا زخرفة نباتية بارزة . وقـد وجدت أمثلة مناظرة لهذا النوع من المصابيح في ايطاليا وفي مصر (٤٥) وترجع إلى التاريخ نفسه الذي ذكرته من قبل وهو القرن الأول الميلادي (٤٦) .

وفي المصباح رقم ٢١ ( اللوحة ١٢ — ١ ، ٢ ) وقد عثر عليه في الحجرة

---

(42) See J. Perlzyweig, the Athenian Agora, Vol. VII, Lamps of the Roman period (1961), p. 73, No. 16. pl. 2, from the first half of the first century A.D.

(43) H. Menzel, Antike Lampen in Romisch-Germanischen Zentral museum zu Mainz (1969), Abb. 19, 16.

(٤٤) هي الآنية الوحيدة المصنوعة من الرصاص بين مخلفات المقبرة ، وقد تهدمت جدرانها .

(45) A. Osborne, Lechnos et Lucerna (1924), Nos. 85-88. pl. VI.

(46) Cf. J. Perlzweig, op. cit., No. 28, p. 71,

وتؤرخ من نهاية القرن الأول ق.م إلى القرن الأول الميلادي ،

Cf. also P. Hellstrom, Labraunda, Pottery and Glass, Vol. II, part 1. Nos. 88-99.

ويتمثل عليها نفس الزخرفة الوردية على القرص (Tongue rosettes)

رقم ٦ ، تمثل على الوصلة المثلثة الشكل هلال من فوقه نجمة في نحت بارز . وكان الهلال والنجمة شعار الإلهة تانيت التي عرفت باسم «Tanit-Caelestis» في العصر الروماني في شمال إفريقيا ، وهي فينيقية الأصل انتشرت عبادتهــا في شمال إفريقيا أيضاً قبــل العصر الروماني [٤٧] . والذي يجب أن نعرفه أن الهلال والنجوم اتخذت عناصر زخرفية على المصابيح الرومانية في إيطاليــا ، وفي أماكن أخرى من العصر الروماني منذ القرن الأول الميلادي [٤٨] ، وربما كان مصدرها شمال إفريقيا على أن المصباح رقم ٢١ بما توحي به طريقة زخرفته وختم صانعه على القاعدة إنما يرجع إلى بداية القرن الثاني الميلادي . ويظهر الختم في نحت غائر على قاعدة المصباح على النحو التالي « CIVNALEX » ( اللوحة ١٢ — ٢ ) وهو اختصار للاسم الثلاثي « C. Junius Alexis » (C. IVN. ALEX) [٤٩] . وقد انتشر انتاج هذا الصانع في تلك الفترة في تونس ولهذا يرجح أن هذا المصباح تونسي الأصل من قرطاج .

أما المصباح الأخير وهو رقم ٢٢ ( اللوحة ١٣ — ١ ، ٢ ) وقد عثر عليه أيضاً في الحجرة رقم ٦ ، فيمتاز بأن الوصلة المثلثة قد اتخذت شكل ورقة النبات . وهذه العناصر الزخرفية التي شاعت في زخرفة المصابيح أيضاً منذ

---

(47) Ugo Antonielli, « Tanit — Caelestis nell arte figura », in Notiziario Archaeologico, III (1922), pp. 48-49, Tavola II, fig. 9C; p. 49, Tavola III, fig. 13; p. 52, Tavola V, fig. 24.

وحول هذا الموضوع انظر أيضاً :

Taha Bakir, « Recent Archaeological discoveries », in Libya Antiqua, V (1968), p. 202, note 17,

وتانيت هي إلهة فينيقية تقابل الإلهة السامية المشهورة عشتار (Ishtar) وبقيت عبادتها حتى العصر الروماني وعرفت بـ « Dea Caelestis » ( ربة السماء ) وأقيمت من أجلها المعابد في أهم مدن شمال إفريقيا .

(48) T. Szentlélky, op. cit., pp. 62, 64.

(49) H. B. Walters, Catalogue of the Greek and Roman Lamps in the British Museum (1914), p. XXXIX, No. 1069.

القرن الأول الميلادي (٥٠) . وقد تمثل ختم الصانع على قاعدة المصبـــاح في نحت غائر على النحو التالي : « CIVNDRAC » (اللوحة ١٣ — ٢) ، وهو اختصار للاسم الثــلاثي « C. Junius Draco » (C. IVN. DRAC.) (٥١) . وقد تمثل نفس الختم على مصابيح وجدت في إيطاليا ، وأماكن أخرى من الإمبراطورية الرومانية ، وتؤرخ من النصف الثاني للقرن الأول والقرن الثاني الميلادي (٥٢) . وانتشر انتاج هذا الصانع في تونس ( قرطاج ) أيضاً وقد وجد مع المصباح السابق في نفس المستوى ، ويرجح أنه من التاريخ نفسه ، أي بداية القرن الثاني الميلادي .

## قواعد لحمل المصابيح (Lamp stands)

عثر في الحجرة رقم ٦ على قاعدتين لحمل المصابيح برقم ٢٣ ، ٢٤ ( اللوحة ١٤ — ١ ، ٢ ) ، من الطين المحروق . وهما تختلفان من حيث الشكل ، ولكنهما في شكل أسطواني مجوفتان من الداخل ، كسرت بعض أجزائهما وفقدت (٥٣) .

## أشكال برنزية (Bronze objects)

عثر في الحجرة رقم ٣ على نصل سهم رقم ٢٥ ( اللوحة ١٥ — ١ ، ٢ ) زين سنخه بتعرجات بارزة يبدو أنها تستخدم لتثبيته في النصاب ، وواضح أنه كان بإحدى الجثث التي دفنت بالحجرة وجمعت عظامها فيما بعد حيث بقي على الطبقة الرملية النظيفة .

---

(50) H. B. Walters, op. cit., p. XXIV.

(51) H. B. Walters, op. cit., p. XXXIX. Nos. 499, 985, 1007.

(52) D. M. Bailey, Greek and Roman Pottery Lamps, the British Museum (1963), p. 30, pl. 10a.

(53) Cf. a high circular stand from Gela, Sicily (H.B. Walters, op. cit., p. 214, fig. 337, No. 1411)

وعثر في الحجرة رقم ٢ على قرصين من البرنز ، أحدهما ( رقم ٢٦ ) ، والثاني ( رقم ٢٧ ) في الحجرة رقم ٦ . وكل منهما يمثل مرآة تراكم عليها الصدأ ( اللوحة ١٦ — ١ ) ، وقد وجد نظير لهما في مقابر من العصر الروماني في قوريني [٥٤] وتوكرة [٥٥] .

### تمثال صغير

عثر عليه بردهة المقبرة ، وهو تمثال صغير ، رقم ٢٨ ( اللوحة ١٦ — ٢ )، يبدو من تفاصيل الجسم أنه لامرأة وفقد الرأس . وقد أمكن تجميع أجزائه المكسورة وترميم بعضها ، والتمثال له قاعدة عالية ، وهو من المرمر الأبيض .

### أشكال زجاجية

بالإضافة إلى أواني الزيوت العطرية الزجاجية وجد في إحدى الجرار الكبيرةمع العظام أجزاء محطمة لشكل تبين بعد تجميعه وترميمه أنه لإوزة من الزجاج ، رقم ٢٩ ( اللوحة ١٧ — ١ ) . وهي لذلك تعتبر من القطع الفنية النادرة في إقليم قورينائية .

### نقوش ( Inscriptions )

يعتبر نقش بوفا ( ΠουΦα ) الذي أشرنا إليه من قبل ( اللوحة ٣ — ١ ) من النقوش المهمة ، التي تشد انتبـــاه المتخصصين ، فالاسم ليس إغريقيـــا ولا رومانيا ، وإنما ينتمي إلى إحدى الجاليات أو التجمعات السكانية الأخرى حول المنطقة .

وقد عثر أيضاً على شاهد قبر من الحجر الجيري ، ضاع جزؤه الأعلى

---

(54) Alan Rowe, op cit.. pl. 8, b.

(55) G. R. H. Wright, op. cit., p. 35, no. 22.

وذلك في الردم في أثناء الكشف عن درجات السلم المؤدي إلى مدخل المقبرة . ويتمثل عليه بالنحت البارز شخص في ملابس فضفاضة ( لعله امرأة ) ، رقم ٣٠ ( اللوم ١٧ — ٢ ) يقف في قارب صغير . ومن تحت المشهد نقش غائر تتمثل عليه الحروف الآتية : ΛΥΚΑ.

## المقبرة الثانية

### التخطيط المعماري ( شكل ٢ )

اكتشفت هذه المقبرة في اليوم التالي من بدء العمل في المقبرة الأولى ، عندما اتجه العمال في حفرهم وجهة أخرى . وفي هذه المرة تعرفنا على ملامح المقبرة بسهولة ، حيث كشفنا عن قمة اللوحة الحجرية التي تغلق مدخل المقبرة ( اللوحة ١٨ — ١ ) ، وحدد موقع السلم ثم أزيلت الأتربة أمام المدخل ( اللوحة ١٨ — ٢ ) .

والمقبرة الجديدة تبعد حوالى عشرين متراً نحو الجنوب من المقبرة الأولى ، ويتجه مدخلها نحو الجنوب الغربي على عكس المقبرة الأولى التي يقع مدخلها في الاتجاه الشمالي الشرقي . ولم تظهر في الردم ، الذي يغطي درجات السلم الخمس ، مخلفات أثرية ذات قيمة فنية .

وكانت الرمال عند فتح المدخل ( اللوحة ١٩ — ١ ) تشغل ما يقرب من نصف ارتفاع الردهة ، ثم تهبط تدريجياً حتى ثلث الارتفاع عند نهايتها متسربة قليلاً داخل الغرف .

وتتضح العناصر الأساسية للمقبرة بعد إزالة الرمال كالتالي : — الردهة في مواجهة المدخل وتنتهي بمنصة (bench) ، رقم ٣ (شكل ٢) ، ترتفع قليلاً عن أرض الردهة بحوالي ٤٠ سم ، ويعلوها سقف مقبي [٥٦] . وعلى يمين المدخل ويساره حجرتان

(٥٦) تمثل هذا السقف المقبى (Arched Ceiling) في مقابر اكتشفت في قوريني منحوتة أيضاً في الصخر وتؤرخ من القرن الثاني الميلادي ، انظر : Alan Rowe, op. cit., No. 82, pl. 41.

( رقما ١ ، ٢ شكل ٢ ) تفتحان على الردهة ، حيث ترتفع أرضيتهما قليلاً عن أرضيتها بحوالي ٢٠ سم . وقد غطيت أرضية الردهة والغرف بطبقة من الرمال النظيفة يصل سمكها إلى ٣٠ سم . ويتوسط كل غرفة لحد في شكل حفرة مستطيلة ( ٦٠ ـ ٤٥ سم ) نحتت في الأرض الصخرية إلى عمق يصل إلى حوالى ٣٥ سم (Cyst-graves) ، وتحوي كل منهما عظام دفنات سابقة تعلوها جماجمها ، تغطيها ألواح حجرية .

### عادات الدفن (Burial Customs)

كانت عادة الدفن الأساسية في هذه المقبرة جمع عظام الدفنات السابقة تعلوها جماجمها ثم خزنها في اللحد (Cyst-graves) . ويحوي اللحد «أ» جنباً إلى جنب عظام دفنتين أساسيتين تقع الجمجمتان منهما فيمـــا يلي الردهة مستقبلتين سقف الحجرة ( اللوحة ٢٠ ـ ١ ) ، وربما دل ذلك على أن الجثث كانت أصلاً ترقد على الظهر قبل تجميع عظامها . وبفحص هذه الجماجم اتضح أن احداها لرجل متوسط العمر والأخرى لامرأة بالغة ، كما كشف الفحص كذلك عن عظام طفل يبلغ السادسة من عمره تقريباً مع العظام السابقة .

أما اللحد «ب» (اللوحة ٢٠ـ٢ ، وتبدو فيها الحفرة قبل رفع الغطاء عنها) فقد وجدت فيه جمجمة واحدة اتضح أنها لرجل عجوز ، كما كشف عن عظام جمجمة أخرى لعلها لامرأة .

وفضلا عما اتبع أساساً من عادة في المقبرة ، فقد امكن تمييز جثة هشة على المنصة يستند رأسها على جزء مكسور من آنية فخارية ( اللوحة ٢١ ـ ١ ) ويبدو أن هذه الدفنة تتبع الدفنات الأخيرة في المقبرة .

## المخلفات الأثرية

### أوانٍ فخارية :

عثر في هذه المقبرة على آنيتين سليمتين من الفخار ، الآنية رقم ١ ( اللوحة

٢٢ – ١ ) ووجدت في ردهة المقبرة أمام الحجرة رقم ٢ ، والآنية رقم ٢ ( اللوحة ٢٢ – ٢) وعثر عليها في الحجرة رقم ١. ومما يلاحظ أننا لم نعثر على مثيل لأشكال هذه الأواني في المقبرة الأولى ، ويشير نوع الطينة التي تتخللها نقط فاتحة اللون في الآنية رقم ٢ على أنها أوانٍ محلية .

## أواني الدهون العطرية :

كانت أواني الدهون العطرية التي عثر عليها في هذه المقبرة ، كلها من الزجاج ويمكن وضعها مع أواني المجموعة الثانية ( أ – ب ) الزجاجية التي اكتشفت في المقبرة الأولى .

أ – وهذه الأواني سليمة بوجه عام تقريباً ، رقم ٣ ( اللوحة ٢٣ – ١ ) ، وتتخذ الشكل البصلي ، ولكن الرقبة حددت عند التقائها بالجسم . وأحجامها صغيرة متقاربة بعضها مع بعض . وقد وجد بعضها على الطبقة الرملية في الحجرة رقم ١ وبعضها الآخر على المنصة (٣) في نهاية الردهة (شكل٢).

ب – وتنتمي هذه المجموعة من الأواني الزجاجية،رقم ٤ ( اللوحة ٢٣–٢) إلى النوع الرقيق الذي اتخذ أساساً شكل أنابيب الاختبار وإن تنوعت فيها الأحجام . وهي أوان سليمة بعامة فيما عدا قلة كسرت بعض أجزائها . وقد وجدت على المنصة (٣) عند نهاية الردهة .

## أشكال زجاجية أخرى

في الحجرة رقم ١ على مجموعة من الأدوات الزجاجية رقم ٥ ( اللوحة ٢٤ ) ، يبدو من أشكالها أنها كانت تستخدم في أغراض التجميل . وهي أدوات سليمة وأمكن ترميم بعضها .

* * *

وحول تأريخ هذه المقابر نجد أن عناصرها المعمارية قد تمثلت في مقابر

أخرى نحتت في تلال صخرية مماثلة تقع على أطراف سبخة السلماني ، ففي منطقة السلماني الشرقي كشفت مراقبة الآثار ببنغازي عام ١٩٦٩ عن جبانة انتشرت مقابرها في المنطقة الصخرية ، وفي عام ١٩٧٢ كشفت أيضاً مراقبة الآثار بالاشتراك مع جمعية الدراسات الليبية بلندن عن جبانة أخرى في السلماني الأوسط إلى الجنوب من السبخة . وتشير الاكتشافات الأثرية ، التي لم تنشر بعد ، في هذه المناطق إلى أن جبانة السلماني الشرقي ترجع إلى العصر الروماني أما جبانة السلماني الأوسط فقد بدأت منذ نهاية العصر الهلنستي واستمرت طوال العصر الروماني .

أما التخطيط المعماري في مقابر سيدي حسين ، وهو الذي يتمثل في سلم منحوت يؤدي إلى مدخل مغلق بلوحة حجرية مستطيلة ، ثم ردهة فتحت على جوانبها غرف للدفن فهو الذي تمثل في النماذج التي وجدت في المقابر السابقة ، ففي السلماني الشرقي وجدت مقبرة رومانية مماثلة تماماً للمقبرة الأولى في سيدي حسين . وفي السلماني الأوسط وجدت مقبرة مماثلة أيضاً للمقبرة الأولى من الناحية المعمارية، ولكن مخلفاتها الأثرية إنما تشير إلى أنها ترجع إلى نهاية العصر الهلنستي واستخدمت أيضاً لفترة في العصر الروماني .(٥٧)

وقد رأينا في عرض مخلفات المقبرة الأولى، سواء في ذلك الأواني الفخارية وأواني الزيوت العطرية أو المصابيح أنها ترجع في أسلوب صنعها وخصائصها الفنية إلى القرن الأول الميلادي وبداية القرن الثاني ، كذلك رأينا أن تخطيطها المعماري يتفق مع مقبرة من نهاية العصر الهلنستي في السلماني الأوسط . وبذلك تقودنا هذه الأدلة إلى تأريخ هذه المقبرة من بداية القرن الأول الميلادي تأثراً بالتخطيط المعماري الهلنستي ثم استخدمت طوال القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلادي بحكم الأدلة الأثرية التي وجدت فيها .

---

(٥٧) قمت بزيارة هذه المقابر وقد عاونني الأستاذ مسعود شقلوف مراقب آثار بنغازي في التعرف على أماكن هذه المقابر .

أما المقبرة الثانية فتشير الأدلة الأثرية إلى أنها جاءت في وقت متأخر عن المقبرة الأولى ، فأواني الدهون العطرية الفخارية التي رأيناها في المقبرة الأولى والتي ذكرنا عنها أنها ترجع إلى القرن الأول الميلادي قد اختفت تماماً في المقبرة الثانية ، وحلت محلها الأواني الزجاجية التي يبدو أنها أصبحت سلعة رائجة في أسواق برينيكي . ومن المحتمل أن ذلك حدث في بداية القرن الثاني الميلادي . كذلك اختفت هنا أواني المطبخ ذات الفوهات الواسعة والقواعد المستديرة والمصابيح التي رأيناها في المقبرة الأولى والتي غطت القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلادي .

كذلك اختفى هنا ما لوحظ في المقبرة الأولى من عادة جمع عظام الدفنات السابقة ووضعها في جرار كبيرة متنوعة الأشكال بكسر جزئها الأعلى أو الأسفل ليمكن استخدامها لهذا الغرض وحلت محله عادة أخرى ، هي وضع العظام في حفرات لحود بسيطة (Cyst-graves) نحتت في الأرض الصخرية وسط حجرات الدفن . ولئن كنا رأينا لحداً من هذا النوع (رقم ٨ شكل١) في المقبرة الأولى . فإن سيادة هذه العادة في المقبرة الثانية دون سواها يجعلنا نعتقد أنها اتبعت على نطاق ضيق في المقبرة الأولى حيث لا توجد إلا حفرة واحدة ثم شاع في عصر نحت المقبرة الثانية ، كما تشير الدلائل الأولية إلى أن النقش « ΠουΦα » الذي يعلو اللحد في المقبرة الأولى يرجع إلى القرن الثاني الميلادي . وبذلك تقودنا هذه الأدلة إلى أن المقبرة الثانية لا بد أن تكون قد بدأت بعد المقبرة الأولى ولم يكن ذلك قبل منتصف القرن الثاني الميلادي .

وقد تلقى المقارنة بين المقبرتين الضوء على الظروف الاقتصادية التي عاشها هذا المجتمع ، ففي الوقت الذي نحتت فيه المقبرة الأولى ، أي في القرن الأول الميلادي ، نشأ مجتمع ثري تدل عليه مخلفاتها الأثرية ، بل وتؤكد بعض هذه المخلفات مثل الجرار الكبيرة (Amphorae) ، العلاقات التجارية النشطة بين برينيكي ومدن حوض البحر المتوسط ، حيث استخدمت هذه الأواني أساساً في حمل

الخمور والزيوت من أماكن أخرى . كذلك تؤكد أواني الدهون العطرية الفخارية وظهورها أيضاً في بلدان كثيرة من منطقة البحر المتوسط ازدهار هذا النشاط التجاري . أضف إلى ذلك حجم هذه المقبرة ، وضخامتها بالمقارنة بنظائرها من المقابر الأخرى .

ولكن المقبرة الثانية بتخطيطها المعماري المتواضع ، ومخلفاتها الفقيرة في مادتها إنما تصور وضعاً اقتصادياً في طريق التدهور والانكماش يعيش على التقليد المتوارث الذي يتمثل في نحت مقبرة في الصخر وممارسة العادات القديمة من حيث تجميع ما بقي من عظام الدفنات السابقة ، والمحافظة عليها .

بقي أن أشير إلى الظروف الاجتماعية التي جلتها هذه المقابر ، فقد أثبتت دراسة العظام والجماجم أنها كانت لأسر كاملة عدة أجيال ، أي أنها لم تأخذ طابعاً شعبياً ، بل كانت في الغالب مقابر خاصة توارثها جيل من بعد جيل إلى أن أغلقت نهائياً .

## وصف المخلفات الأثرية

### المقبرة الأولى

| الرقم | اللوحة | المكان | الوصف | المقاييس |
|---|---|---|---|---|
| ١ | ٤ — ١ | على يسار المدخل في الردهة بجوار الحائط الشمالي الشرقي أمام الحجرة رقم ٦ ، الارتفاع من الآنية حتى السقف ١٥٥ سم . | آنية فخارية صغيرة، الشكل كروي(Globular)، الفوهة واسعة،الشفة تنثني إلى الخارج . لا توجد مقابض ، يحاط الجسم بحزوز أفقية نتيجة الاستدارة على عجلة الفاخوري (Wheel-ridged body) . القاعدة مستديرة (Rounded base) . زين السطح الخارجي للجسم بثلاث لطع حمراء تكررت خمس مرات ، وشريطين من اللون الأحمر : أحدهما يحدد الرقبة والآخر يحدد القاعدة . لون الآنية أصفر ضارب إلى الحمرة . | الارتفاع : ٨,٧ سم<br>قطر الجسم : ١١,٨ سم<br>قطر الفوهة : ٨ سم |
| ٢ | ٤ — ٢ | على يمين المدخل في الصالة بجوار الحائط الشمالي الشرقي ، أمام الحجرة ١ ، شمال القبر المنحوت في الأرضية رقم ٨ ، الارتفاع من الآنية حتى السقف ١٦٥ سم . | آنية فخارية صغيرة ، الشكل كروي (Globular) ، الفوهة واسعة ، الشفة تنثني إلى الخارج . لها مقبضان صغيران،العنق قصير. القاعدة مستديرة(Rounded base) أحيط عنق الآنية بستة ثقوب . الطينة صفراء ، طليت بطبقة بيضاء بقيت بقع منها . | الارتفاع : ١٠,٨ سم<br>قطر الجسم : ١٢,٥ سم<br>قطر الفوهة : ٨,٥ سم |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ٣ | ٤ — ٢ | وجدت في الصالة بالقرب من الآنية السابقة وعلى نفس المستوى . | آنية فخارية صغيرة ، الشكل كروي (Globular) ، الفوهة واسعة ، الشفة تنثني إلى الخارج قليلا . لا توجد مقابض ، تحيط بالكتف تسعة ثقوب . القاعدة مستدير (Rounded base) . الطينة صفراء ، تبدو فيها نقط زرقاء فاتحة اللون . | الارتفاع : ١٠,٦ سم<br>قطر الجسم : ١٢,٨ سم<br>قطر الفوهة : ٨ سم |
| ٤ | ٥ — ٢ | وجد بالصالة بالقرب من الأواني السابقة . | موقد من الفخار (Brazier) زود بثلاثة حوامل أحدها مكسور أمكن ترميمه . زود الجسم بفتحتين مثلثتين إحداهما وهي الكبرى فوق الأخرى ، القاعدة مجوفة من الداخل . اللون أصفر باهت . | الارتفاع الكلي : ٢٩ سم<br>ارتفاع الجسم : ١٩ سم<br>قطر الفوهة : ١٩ سم<br>قطر القاعدة : ١٧ سم |
| ٥ | ٥ — ٢ | وجد بجوار الموقد السابق بالصالة . | موقد من الفخار (Brazier) له قاعدة اسطوانية الشكل مفرغة من الداخل ، فقد جزؤها الأسفل وهو الأكبر حجماً . زود الجسم بثلاثة حوامل ، مكسورة ، أمكن ترميمها . اللون أصفر باهت . | الارتفاع الكلي : ٣٣ سم<br>ارتفاع الجسم وجزء القاعدة المتبقي : ٢٣ سم<br>قطر الفوهة : ١٥ سم |
| ٦ | ٦ — ١ | وجدت بالحجرة رقم ٥ . | آنية فخارية صغيرة ، الفوهة واسعة ، الشفة عالية تتسع إلى أعلى ، وتلتصق الفوهة بالكتف مباشرة . الجسم منبعج قليلاً يبدأ من الفوهة بشكل مائل . لها مقبض واحد ، وقاعدة صغيرة بارزة . اللون بني فاتح ، توجد آثار من اللون الأسود داخل الفوهة وخارجها وعلى الجسم نتيجة الحرق . | الارتفاع : ١٢ سم<br>قطر الفوهة : ٨ سم<br>قطر القاعدة : ٣,٧ سم |

| الرقم | اللوحة | المكان | الوصف | المقاييس |
|---|---|---|---|---|
| ٧ | ٦ — ٢ | وجدت بالرديم الذي كان يغطي منطقة السلم الذي يؤدي إلى مدخل المقبرة . | آنية فخارية صغيرة ، كروية الشكل (Globular) الفوهة واسعة ، الشفة تنثني إلى الخارج . بقي مقبض واحد ، والمقبض الثاني ضمن الجزء المكسور من الفوهة والجسم . أحيط الجسم بحزوز أفقية نتيجة الاستدارة على عجلة الفاخوري. (Wheed ridged-body) .القاعدة مستديرة (Rounded base) . اللون أسود | الارتفاع : ٨,٩ سم<br>قطر الجسم : ٨,٤ سم<br>قطر الفوهة : ٨,٥ سم |
| ٨ | ٧ | وجدت في الصالة أمام الجدار الذي يفصل بين الحجرتين ١، ٢ ومدخل الحجرة رقم ٢ على مسافة ٦٠ سم، الارتفاع من الآنية حتى السقف ١٥٠ سم . | جرة سليمة من الفخار (Amphora) الجسم أسطواني ينتهي في شكل انسيابي عند قاعدة رفيعة تنتهي بعقدة ( Bunt toe ) الرقبة طويلة ، الشفة سميكة . المقابض مزدوجة (Double rolled-handles) ، اللون أحمر فاتح يميل إلى الاصفرار ، بقيت على الجسم آثار بقع داكنة . | الارتفاع : ٨٤ سم<br>قطر الجسم : ١٧,٥ سم<br>قطر الفوهة : ١٢ سم<br>طول الرقبة : ١٦ سم |
| ٩ | ٨ | وجدت على يمين المدخل في الصالة، أمام مدخل الحجرة رقم ١ ، الارتفاع من الآنية حتى السقف ١٥٦ سم . | آنية فخارية ، ابريق (Juglet) الفوهة زودت ببلبلة للسكب (Spout) الجسم منبعج فوق قاعدة صغيرة مسطحة غائرة قليلاً من الوسط . تحيط بالجسم والفوهة حزوز أفقية نتيجة الاستدارة على عجلة الفاخوري (Wheel-ridged body) ، زود الإبريق بمقبض، الرقبة انسيابية . اللون رمادي داكن . | الارتفاع : ٢٣ سم<br>قطر الجسم : ١٤,٥ سم<br>قطر الفوهة : ٧,٥ سم<br>قطر القاعدة : ٩ سم<br>طول المقبض : ٨ سم |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ١٠ | ٩ — ١ | وجدت بالحجرة رقم ١ ،الارتفاع من الآنية حتى السقف ١٥٥ سم . | آنية دهون عطرية (Unguentarium) من الفخار ، الشكل بصلي ، (Bulbous) برقبة طويلة رفيعة ، الشفة تنثني إلى الخارج . قاعدة صغيرة مسطحة (Flat base) . اللون بني ، وغطيت الرقبة والسطح الداخل بطبقة بنية داكنة . | الارتفاع : ١٠,٥ سم<br>قطر الجسم : ٤سم<br>قطر القاعدة : ٢سم<br>قطر الفوهة : ٢,٥سم<br>طول الرقبة : ٤,٥سم |
| ١١ | ٩ — ٢ | وجدت بالحجرة رقم ٦ ومعها بقية الارقام ١٢ ، ١٣ ، ١٤ . الارتفاع من الأواني حتى السقف ١٦٠ سم . | تنطبق عليها أوصاف رقم١٠ولكن الجسم أوسع ، والرقبة أوسع أيضاً . | الارتفاع : ٩ سم<br>قطر الجسم : ٥ سم |
| ١٢ | ٩ — ٢ | » » | شكل مصغر من الآنية رقم ١١ وصورة طبق الأصل منها . | الارتفاع : ٧,٢ سم<br>قطر الجسم : ٣,٨ سم |
| ١٣ | ٩ — ٢ | » » | تنطبق عليها أوصاف رقم ١٠ ، ١٤ ، ولكن الجزء الأعلى من الرقبة مكسور . | الارتفاع فيالجزء المكسورة ٨,٥ سم<br>قطرالجسم : ٣ سم |
| ١٤ | ٩ — ٢ | » » | تنطبق عليها أوصاف رقم ١٠ ، ١٣ . | الارتفاع : ١٢,٥ سم<br>قطر الجسم : ٥ سم<br>قطرالقاعدة : ٢ سم<br>قطر الفوهة : ٣ سم<br>طول الرقبة : ٥,٥ سم |

| الرقم | اللوحة | المكان | الوصف | المقاييس |
|---|---|---|---|---|
| ١٥ | ١٠ – ١ | عثر عليها في الحجرة رقم ٦ مع مجموعة الأواني السابقة . | مجموعة من الأواني الزجاجية الصغيرة المعروفة كذلك باسم « Unguentaria » ، إحداها سليمة تقريباً والاواني الباقية مكسورة . أخذت شكل الأواني الفخارية السابقة « Unguentaria » أرقام١٠–١٤ ، ولكنها أصغرحجماً. | المقاييس متفاوتة نظراً لأن معظم الأواني مكسورة |
| ١٦ | ١٠ – ٢ | » » | مجموعة من الأواني الزجاجية الصغيرة المعروفة كذلك أيضاً باسم (Unguentaria) بعضهاكامل وبعضها الآخر مكسور ، ولكنها أخذت شكل أنابيب الاختبار (Test-tube like Unguentaria) | |
| ١٧ | ١١ – ١ | وجد في المشكاة ( Niche ) ، التي تطل على الردهة . | مصباح فخاري سليم – زود بفتحتي فتيل (Nozzles) طويلتين تستدير نهايتهما . أحيطت كل فتحة على جانبيها بزوج من الحلزونيات (Volutes) .توجد عروتان وضعتا أفقياً على جانبي الجسم (Side lug-handles) . عند نهاية المصباح وضع المقبض الدائري المزدوج (Double rolled handle) رأسياً وصيغ مع الجسم . القرص (Discus) غائر فيالوسط زين بزخرفة وردية بارزة على شكل الألسن (Tongue - rosettes) تفصلها عن المحيط الخارجي للمصباح دائرة مركزية . الطينة صفراء داكنة عليها طبقة من الطلاء الأسود بقيت على السطح الأعلى . | القطر عند أعلى الجسم : ٩,٥ سم<br>ارتفاع الجسم : ٤,٢ سم |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ١٨ | ١١ ــ ١ | وجد في المشكاة التي تطل على الردهة مع رقم ١٧ . | مصباح فخاري غير سليم ، صورة طبق الأصل من المصباح السابق رقم ١٧ . امكن ترميم فتحتي الفتيل ، وفقد الجانب الأيمن للجسم والجزء الموجود بين فتحتي الفتيل وكذلك القاعدة . | نفس مقاييس رقم ١٧ |
| ١٩ | ١١ ــ ٢ | وجد في الحجرة رقم ٥ . | مصباح فخاري سليم ، زود بفتحتي فتيل طويلتين تستدير نهايتهما ، احيطت كل فتحة على جانبيها بزوج من الحلزونيات . عند نهاية المصباح وضع المقبض رأسياً وفوقه الوصلة المثلثة الشكل (Triangular attachment) يتمثل عليها زخرفة نباتية بارزة في شكل نخيلي (Palmette pattern) . القرص الغائر ويتمثل عليه زخرفة الألسن (Tongue rosettes) وهي أكثر إتقاناً من المصابيح السابقة ، يفصله عن محيط الجسم دوائر مركزية بارزة . الطينـة صفراء ضارية إلى اللون البني عليها طبقة طلاء بنية اللون . | القطر عند أعلى الجسم : ١٠,٢ سم<br>ارتفاع الجسم : ٣,٦ سم |
| ٢٠ | ١١ ــ ٢ | وجد في الحجرة رقم ٥ مع رقم ١٩ . | صورة طبق الأصل من المصباح رقم ١٩ | نفس مقاييس رقم ١٩ . |
| ٢١ | ١٢ ــ ١، ٢ | وجد في الحجرة رقم ٦ . | مصباح فخاري سليم ، زود بفتحتي فتيل طويلتين تستدير نهايتاهما ، أحيطت كل فتحة على جانبيها بزوج من الحلزونيات . عند نهاية المصباح وضع المقبض رأسياً | القطر عند أعلى الجسم : ٧,٨ سم<br>ارتفاع الجسم : ٣,٥ سم |

| الرقم | اللوحة | المكان | الوصف | المقاييس |
|---|---|---|---|---|
| | | | تعلوه الوصلة المثلثة الشكل ، تتمثل عليها زخرفة بارزة تمثل الهلال وفوقه النجمة . يوجد آثار الحريق على فوهتي فتحتي الفتيل . يتمثل على القرص الغائر إناء في شكل بارز ، له مقبضان ويظهر على الجسم حزوز أفقية ، وربما يمثل كأساً للشراب . يوجد على قاعدة المصباح ، البارزة قليلاً ، ختم يمثل اختصاراً للاسم الثلاثي لصانع المصباح ويقرأ كالتالي : CIVNALEX وهي تعني الاسم : C. Junius Alexis والطينة رمادية عليها طبقة طلاء بنية اللون ضاربة إلى الحمرة . | |
| ٢٢ | ١٣ — ١، ٢ | وجد في الحجرة رقم ٦ مع رقم ٢١ . | مصباح فخاري سليم ، زود بفتحتي فتيل طويلتين تستدير نهايتهما. على الكتف خلف كل فتحة فتيل يوجد بروز دائري تتوسطه دائرة ، وحول فوهة فتحة الفتيل صف دائري من الدوائر الصغيرة الغائرة . عند نهاية المصباح وضع المقبض رأسيا تعلوه الوصلة المثلثة الشكل التي أخذت شكل ورقة نبات . يحيط بالقرص شريطان تتمثل عليهما زخرفة نباتية بارزة تفصلها دوائر مركزية بين الشريطين وعند فتحة الزيت وكذلك عند محيط جسم المصباح . يوجد على قاعدة المصباح، البارزة قليلا، ختم يمثل اختصاراً للإسم الثلاثي لصانع المصباح ويقرأ كالتالي: | القطر عند أعلى الجسم : ١٠،٣سم<br>ارتفاع الجسم : ٣،٦ سم |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | | | CIVNDRAC والكلمة تعني الاسم : C. Junius Draco<br>الطينة رمادية عليها طبقة طلاء بنيــة ضاربة إلى اللون الأحمر الفاتح . | |
| ٢٣ | ١٤ — ١ | وجد في الحجرة رقم ٦ . الارتفاع من الحامل حتّى السقف ١٦٠ سم . | حامل مصباح (Lamp stand) من الطــين المحروق ، الشكل أسطواني مجوف به حزوز افقية ، فقدت قمة الحامل ويتسع الجسم الاسطواني في الاتجاه إلى أسفل حتّى القاعدة الدائرية الواسعة . اللون احمر فاتح . | الارتفاع : ٤٥ سم<br>القطر عند الجزء المكسور : ٦,٥ سم<br>قطر القاعدة : ١٧,٥ سم |
| ٢٤ | ١٤ — ٢ | وجد في الحجرة رقم ٦ بالقرب من رقم ٢٣ . الارتفاع من الحامل حتّى السقف ١٦٥ سم . | حامل مصباح من الطين المحروق ، الجسم أسطواني مجوف ، فقدت القاعدة المكسورة . يتسع الجسم نحو القاعدةوقد زين بأشرطة حمر أفقية . اللون احمر فاتح . | قطر الفوهة : ٧,٥ سم<br>الارتفاع حوالى : ٣٨سم |
| ٢٥ | ١٥ — ١، ٢ | وجد في الحجرة رقم ٣ . الارتفاع من السهم حتّى السقف ١٦٥ سم . | نصل سهم برنزي له رأس مدبب ، أخذت قاعدته شكلاً متعرجاً ، ربما ليسهل تثبيته في النصاب . تراكم عليه الصدأ ، رمم عند قاعدته . | الطول : ٤ سم |
| ٢٦ | ١٦ — ١ | وجد في الحجرة رقم ٦ . الارتفاع من القرص حتّى السقف ١٦٠ سم. | قرص برنزي تراكم عليه الصدأ ، يمثل مرآة أخذت حافتها شكلاً هندسياً متعرجاً ما عدا جزءاً من القطر ، لعله كان المكان المخصص لمقبض المرآة . | القطر : ١٢ سم<br>السمك : ١ سم |
| ٢٧ | ١٦ — ١ | وجد في الحجرة رقم ٢ . الارتفاع من القرص حتّى السقف ١٦٥ سم. | قرص برنزي تراكم عليه الصدأ ، يمثل مرآة ، كسر جزء من حافتها . | القطر : ١١ سم<br>السمك : ٠,٢ سم |

| الرقم | اللوحة | المكان | الوصف | المقاييس |
|---|---|---|---|---|
| ٢٨ | ١٦ – ٢ | وجد في الصالة امام الحجـرة ٦ . الارتفاع من التمثال حتى السقف ١٦٠ سم . | تمثال نسائي صغير (Statuette) ، مكسور إلى عدة أجزاء، له قاعدة ، ملامحه غير مكتملة. نحت من المرمر الأبيض . | الارتفاع حوالي : ١٥سم |
| ٢٩ | ١٧ – ١ | وجدت في إحدى الجرار التي تحوي العظام . | اوزة من الزجاج الأبيض ، وجدت محطمة ، ولكن امكن تجميع اجزائها . | ارتفاع الجسم : ٣ سم<br>طول الرقبة : ٤ سم<br>طول الجسم حوالي : ٢٠ سم |
| ٣٠ | ١٧ – ٢ | وجد في الردم الذي كان يغطي درجات السلم . | شاهد قبر فقد جزؤه الأعلى ، يتمثل على لوحته الغائرة نحت بارز يمثل إنساناً يقف في قارب – يوجد على قاعدة الشاهد نقش في نحت غائر ويقرأ : « AYKA » | الارتفاع حتى الجزء المكسور : ٣٠ سم<br>العرض : ٢٥ سم |

# وصف المخلفات الأثرية

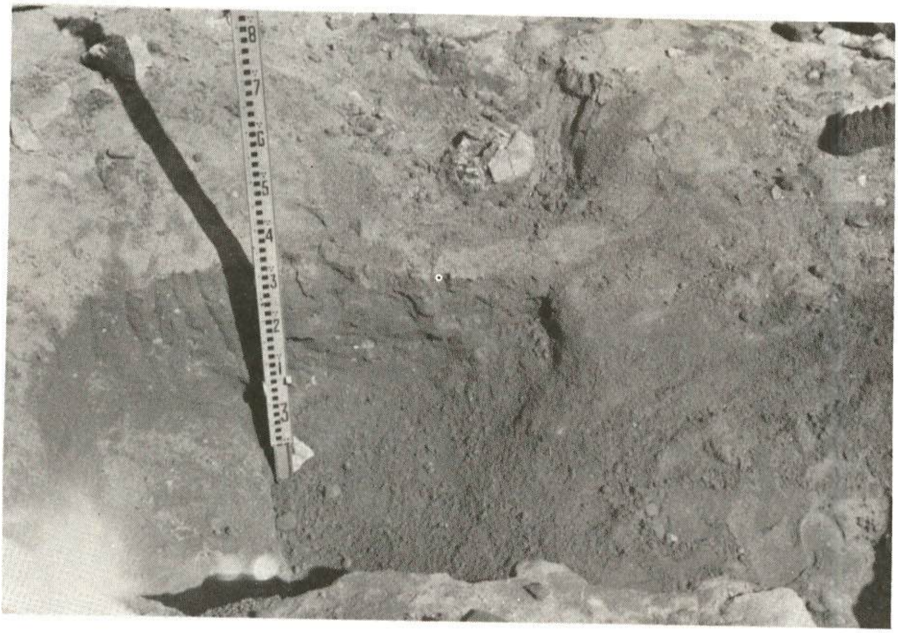
## المقبرة الثانية

| الرقم | اللوحة | المكان | الوصف | المقاييس |
|---|---|---|---|---|
| ١ | ٢٢ – ١ | وجدت في الردهة على بعد ١٧ سم أمام الحجرة رقم ٢ . الارتفاع من الآنية حتى السقف ١٢٤ سم . | آنية فخارية صغيرة ، الفوهة مستديرة ، الشفة مزدوجة أوسع من الرقبة وبها جزء مكسور . الرقبة ضيقة . شكل الجسم كروي على قاعدة دائرية بارزة . مقبض واحد مزدوج يرتفع من الكتف ثم ينثني في زاوية حادة ليلتقي بالرقبة أسفل الشفة . الطينة رمادية سوداء عليها طبقة من اللون البني الضارب إلى الصفرة . | الارتفاع : ١٧,٥ سم<br>قطر الفوهة : ٤ سم<br>طول الرقبة : ٥,٥ سم<br>قطر القاعدة : ٥,٧ سم<br>قطر الجسم : ١٣ سم |
| ٢ | ٢٢ – ٢ | وجدت في الحجرة رقم ١ . | آنية فخارية صغيرة ، الشفة سميكة بارزة ، الرقبة ضيقة وقصيرة . مقبض واحد مزدوج . الجسم يخرج في شكل انسيابي ثم ينبعج في زاوية منفرجة قرب القاعدة وأسفل منطقة الوسط . القاعدة دائرية بارزة . الطينة بنية فاتحة يتخللها نقط فاتحة اللون . | الإرتفاع : ١٢ سم<br>قطر الفوهة : ٣,٨ سم<br>طول الرقبة : ٤ سم<br>قطر القاعدة : ٤,٥ سم<br>قطر الجسم ( عند أوسع جزء ) : ١١ سم . |

| الرقم | اللوحة | المكان | الوصف | المقاييس |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| ٣ | ٢٣ – ١ | وجدت في الحجرة رقم ١ ، وعلى المنصة(٣)في نهاية الصالة متناثرة على الرمال . | مجموعة من الأواني الزجاجية «أ» ، أخــذت الشكل البصلي – الرقبة طويلة . عددها خمس ، بعضها سليم وبعضها الآخر كسرت بعض أجزائه . | المقاييس بالنسبة لأحــد النماذج :<br>الارتفاع : ٤,٥ سم<br>قطر الجسم : ٣ سم |
| ٤ | ٢٣ – ٢ | وجدت على المنصة (٣) في نهاية الصالة متناثرة على الطبقة الرملية . | مجموعة من الأواني الزجاجية « ب » أخــذت شكل أنابيب الاختبار ، وتنوعت أحجامها ، عددها سبع . بعضها سليم وبعضها الآخر كسرت بعض أجزائه . | المقاييس بالنسبة لأحــد النماذج :<br>الارتفاع : ١٢ سم<br>قطر الفوهة : ٢,٢ سم<br>القطر عند القاعدة : ١,٣سم |
| ٥ | ٢٤ | وجدت في الحجرة رقم ١ متناثرة على الطبقة الرملية . | مجموعة من الأدوات الزجاجية ، لعلها كانت تستخدم في التجميل بالنسبة للنساء ؟ | الطول بالنسبة لأكبر نموذج : حوالى ١٤ سم . |

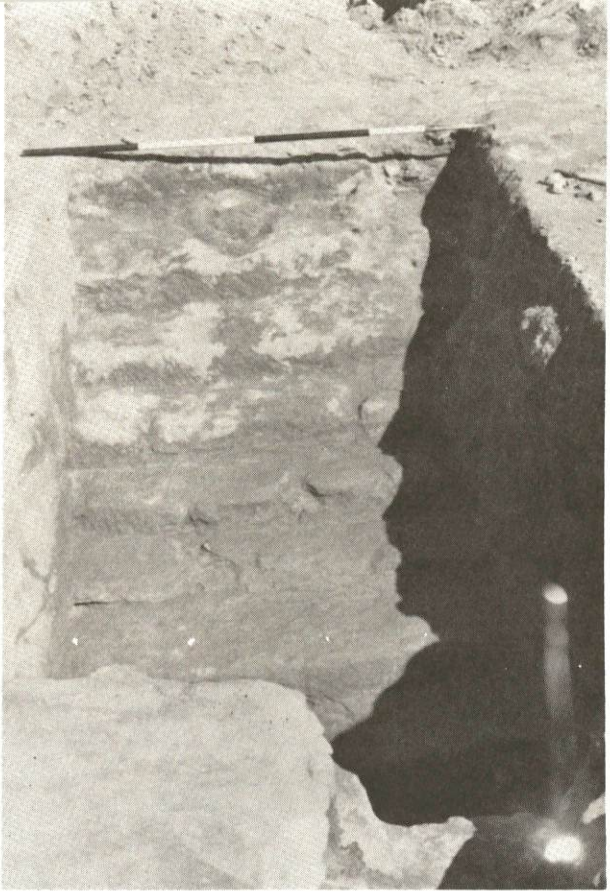
# صور من الحفريات

١



١ – بداية العمل في المقبرة الأولى ، وتظهر منطقة السلم أمام المدخل قبل إزالة الردم ، وتظهر أيضاً جمجمة من بقايا دفنات الجبانه الإسلامية .

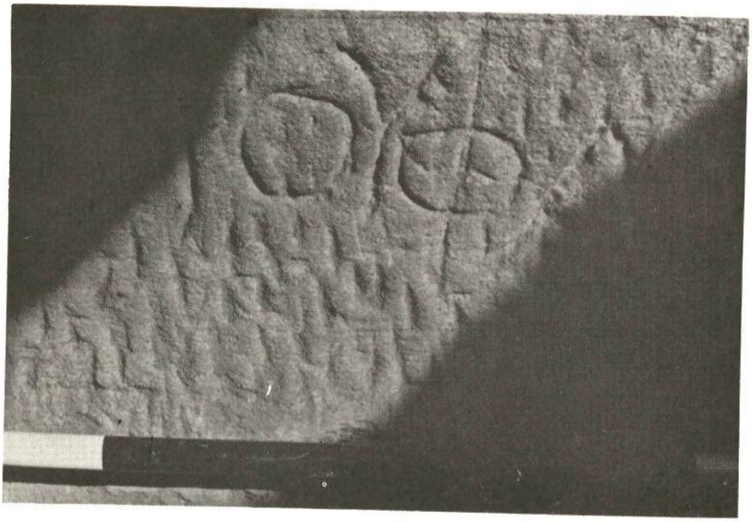
٢



١ – السلم يبدو واضحاً بعد إزالـة الأتربة – المقبرة الأولى .



٢ – الأرضية المستطيلة التي تمتد نهاية السلم وتقف عليها اللوحة الحجرية المستطيلة التي تغلق المدخل ، ويظهر الجزء الأسفل من اللوحة – المقبرة الأولى .



١ ـ نقش على الحائط يقرأ « ΠΟΨΦΑ » فوق حفرة اللحد رقم ٢ .



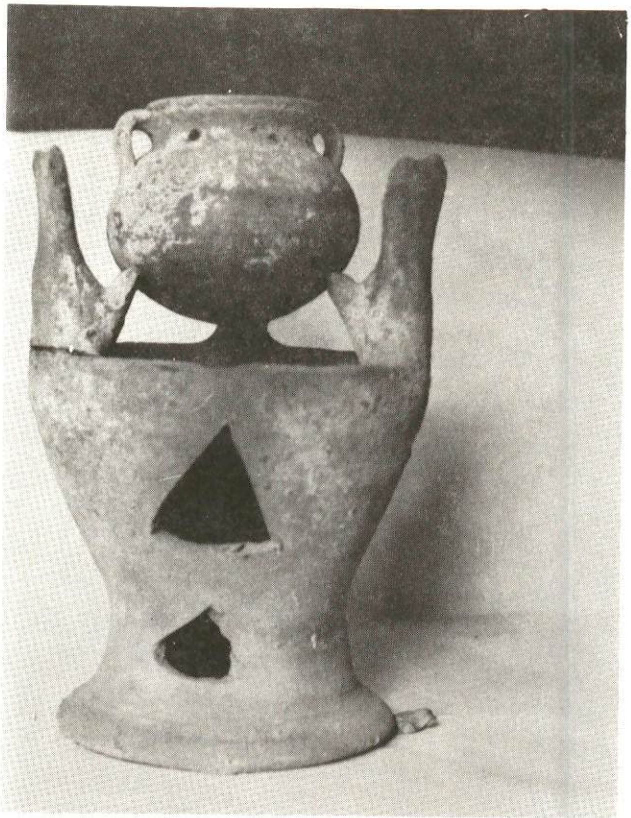
٢ ـ حفرة لحد منحوتة في الصخر تحوي عظام وجمجمة لدفنة سابقة ، تحت النقش ١ .



١ – آنية مطبخ رقم ١ .




٢ – أواني المطبخ أرقام ٢ ، ٣ .



١ – تصور لوضع الآنية رقم ٢ على الموقـــد رقم ٤ .



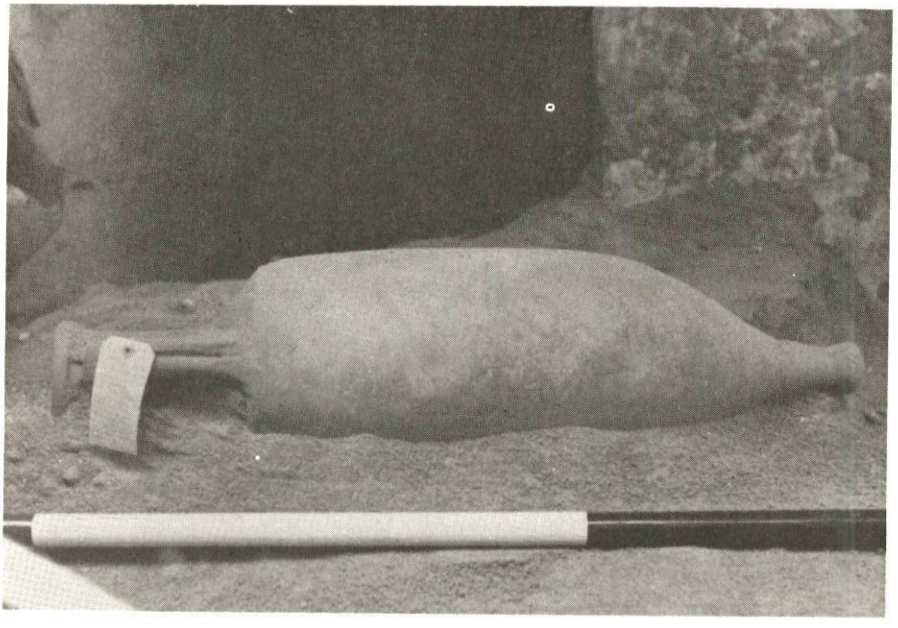
٢ – المواقد ٤ ، ٥ .



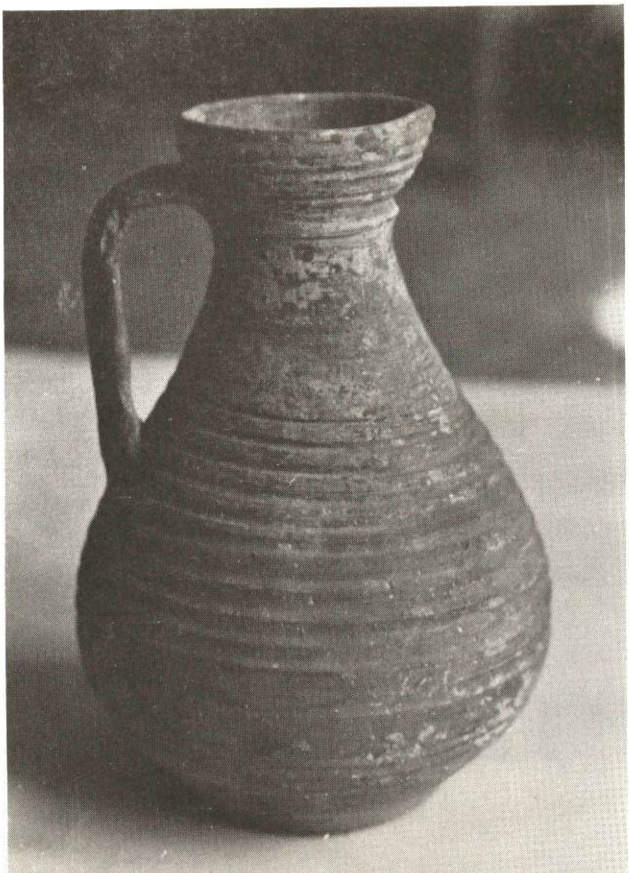
١ - الآنية رقم ٦ .



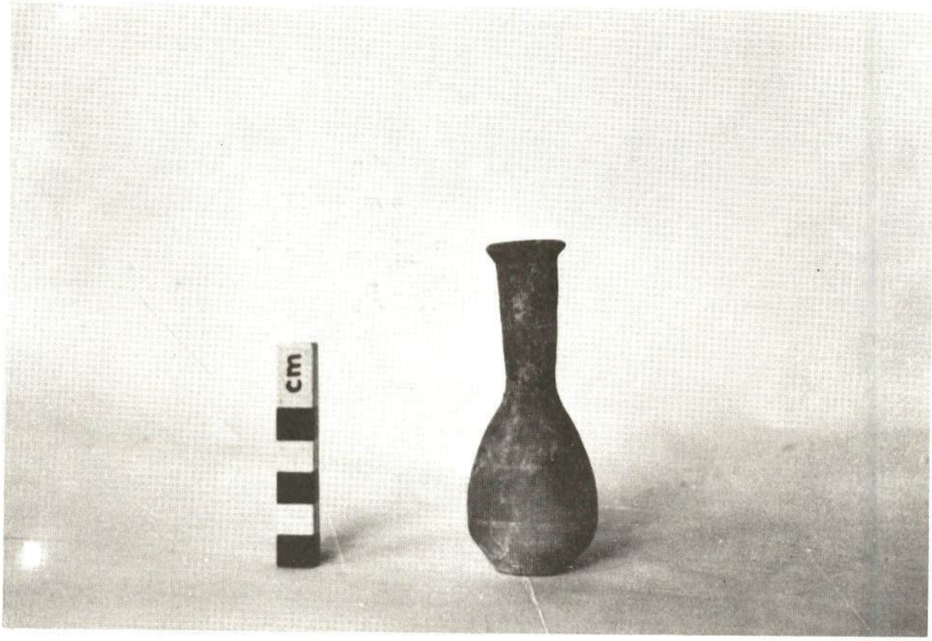

٢ - الآنية رقم ٧ .



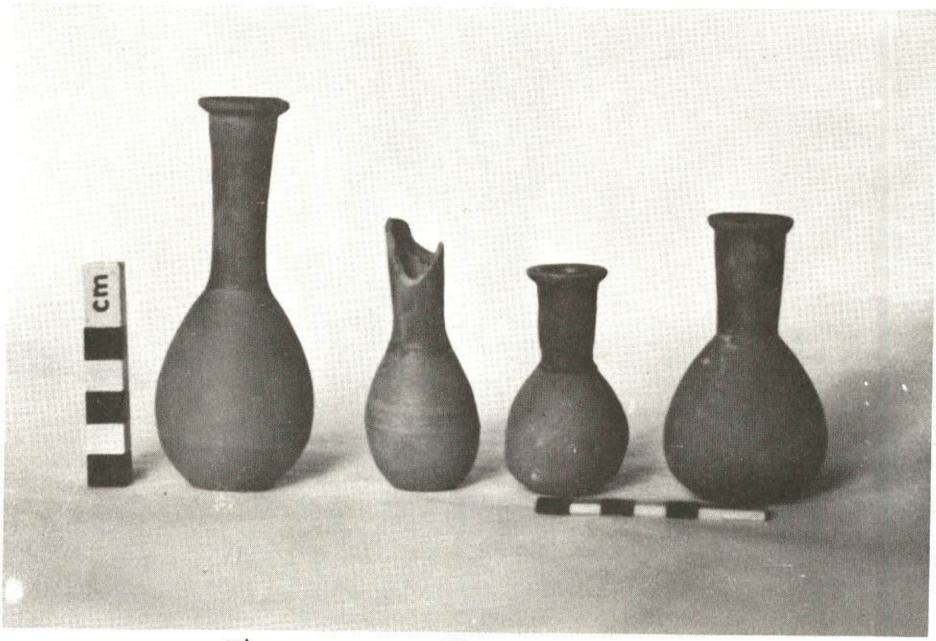
جرة ( Amphora ) رقم ٨ .



إبريق ( Juglet ) رقم ٩ .




١ – الآنية رقم ١٠ ( Ungnentarium ) المجموعة الأولى .




١١ ١٢ ١٣ ١٤

٢ – الأواني أرقام ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ( Ungnentaria ) المجموعة الأولى .



١ – المجموعة الثانية أ رقم ١٥ ( Ungmentaria ) .



٢ – المجموعة الثانية ب رقم ١٦ ( Ungmentaria ) .

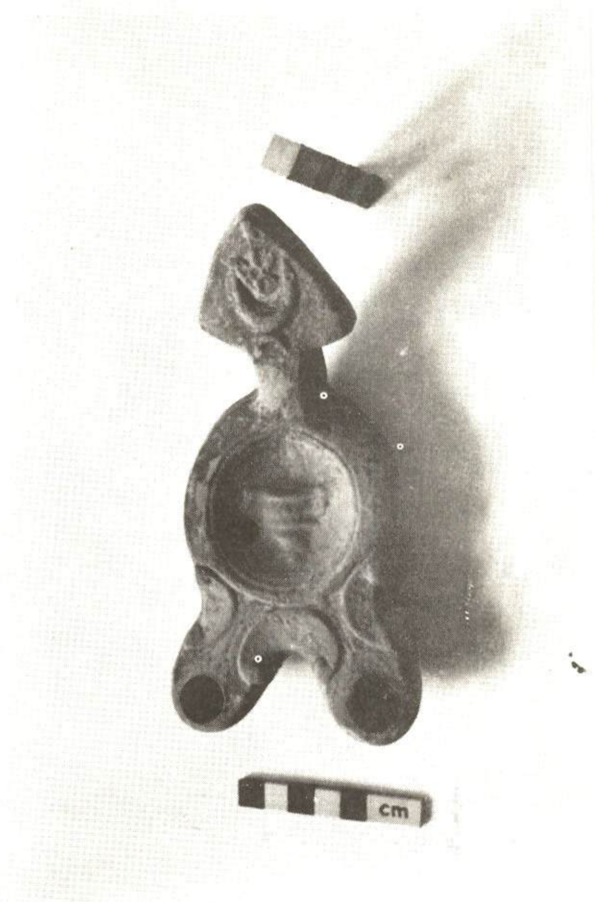



١ – المصباحان أرقام ١٧ ، ١٨ .



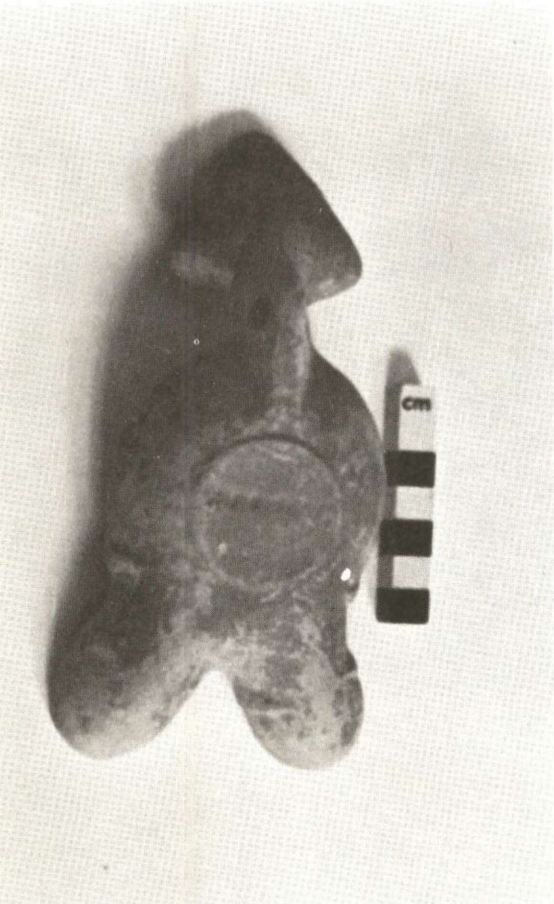
٢ – المصباحان أرقام ١٩ ، ٢٠ .

١٢



١ – المصباح رقم ٢١ .

٢ – صورة خلفية للمصباح رقم ٢١ .



١٣



١ – المصباح رقم ٢٢ .

٢ – صورة خلفية للمصباح رقم ٢٢ .



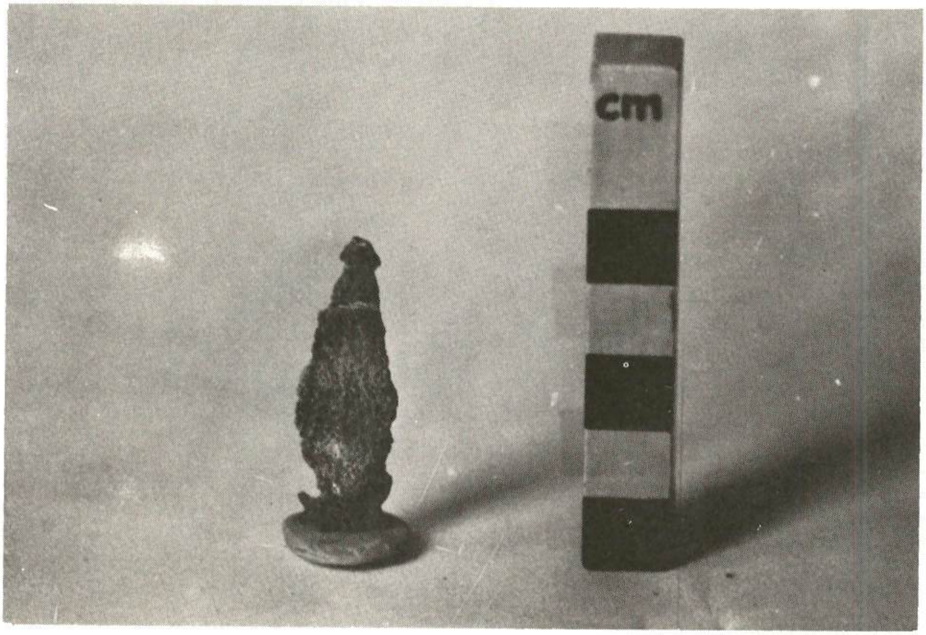
١٤



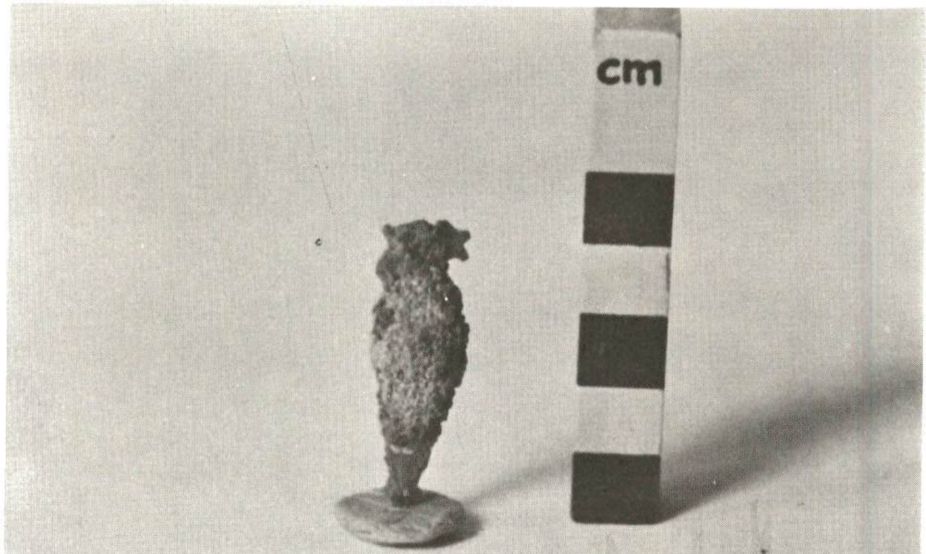
١ – قاعدة رقم ٢٣ وتستخدم في حمل أحد المصابيح .



٢ – قاعدة رقم ٢٤ وتستخدم في حمل أحد المصابيح .




١ – صورة تظهر فيها الرأس المدببة لسهم رقم ٢٥ .




٢ – صورة تظهر فيها قاعدة السهم رقم ٢٥ .

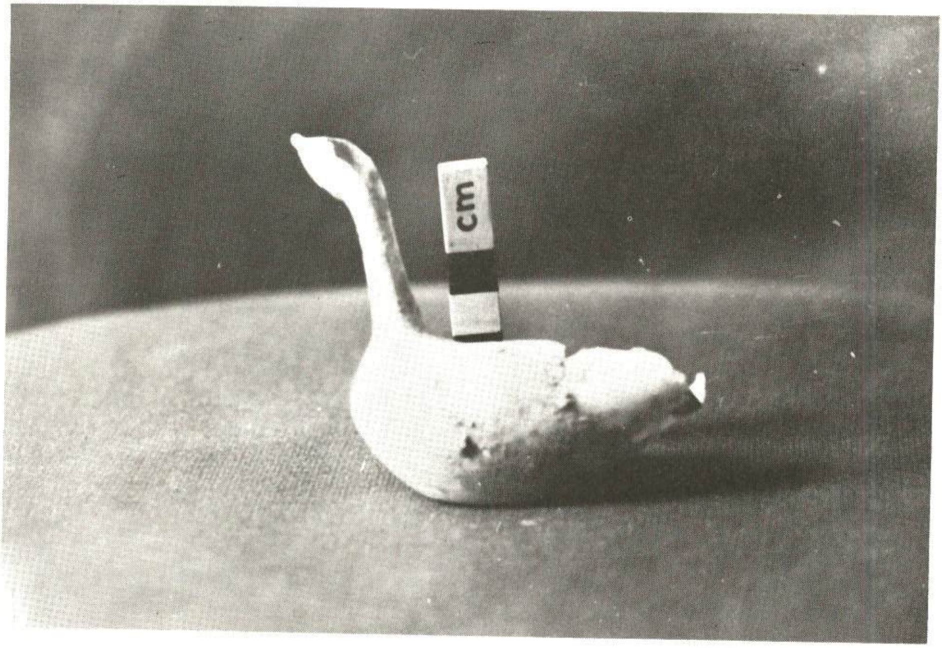



٢٧ ٢٦

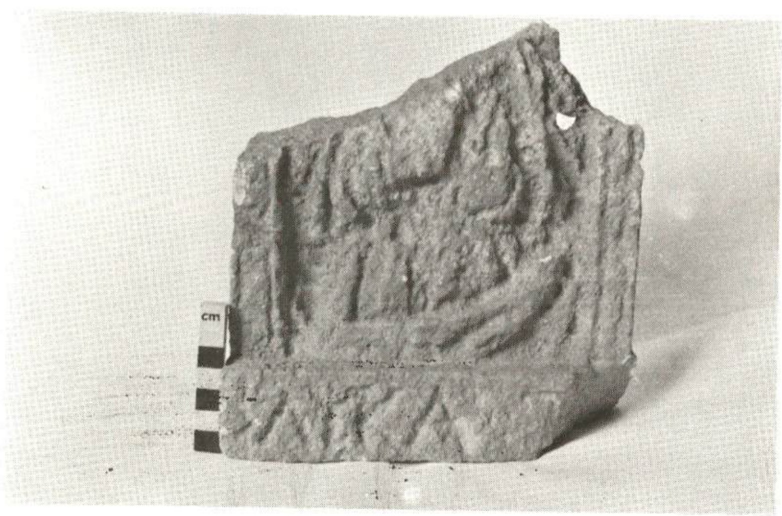
١ — قرصان من البرنز أرقام ٢٦ ، ٢٧ .



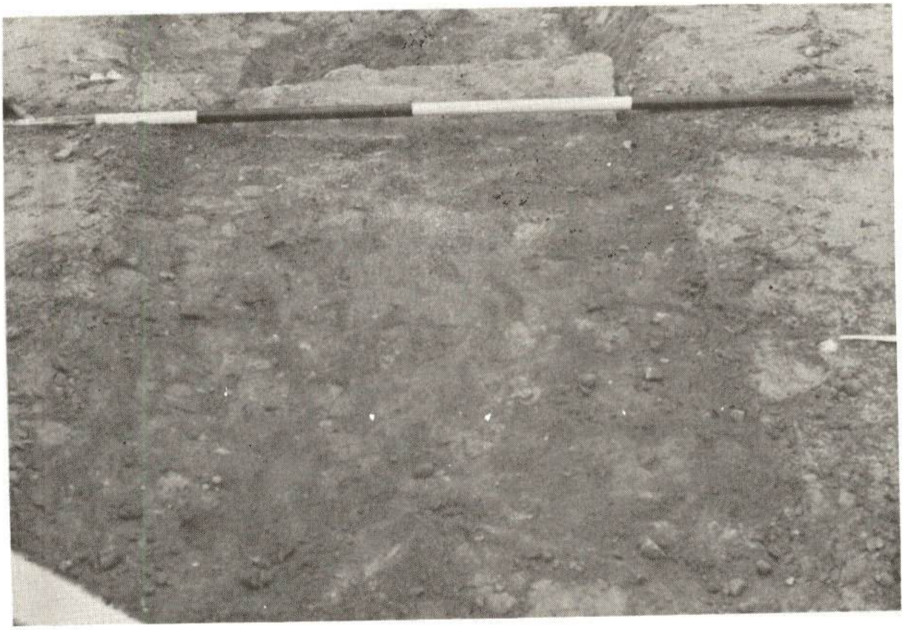

٢ — تمثال صغير من المرمر رقم ٢٨ ومعه قاعدته وأجزاؤه المكسورة .



١ — شكل يمثل الاوزه رقم ٢٩ .



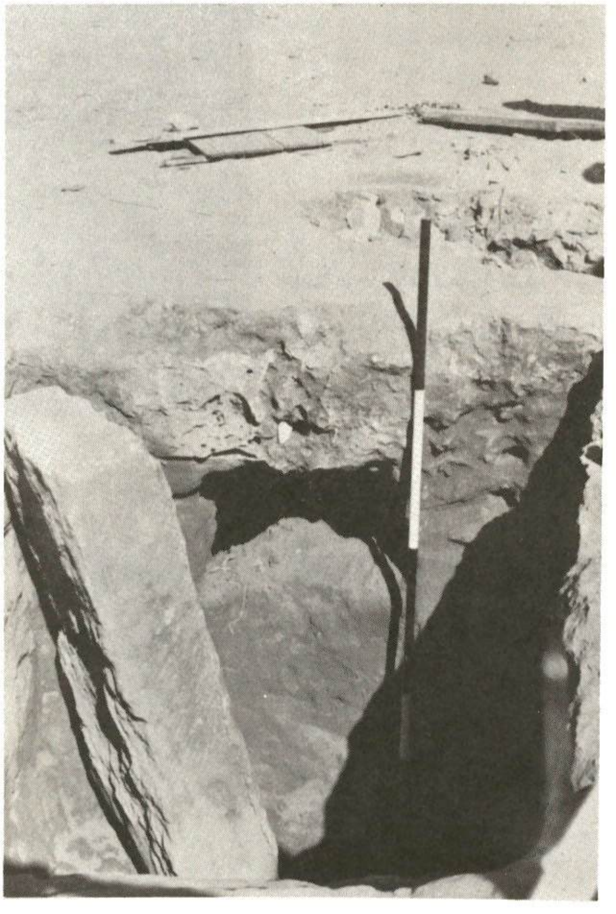
٢ — شاهد قبر ويقرأ على أسفله النقش « AYKA » رقم ٣٠ .



١ – منطقة السلم أمام المدخل عند بداية الحفر في المقبرة الثانية .

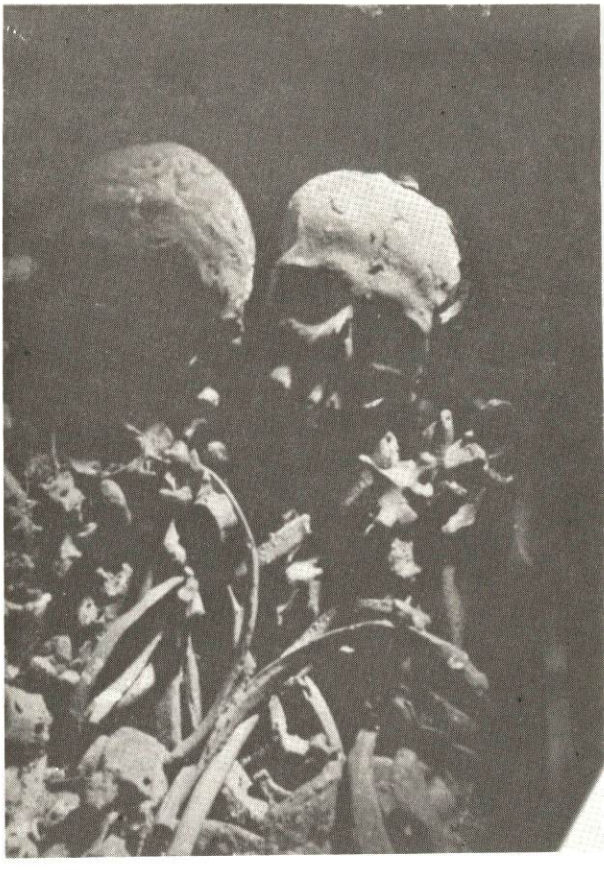


٢ – اللوحة الحجرية التي تغلق المقبرة الثانية وقد ظهرت بعد تنظيف منطقة السلم .

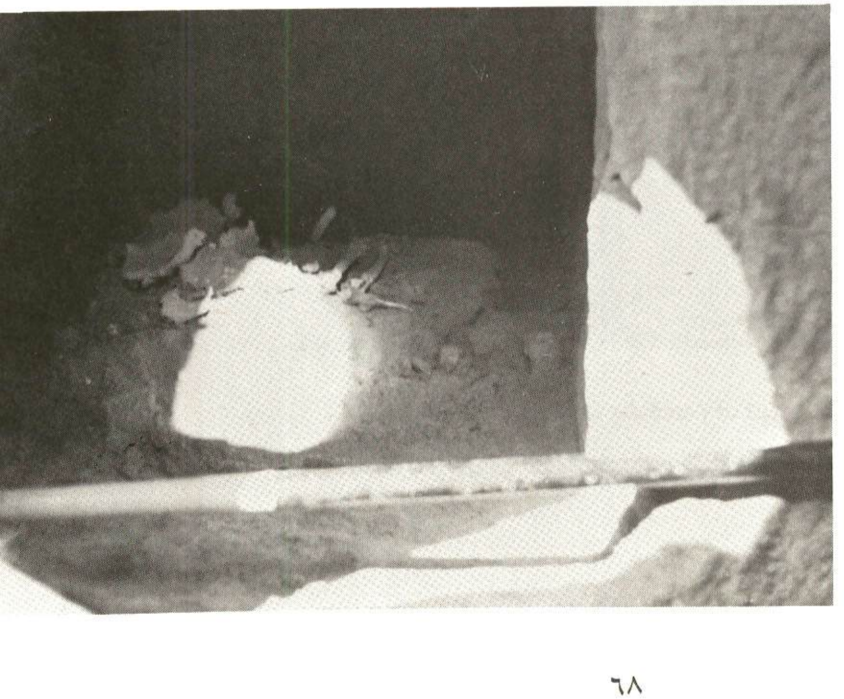


١ ـ مدخل المقبرة الثانية بعد فتحه وقد ظهرت منه
الرمال التي تشغل جزءاً من صالة المقبرة .

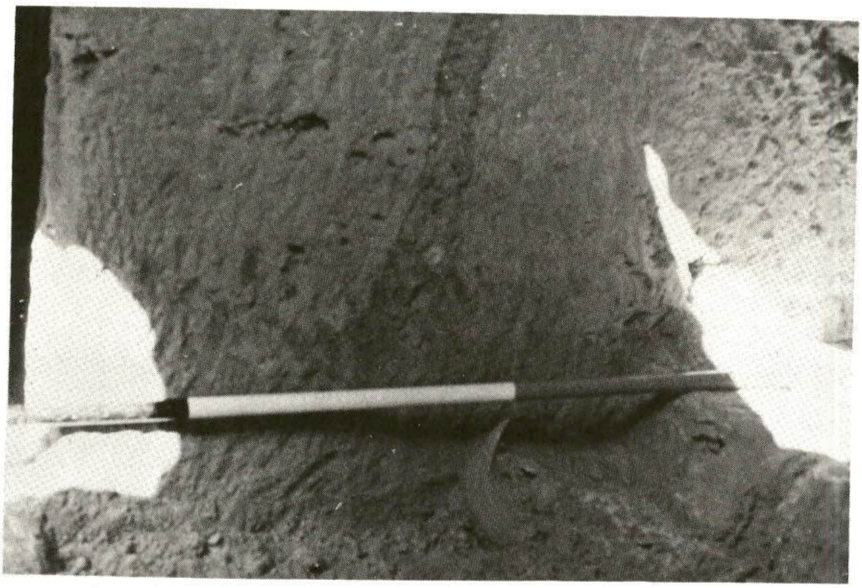
٢٠



١ – طريقة تجميع العظام والجماجم وهي خاصة برجل وأمرأة من الحفرة «أ» (Cyste-grave) الحجرة رقم ١ – المقبرة الثانية .



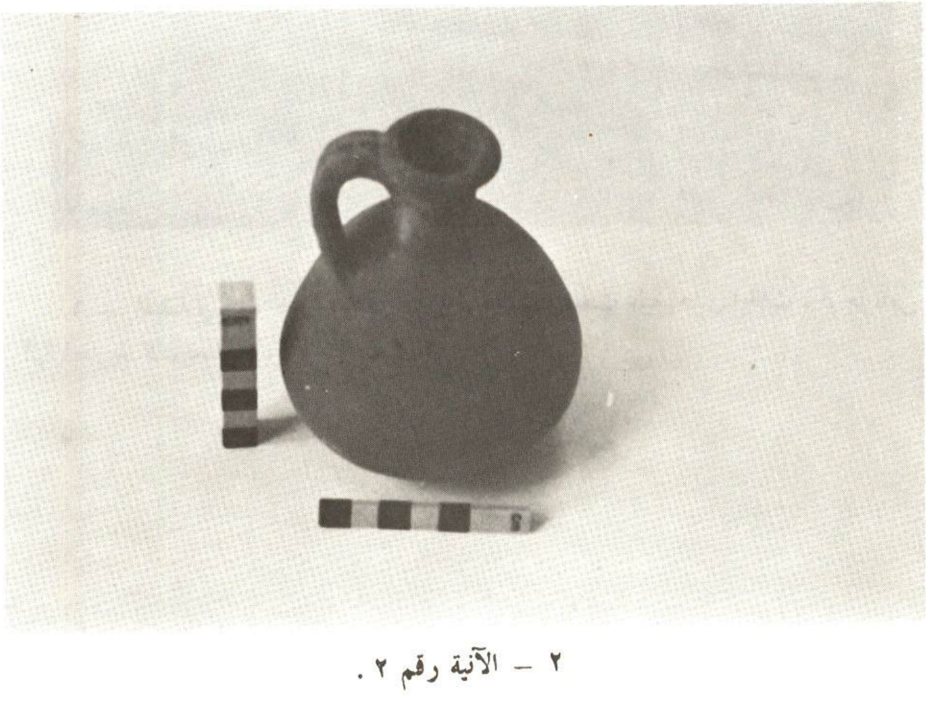
٢ – الحجرة رقم ٢ في المقبرة الثانية ، وتظهر فيها الحفرة « ب » قبل رفع الغطاء الحجري عنها .



١ ــ المنصة في نهاية الصالة ويظهر منها الجزء الذي وضعت عليه إحدى الجثث ، ثم جزء من آنية فخارية كان يسند رأس هذه الجثة .



١ - الآنية رقم ١ .



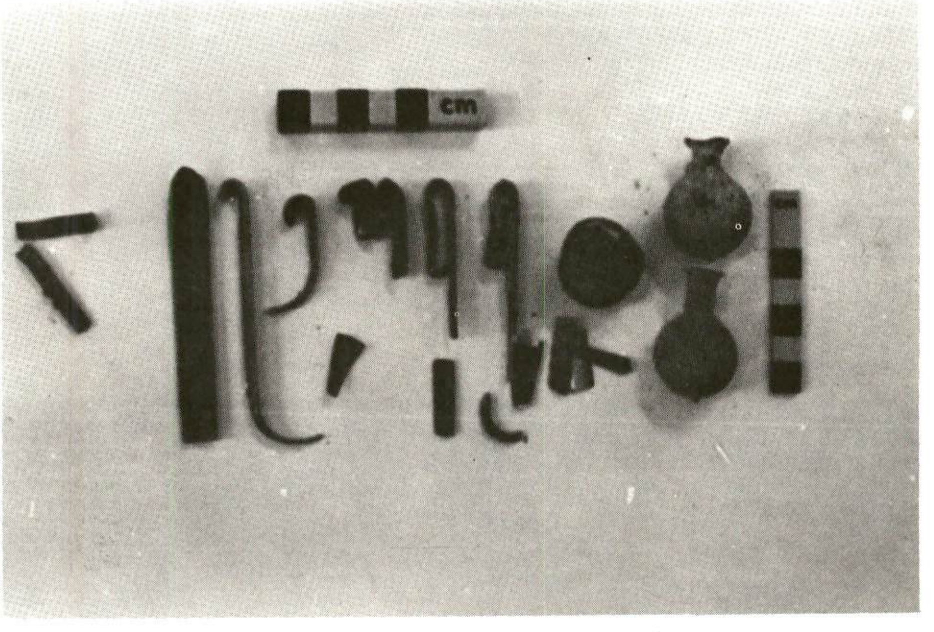
٢ - الآنية رقم ٢ .



١ - مجموعة الأواني الزجاجية أ رقم ٣ .



٢ - مجموعة الأواني الزجاجية ب رقم ٤ .




مجموعة من الأدوات الزجاجية رقم ٥ ومعها أواني زجاجية أخرى .

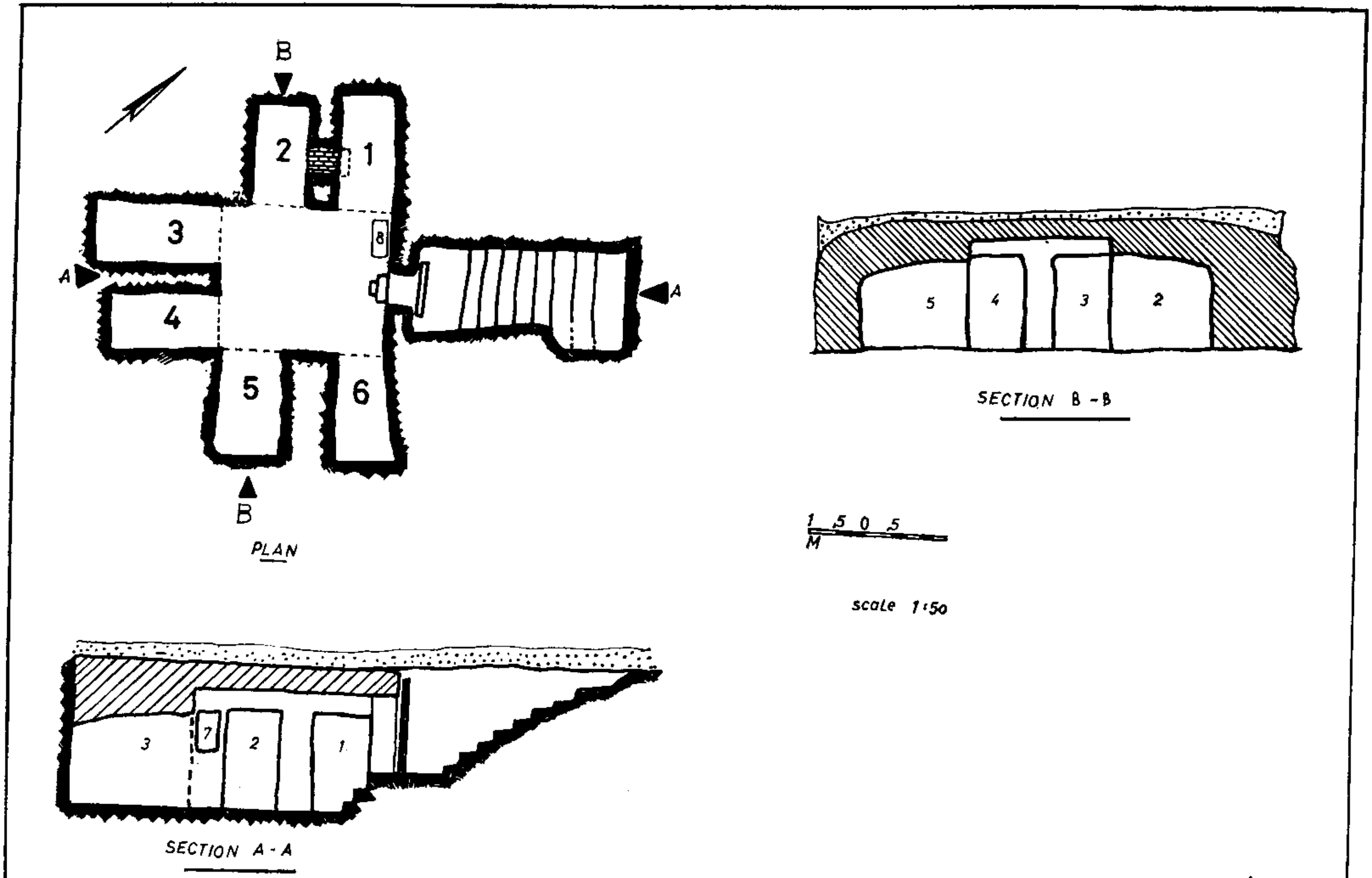



Fig .1. Plan and Sections of Tomb·A _ Sidi Hussein - (شكل ١)

Mamdouh

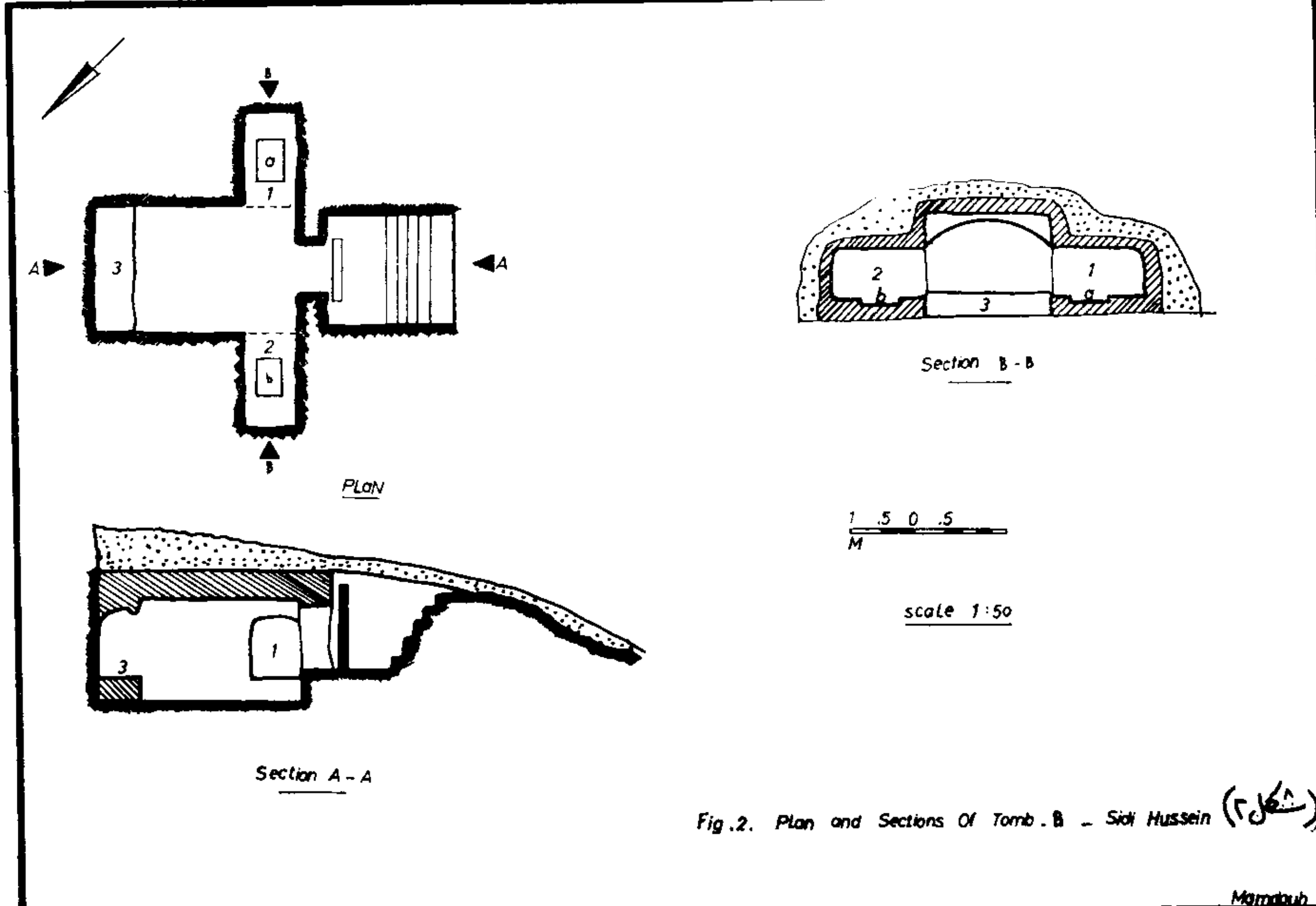



Fig.2. Plan and Sections Of Tomb. B _ Sidi Hussein (شكل ٢)

# مُعاويَة في الأساطير

سعيد الأفغاني

معنى الأساطير في معجماتنا العربية « الأحاديث لا نظام لها [١] » والأساطير «الأباطيل [٢] » «سطر علينا : اذا جاء بأحاديث تشبه الباطل » ، « وهو يسطر ما لا اصل له اي يؤلف » وسطر عليه : زخرف له الاقاويل ونمقها ، وتلك الاقاويل :«الاساطير » والواحد من الاساطير : أسطور وأسطورة وإسطير وإسطيرة وإسطار وإسطارة [٣] .

هذا الشرح إيضاح لما تعارف عليه الناس في العصور الاسلامية الاولى ، اما في اصل اللغة فالسطر الصف من كل شيء من شجر وكتابة وغيرها وسميت الكتابة سطراً لأن الاحرف والكلمات تكون فيها صفاً صفاً ، والحكاية اسطورة من حيث سرد حوادثها في نسق واحد بصرف النظر عن كونها حقاً أو باطلاً .

وأيٌّ كان فالاسطورة عند القدماء والمحدثين لا تخلو من زخرفة وباطل فاذا كان الأمر كذلك ففيم العناية بها وما جدوى بحثها ؟

ان هذه المخلفات من اساطير واحلام وقصص وخرافات تشيع بين العامة في مجتمعٍ ما لتقفنا على ما عجزت عن وقفنا عليه كتب التاريخ التي تعنى في

---

(١) القاموس المحيط .
(٢) الصحاح .
(٣) لسان العرب والقاموس والصحاح .

الغالب بالرسميات وما اليها ، انا نلمس في هذه المخلفات الشعبية حركات الجماهير وخلجات نفوسها ونعرف منازعها واهواءها ورغباتها،مما لا يهتم به كثير من المؤرخين الا عرضاً ، فكل همهم من التاريخ ذكر ما يجري في مجالس الحكم وفي ميادين الحروب ، ولهذا نجد تواريخهم سجلات باسماء القياصرة والاكاسرة والملوك والحكام والقواد والوزراء ، قلما نرى فيها اهتماماً باحوال العامة والشعوب ، بل جعلوها سجلات للرغبات الظافرة التي حققت في عالم الواقع بحيث لا نلمح فيها صورة لرغبة مكبوتة او عاطفة حبيس ولا بياناً للتيارات النفسية التي تقاذفت افراد الشعب عامة او بعض طبقاته. وما أحكم قول ( هـ . ب . تشارلتن ) حين يعرض لتعبير الاساطير عن الواقع فيقول عن الملك آرثر وملوك الجن وغيرها من الاساطير الخيالية انها : « تمثل جانباً من الحياة النفسية الحقيقية وان لم تصور الواقع المحسوس من أوضاع الحياة ، ذلك لانها تشبع في الناس أهواء ونزعات لا يشبعها عالم الواقع ، فهي في ذلك كأحلام اليقظة أو أحلام النوم تحقق للحالم أمانيه التي لم يستطع تحقيقها في دنياه » (١) .

* * *

يقولون ( ان التأليف العربي القديم طابعه الاستطراد ) ويريدون أنه غير محكم التبويب والتنسيق فكثيراً ما نرى فوائد تاريخية في غير مظانها كما نجد أدباً في كتب التاريخ لا نصيبه في كتب الأدب ، فعلى الباحث اذاً أن يطوف بتراث الفقهاء والاطباء والمؤرخين واللغويين والمحدثين والمفسرين .. وما علينا في موضوعنا اليوم أن ننحرف نحن أيضاً عن كتب التاريخ السياسي وكتب الادب ونرود مجاهل المكتبة العربية علّ نورا يسعى بين أيدينا إلى غايتنا ، ولنُفد من هذه الظاهرة التي بالغوا في تعميمها: ظاهرة الاستطراد .

---

(١) « فنون الادب » ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود – القاهرة سنة ١٩٤٥ م ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) .

في دار الكتب الظاهرية بدمشق مخطوطتان لتاريخ دمشق الكبير للحافظ ابن عساكر ، [1] عكفت على تفليتهما شهوراً طويلة فوجدت فيهما عوناً على موضوعنا ولفتاً للذهن إلى الطريق اللاحب بعد أن كنت أسير في بنيات الطرق .

ومادة حديثنا كله مما يسمى ( **الاحاديث الموضوعة** ) التي لا أصل لها في اصطلاح المحدثين ، وعلم الحديث – كما يعرف المطلعون – من أنضج العلوم الاسلامية وأحكمها منهجاً وأقواها علمية ، لقد احتاط المحدثون كل الحيطة لفنهم وتشددوا في شروط الراوي والمرويّ عنه ، ولم يكتفوا بالقواعد المحررة لتصحيح السند كما توهم بعض الباحثين المحدثين رحمه الله ؟ بل عنوا بنقد المتن عناية بالغة ووضعوا له من الضوابط والمعايير ما لم يسلم معها الا كل حديث قوي بالغ الصحة ، أمّا الاحاديث المكذوبة على رسول الله فقد وسموها بالوضع وألفوا فيها المؤلفات ليحذرها الناس .

اذا كان من منهج المحدث اذا وصل اليه الحديث الموضوع أن يطرحه أرضاً ويمضي لطيته ، فان مهمة المؤرخ الباحث أن يبادر إلى التقاطه ويفيد منه ، ويسلط عليه الاضواء الكاشفة ويتساءل : من وضعه ؟ ما الحامل له على الوضع ؟ ما الملابسات التي أحاطت بوضع الواضع؟ ما تاريخه ؟ علام تدل هذه الاسباب والملابسات؟.. واذاً سيهتدي المؤرخ اذا وصل إلى أجوبةعن أسئلته إلى فوائد جمة في السياسة والاجتماع والاخلاق والعقائد وسائر أحوال المجتمع .

لقد ثارت في المجتمع الاسلامي خلافات أدت إلى فتن انتهت بقتل الخليفة الصابر الشهيد عثمان بن عفان،ثم كانت حرب الجمل فكان معظم جند علي من الكوفة ومعظم جيش عائشة من البصرة وتوارث المصران على أثرها إحناً وخصومات ، ثم كانت حرب صغيرة بين معاوية ومعه أهل الشام وعلي ومعه أهل العراق، وكانت منازعات قبلية إلى جانب المنازعات الاقليمية وإلى جانب الخلاف في المذهب حول الاحداث السابقة وحول زعمائها ، ولكل ذلك آثار

---

(١) ننقل في هذا البحث عن المخطوطة ذات الرقم ١٥/٣٣٨٠ .

في أدب ذلك العصر شعره ونثره . وأتى الوضاعون فأسهموا في وضع الاحاديث كلٌ **ينصر بما يضع من أحاديث ، هواه وعصبيته** إما للبلد واما للنحلة واما للقبيلة واما للزعيم .. ولم يخف زيف هذه الاحاديث على أهل الحديث فنبهوا إلى كذبها ، لكنها راجت بين الناس وتلقف كلٌ ما ينصر هواه وروّجه حتى عظم منها البلاء وأزاغت عقائد العامة وكان لها أثرها البعيد في السياسة والعقيدة .. **ولم تكن الشام ولا خليفتها معاوية** بمنجاة من وضع الأحاديث مادحة وقادحة على هوى الواضع . .

* * *

أول ما افتتح به الحافظ ابن عساكر كتابه :(باب ما جاء من أن الشام يكون ملك الاسلام ) حديث فيه غمز ظاهر لخلافة بني أمية ، فقد نسب إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذا الحكم : ( الخلافة بالمدينة والملك بالشام ) (١) .

ويشاء كعب الاحبار أن يزج بالتوراة في هذا الميدان فيتحدث عن صفة رسول الله في التوراة وأنها :

« محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طابة ويكون ملكه بالشام »

فإن سألت : وما أرب كعب إلى ترويج هذا القول ، بل ما غرض المسعى اليهودي الذي استمر يعمل في خفاء حتى بعد موت كعب ؟ أجبتك باحتمال أن يكون الغرض التقرب إلى السلطان من جهة ، وتعظيم الشام التي فيها بيت المقدس من جهة ثانية ، وكان دليلي في هذا الاحتمال رواية ثابتة أصرح وأوضح في بيان شأن القدس فقد نسبوا للرسول هذا القول :

« هذا الامر « يعني الخلافة » كائن بعدي بالمدينة ثم بالشام ثم بالجزيرة ثم بالعراق ثم بالمدينة ثم ببيت المقدس ، فاذا كان ببيت المقدس فثم عقر دارها ولن يخرجها قوم فتعود اليهم أبداً » (٢) .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ( دمشق : مطبعة روضة الشام ) ١/٤٠ .
(٢) المصدر السابق .

وفسر ذلك الحافظ ابن عساكر قائلاً : ( يعني بقوله « بالجزيرة » أمر مروان بن محمد الحمار وبقوله « بالمدينة » بعد العراق يعني المهدي يخرج في آخر الزمان بالعراق ) وهذه الرواية متأخرة عن سابقتها ففيها اجمال لتنقل الخلافة بين الامصار حتى العهد العباسي وهو زمن وضعها فيما أجنح اليه .

وهنا أرى من الضروري أن أنبه على عمل السياسة الاموية في تربية العامة على إعظام شأن الخلافة والخليفة اعظاماً يذكّر بإعظام النصارى حينئذ رؤساءهم واعتقادهم أنهم يستمدون التأييد الالهي من السماء . ومن تذكر تاريخ الشام ايام الامويين لم يعدم من الحوادث براهين كثيرة ، فقد درج العامة في الشام على تقديس الخلفاء والتسليم الاعمى لعصمتهم ، وعمل رجال البيت الاموي ومن اليهم على ترويج هذه العقيدة حتى قاربت أن تكون من المسلمات عندهم فهذا يزيد بن عبد الملك أحب أن يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز وكانت سيرة عمر — كما نعلم — نشازاً في سير خلفاء بني أمية وأمرائهم ، سارها على رغمهم جميعاً ، فلما قال يزيد : سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز ، أحضروا له أربعين شيخاً فشهدوا عنده : ( أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب ) قال الذهبي راوي الخبر ( وكان طائفة من الجهال الشاميين يعتقدون ذلك ) [1] .

ولا تظن أن مثل هذه العقائد في طائفة من الجهال الشاميين فحسب كما أراد الذهبي أن يقول ، بل الامر أوسع انتشاراً وأمد آفاقاً ، فهذا هشام بن عبد الملك نفسه ضاق باعمال ولي عهده الوليد بن يزيد حتى قال :

( لئن رضي الناس بالوليد بن يزيد خليفة ما أظن الحديث الذي رواه الناس : « ان من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار » الا باطلا ) [2] .

فهذا أثر السنين الطوال في أخذ الرعية بالدعاية الواسعة وسياستهم على

---

(١) تاريخ دول الاسلام للذهبي ١/٥٥ .

(٢) مخطوطة ابن عساكر ج ٥ الورقة ٥٢٤ .

تقديس أمرائهم وخلفائهم ، وأنت تدرك أن هذه الدعاية ردت عن الخلفاء ما لا ترده الجيوش ولا الحصون .

قلت آنفاً ان هذه الدعاية لم تقتصر على طائفة من الجهال الشاميين ، بل كانت واسعة الانتشار حتى حملها هشام بن عبد الملك فيمن حملها ، وأزيدك الآن أن الاشياخ أنفسهم حملوها معتقدين ، وحمّلوها طلبتهم معلمين :

سأل المنصور أبا عبد الله : ( ما قولك في خلفاء بني أمية ؟ ) فقال : وما عسيت أن أقول فيهم ؟ ان من كان منهم لله مطيعاً وبكتابه عاملا ولسنة نبيه مُتبعاً فانه امام تجب طاعته ومناصحته ، ومن كان منهم غير ذلك فلا ) فقال المنصور ( جئتَ بها — والذي نفسي بيده — عراقية ، أهكذا أدركت أشياخك من أهل الشام يقولون ؟ ) قال : لا ، أدركتهم يقولون :

( ان الخليفة اذا استخلف غفر الله له ما مضى من ذنوبه ) فقال المنصور ( إي والله وما تأخر من ذنوبه ) [1] .

ولندع ما في كلمة المنصور الأخيرة من فكاهة ، وقدّر ما قدّرت أنا حين قرأتها ، فقد كان المنصور مأخوذاً بإحكام بني أمية توطيد ملكهم ، فما استنبط المنصور سياسة الا وجد الأمويين قد ذهبوا بحظها وغنائها ، ودّ لو يستطيع ما استطاع بنو أمية من تجنيد كل شيء حتى العقائد والنوايا والهواجس .

* * *

ازاء هذا الظفر السياسي الذي أحرزه الامويون في ميدان الدعاية الشعبية ، كان خصومهم لا يألون جهداً في نقض ما يبنون ، لكن عمل أولئك كان كالسيل عارماً جارفاً ، فاحتاج خصومهم إلى عشرات السنين حتى أثمر عملهم الخفي الضئيل بعض الثمرات ، فصرنا نرى رد الفعل ظاهراً ايام العباسيين :

---

(١) الجزء السابق ، الورقة ٢/١٩٤ .

أخباراً تهدم أخباراً ، وأحاديث توضع تمحو أحاديث وضعت ، وناراً تملأ الآن بمن امتلأت بهم الجنة في أحاديث أمس ...

والحق أنه ليس بيدي من الاخبار والاحاديث مما وضع الوضاع ، ما يشيد بذكر بني أمية جملة ، الا حديثاً واحداً هو :

( لا تزال الخلافة في بني أمية يتلقفونها تلقف الغلمان الأكرة ، فاذا خرجت منهم فلا خير في عيش )[١] فإن أنا أردت الحديث الصحيح، رأيت في خطة النبي العملية أقوى دليل على حسن ظنه بهم ، فقد كان — صلى الله عليه وسلم — وصاحباه من بعده يطلبون للأعمال ذوي الكفايات ، فمن ثم ترى في عمالهم كثيراً من بني أمية وليس هذا مما نحن منه الآن بسبيل . انما أريد الاشارة إلى جملة من الأخبار المروية تحط من الأمويين أقبح الحط وتهبط بهم دركات في الشر فيبوؤون بين الناس بأشنع الآثام . ولا تنس أني أجعل أيام خصومهم العباسيين ظرفاً لوضع هذه الاخبار وترويجها .

جاء في كنز العمال[٢] أن بجالة سأل عمران بن حصين : ( حدثني عن أبغض الناس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ) قال : ( تكتم عليّ حتى أموت ؟ ) قلت : ( نعم ) قال : ( بنو أمية وثقيف وبنو حذيفة ) .

وروي أن عمر بن الخطاب قال لعبد الرحمن بن عوف : ( ألم يكن فيما يُقرأ : « قاتلوا في الله آخر مرة كما قاتلتم فيه أول مرة ؟ » ) فسأله ( متى ذلك ؟ ) فقال : ( اذا كانت بنو أمية الامراء وبنو مخزوم الوزراء )[٣] .

ويدخل مروان بن الحكم على معاوية فيكلمه في حوائجه قائلاً : ( اقض حاجتي فوالله ان مؤنتي لعظيمة ، اني أصبحت أبا عشرة وأخا عشرة وعم

---

(١) الورقة ١/١٩٤ .
(٢) ٦٧/٦ .
(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢٠٧/٢ .

عشرة ) فلما أدبر مروان وابن عباس جالس مع معاوية على سرير – قال معاوية :

( أنشدك الله يا بن عباس أما تعلم أن رسول الله قال : « اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا أموال الله بينهم دولاً ، وعباد الله خولاً ، وكتابه دخلاً ، فاذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من الثمرة ؟ » قال : اللهم نعم ) (١) .

ولم يكتف الوضاع بما يعزونه إلى زمن الرسول وأصحابه من أقوال يرويها رجل عن آخر ، بل حمّلوا صخور الأديرة من ذلك وجعلوه بالعبرانية إيغالا في ( الأسطورية ) وترويجاً على العوام ، ولقد كان قتل الحسين أول ما يشنع المشنعون على بني أمية وأنصارهم جملة ، قال الاصمعي :

مررت بالشام على باب دير ، وان على حجر منقور كتابة بالعبرانية فقرأتها ، فأخرج راهب رأسه من الدير وقال لي : ( يا حنيفي أتحسن تقرأ العبرانية ؟ ) قلت : ( نعم ) قال لي : ( اقرأ ) فقرأت :

أيرجو معشر قتلـــوا حسينـــا شفاعة جـــده يوم الحســـاب

فقال لي الراهب : ( يا حنيفي هكذا مكتوب على هذا الحجر قبل أن يبعث صاحبك بثلاثين عاماً ) (٢) .

* * *

اذا أنت جاوزت اشتغال الوضاع ببني أمية جملة ، مدحاً وقدحاً ، إلى اشتغالهم بهم تفصيلاً ، وجدت فيضاً غزيراً ، ان هو آلملك وأمضك للملامح الكذب فيه فأنت واجد فيه متعة وتسلية ، وعرضاً لما في نفوس الجماهير حين

---

(١) مخطوطة ابن عساكر ٥ / الورقة ١/٤٨٨ وفيها ( آيات الله) ولعلها محرفة عما أثبتناه .
(٢) الجزء السابق الورقة ١/٤٧٨ .

ترضى وحين تغضب ، وحين تضيق صدرا بالضغط على آرائها وعقائدها ، فتنفس عن نفوسها برد فعل خفي ، لكنه يتزايد برفق حتّى يجرف كل شيء .

أول من اشتغلوا به من خلفاء بني أمية شيخهم ويعسوبهم معاوية بن أبي سفيان ، فلم يحظ أحد بمثل ما حظي به من روايات وأخبار تزج به في النار ، ولا نعم أحد بمثل ما حبته روايات الطرف الآخر من مقام عن يمين الرحمن في جنات عدن .

وليس بغريب أن يستأثر معاوية بهذا النصيب الوافي من الاساطير ، فقد اختطف الخلافة خطفاً وكان حظه من سخط شيعة علي بن أبي طالب وشيعة العباسيين من بعد أوفى حظ ، وهو الذي بدهائه وبأسه وحلمه ، وطد أركان ملكه فبقي قذى في أعين الشيعة مائة سنة، ثم زال الملك ولم يزل غيظهم عليه حتّى اليوم فيما أحسب . فقد رووا عن عمار : ( اذا رأيتم الشام اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان فالحقوا بمكة ) [1] . وزعموا أن رسول الله قال : ( اذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه ) [2] .

وحملوا عليه تشنيعات كثيرة كقولهم : ( قضى رسول الله والخلفاء بعده : « لا يرث مسلماً كافر ولا كافراً مسلم » وقضى معاوية وبنو أمية أن يتوارثا حتّى زمن عمر بن عبد العزيز فرجع إلى السنة ) [3] . وقد تقدم لك اباؤهم عليه اسم الخلافة فسموا إمرته ملكاً . ويضعون اسطورة أمد بن أبد أحد المعمرين ، فيذكرون أن معاوية استقدمه وجعل يسأله عما مر عليه في عمره الذي انقضى منه ثلاثمائة وستون سنة ، فيسأله عن هاشم فيقول : ( نعم رأيته رجلاً طويلاً حسن الوجه يقال إن بين عينيه بركة أو غرة بركة ) ويسأله معاوية عن جده أمية فيقول : ( نعم رأيت رجلاً قصيراً أعمى يقال إن في وجهه لشراً أو شؤماً )

---

(١) كنز العمال ٦٧/٦ .
(٢) مخطوطة ابن عساكر ج ٥ الورقة ١/٣٦٢ .
(٣) الجزء السابق الورقة ١/٣٧٣ .

ثم يسأله : ( هل رأيت محمداً ؟ ) فيغضب أمد وينتهر معاوية قائلا : ( ويحك ، ألا فخمته كما فخمه الله فقلت : رسول الله .. ) [1]. وريح الخصومة بادية في هذا الخبر ، ولست بحاجة إلى من يدلك على الحزب الذي وضعه حين أراد أن يسلسل الشر والشؤم من الجد الأعلى أمية ، ويقابله بالأغر المبارك — هاشم جد خصومه الهاشميين ، ثم تصوير معاوية بالممتلىء حقداً بحيث لا تسمح له نفسه بذكر النبي برسول الله حتى يدعوه الدعاء الجافي الجلف الذي رأيت .

هذا ما يقدمه لنا خصوم معاوية ، أما الدفاع فقد كان قوياً جارفاً كاسحاً ساحقاً كما يقول العسكريون ، فلئن كان الهجوم طلقات مسدس لقد كان الدفاع قنابل ذرية .

ولم تكتف هذه الجهة بالقضاء على الخصم بل اندفعت تزلزل الارض التي عاش عليها وتقلب منازله عاليها سافلها ثم تنسفها نسفاً ، وانا — عن عمد — أتكلم بلغة العسكريين فما وجدت تعبيراً أصدق فيما أنا بسبيله .

استخبرت ابن عساكر ونفضت تاريخه الضخم فأخرج لي من كنوزه نثارة ما حلمت بمثلها . لقد وضعت يدي على ما تضمر الجماهير من ( ذخائر ) ترد بها على نفسها الاعتبار ، ان كايدها خصم فأذعنت له حيناً من الزمن ، لا تلبث أن تبلغ في انتقامها مدى بعيداً . وأغلب ما سأقدمه لك وضع بعد موت معاوية ، بل بعد ذهاب دولة بني أمية ، وضع أيام العباسيين حين كان يتقرب المتقربون اليهم بذم معاوية وبني أمية ، وحين لم يكن يستطيع الشاميون ولا أنصار الامويين أن يبلغوا في العلن من خصومهم مبلغاً ، ولا يملكون لهم ضرا ، فانصرف ما عند الناس من ذخر مخبوء إلى الاساطير يرضون بها نفوسهم ويشفون غيظهم وينالون من عدوهم بطريق ملتو غير مباشر .

يعرف التاريخ الصحيح من شأن معاوية أنه كان من كتاب وحي النبي

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٠٣/٣ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأنه ولي الشام لعمر بن الخطاب فكان يعرف له أموراً وينكر أموراً ، سأصنف لك ما بين يدي من هذه الروايات أصنافاً ثلاثة : صنفاً فيه أدعية الرسول له ، وصنفاً فيه الثناء عليه وتبشيره بالجنة ، وصنفاً جمع ما لا يخطر ببالك من غلو واغراق وسذاجة لا تروج الا عند العوام ، وهذا الصنف الثالث هو محط الشاهد .

١ ـ فأما الصنف الاول فيدخل فيه ما رووا أن رسول الله قال لمعاوية : ( كيف بك لو قد قمّصك الله قميصاً ؟ ) يعني الخلافة ، فقامت أم حبيبة فجلست بين يديه فقالت : ( يا رسول الله وان الله لمقمّص أخي قميصاً ؟ ) قال : ( نعم ولكن فيه هنات وهنات وهنات)فقالت:( يا رسول الله فادع الله له)فقال : ( اللهم اهده بالهدى وجنبه الردى واغفر له في الآخرة والأولى )[(1)].

( ان الله ائتمن على وحيه جبريل وأنا ومعاوية ، وكاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة حلمه وائتمانه على كلام ربي ، فغفر لمعاوية ذنوبه ، ووفاه حسابه ، وعلمه كتابه ، وجعله هادياً مهدياً ، وهدى به ) [(2)] .

وأبلغ من ذلك نكايةً في خصوم معاوية أن هؤلاء الوضاع الظرفاء نسبوا لعلي بن أبي طالب أنه قال :

( سمعت رسول الله باذني ـ والا صُمّتا ـ يقول له : ( أنت يا معاوية أحد أمناء الله ، اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد ) [(2)] هذا وعند ابن عساكر روايات غير هذه فارجع اليها .

٢ ـ وأما الصنف الثاني فغرائبه أكثر وأعجب ، والأحاديث هنا تصور معاوية بأنه ( رجل الساعة ) على حد تعبير سياسيي اليوم ، ثم تذهب أبعد من

---

(١) مخطوطة ابن عساكر ج ٥ الورقة ٣٤٠/١ وعن هذا الجزء النقول الآتية :
(٢) الورقة ٣٤٢ .

ذلك فتقيسه إلى أبي بكر وعمر ثم تجعل النبي يفضله عليهما وعلى الصحابة واليك التفصيل :

ذكر رسول الله يوماً الشام فقالوا : ( كيف لنا بالشام يا رسول الله وفيها الروم ذات القرون؟)فقال:(أجل ان فيها أقواماً أنتم أحقر في أعينهم من القُراد في أستاه الابل ) [1] وقال : ( لعل أن يكفيناها غلام من غلمان قريش ) وبيد رسول الله عصا فأهوى بها إلى منكب معاوية ) [1] .

ثم نترقى ويترقى معاوية معنا درجة في الزعم الآتي :

استأذن رسول الله أبا بكر وعمر في أمر فقال : ( أشيرا عليّ ) فقالا : ( الله ورسوله أعلم ) فقال : ( ادعوا معاوية ) فقال أبو بكر وعمر : ( أما كان في رسول الله ورجلين من رجال قريش ما يتقنون أمرهم حتى يبعث رسول الله إلى غلام من غلمان قريش ؟ ) فقال : ( ادعوا لي معاوية ) فلما وقف بين يديه قال رسول الله : ( أحضروه أمركم فانه قوي أمين ) [2] .

ثم ترقت الاخبار بمعاوية درجات عالية جداً يسندون روايتها إلى ابن عمر : تزعم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لاصحابه يوماً : ( يطلع عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة ) فطلع معاوية ، فلما كان الغد قال مثل ذلك فطلع معاوية ، فلما كان بعد الغد قال مثل ذلك فطلع معاوية ، قال رجل : ( هو هذا ؟ ) قال : (نعم هو هذا) ثم قال رسول الله: (يا معاوية أنت مني وانا منك ، لتزاحمنّي على باب الجنة كهاتين ) [3] .

ولا يفوت الوضّاع كيد خصومهم كما فعلوا في أحاديث الصنف الاول ،

---

(١) الورقة ١/٣٤٦ .

(٢) الورقة ٣٤٢ .

(٣) الورقة١/٣٤٨ ثم عقب الحافظ بن عساكر بكلام على ضعف السند وسقوطه بما لا يعنينا هنا ، فما في المتن كاف لتوهين نسبه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وكذلك الامر في الروايات السابقة واللاحقة .

فهاهم أولاء يصعدون علياً منبر الكوفة فيخطب أهلها قائلاً :

( والله لأخرجنّها من عنقي ولأضعنّها في رقابكم ، ألا إن خير الناس بعد رسول الله أبو بكر ثم عمرثم عثمان ثم أنا ، ما قلت ذلك من نفسي ، ولأخرجنّ ما في عنقي لمعاوية : لقد استكتبه رسول الله وأنا جالس بين يديه فأخذ القلم فجعله في يده فلم أجد من ذلك في قلبي اذ علمت أن ذلك لم يكن من رسول الله وكان من الله عز وجل ، ألا وان المسلم من سلم من قصّي وقصته )[1] .

٣ ـ أما أخبار الصنف الثالث فمهزلة أولمبية ، لقد خرج الوضاع فيها عن مألوف العرب في الصدر الأول حتى في التخيل ، وهي أخبار إلى أن تلصق بآلهة اليونان وأنصاف آلهتهم أقرب من أن تنسب إلى الإله الحق ورسوله :

آ ـ ( .. نزل جبريل على النبي ومعه قلم من ذهب ابريز فقال : « ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك « هذه هدية مني إلى معاوية فقل له يكتب به آية الكرسي بخط حسن ويشكلها ويعجمها ، [2] وأعلمه أني قد كتبت له ثواب من قرأها إلى يوم القيامة » فقال النبي « من لنا بأبي عبد الرحمن ؟ » فمضى أبو بكر الصديق فجاء ومعه محبرة وقرطاس فدفعه النبي ( إلى معاوية ) فكتبها وهو يبكي )[2] .

ب ـ ( جاء جبريل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بورقة آس أخضر مكتوب عليها « لا اله الا الله ، حب معاوية بن أبي سفيان فرج مني على عبادي ) .

ج ـ وذكروا أن رسول الله قال لأم حبيبة أخت معاوية : ( ... فإني

---

(١) الورقة ١/٣٤٠ .

(٢) الورقة ٢/٣٤٠ هذا ينبيك أنه تصدى لوضع الاحاديث والاخبار كل أحد حتى العوام ، والا فأيسر قدر من ثقافة كاف ليعرف صاحبه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم الخلفاء الراشدون بالمدينة ماتوا ولم يكن بعد شكل ولا إعجام .

(٣) الورقة ٣٤٢ / ١ .

أحب معاوية ، وأحب من يحبه ، جبريل وميكائيل يحبان معاوية ، والله تعالى أشد حبا لمعاوية من جبريل وميكائيل يا أم حبيبة ) [1] .

ورووا أنه قال لها يوماً ( يا أم حبيبة هذا أخوك قد أقبل ، أما إنه يبعث يوم القيامة عليه رداء من نور الايمان ) [2] .

ثم لم يقتصروا على هذه الكرامة كلها في الدار الآخرة ، فعجلوا له من فاكهة الجنة وسخروا جبريل في ايصالها فزعموا :

د ـ أن جعفر بن أبي طالب قدم ( من بعض أسفاره ومعه شيء من السفرجل ، فأهداه إلى رسول الله والنبي يومئذ في منزل أبي بكر الصديق ، اذ دخل معاوية فقال النبي لجعفر « أنّى لك هذا ؟ » فقال : « أهداه اليّ رجل شاب حسن الهيئة في بعض أسفاري فأحببت أن أهديه اليك يا رسول الله » ، فأكل منه النبي وأخذ منه واحدة وأعطاها معاوية وقال : توافقني في الجنة بمثلها ) وقال : ( يا معاوية ، من مثلك ؟ أخذت اليوم من هدايا ثلاثة كلهم في الجنة وأنت رابعهم ) ، ( يا جعفر : هل تدري من المهدي اليك السفرجل ؟ ) قال : ( لا ) قال : ( ذاك جبريل وهو سيد الملائكة ، وأنا سيد الانبياء ، وجعفر سيد الشهداء ، وأنت يا معاوية سيد الأمناء ) [3] .

هـ ـ ثم عنيت هذه النزعة بخصوم معاوية ومبغضيه فخصتهم بكل نكر ، فزعمت أن رسول الله قال له : ( الشاكّ في فضلك يا معاوية تنشق الارض عنه يوم القيامة وفي عنقه طوق من نار له ثلاثمائة شعبة ، في كل شعبة شيطان يكلح في وجهه مقدار عمر الدنيا ) [4] .

---

(١) الورقة ١/٣٤٢ .
(٢) الورقة ١/٣٤٦ .
(٣) الورقة ١/٣٤٧ .
(٤) الورقة ٢/٣٤٥ .

وكأنهم لم يكتفوا بهذه الصورة على بشاعتها فولدوا بابداعهم صورة أكلح فزعموا :

و ـ أن النبي كان ذات يوم جالساً بين أصحابه اذ قال : ( يدخل عليكم من باب المسجد في هذا اليوم رجل من أهل الجنة يفرحني الله به ) فقال أبو هريرة : ( فتطاولت لها ) فاذا نحن بمعاوية قد دخل فقلت : « يا رسول الله هذا هو ؟ » فقال : « نعم يا أبا هريرة هو هو » يقولها ثلاثا ثم قال : « يا أبا هريرة ، ان في جهنم كلاباً زرق الاعين على أعرافها شعر كأمثل أذناب الخيل ، لو أذن الله لكلب منها أن يبلع السموات السبع في لقمة واحدة لهان ذلك عليه ، يسلطه يوم القيامة على من لعن معاويه »[1] أي هول والله ! .

ويبلغ الوضاع غايتهم في صورة مسرحية شائقة ينطلق بها الرسول ومعاوية معاً بين يدي الرحمن إلى الجنة :

ـ ( اذا كان يوم القيامة دعي بالنبي ومعاوية ، فيوقفان بين يدي الله ، فيطوق النبي بطوق ياقوت أحمر ويسور بثلاثة أسورة من لؤلؤ ، فيأخذ النبي الطوق فيطوقه معاوية ثم يسوره بثلاثة أسورة ، فيقول له الله : « يا محمد ، تَسَخَّى علي وأنا السخي وأنا الذي لا أبخل ؟ » فيقول النبي : « إلٓهي وسيدي ، كنت ضمنت لمعاوية في دار الدنيا ضماناً فأوفيته ما ضمنته له بين يديك يا رب » فيبتسم الرب اليهما ثم يقول : « خذ بيد صاحبك انطلقا إلى الجنـــة جميعاً )[2] .

ثم يتوج الوضاع هذه الإحالات كلها بالتي ليس بعدها ، اذ نجد معاوية يستأثر بقرب عرش الله دون النبي نفسه ، ناعماً بمناجاة الله وتحيته سبعين عاماً وتزيد ، على حين يكون النبي بعيداً ينتظر معاوية ، فيزعمون :

---

(١) الورقة ٢/٣٤٨ .
(٢) الورقة ٢/٢٤٨ .

ح – أن رسول الله قال : ( لا أفتقد أحداً من أصحابي غير معاوية ، فاني لا أراه ثمانين عاماً أو سبعين عاماً فاذا كان بعد ثمانين عاماً أو سبعين يقبل عليّ على ناقة من المسك الأذفر حشوها من رحمة الله ، قوائمها من الزبرجد فأقول: يامعاوية «فيقول: «لبيك يا محمد» [1] فأقول: «أين كنت من ثمانين عاماً ؟ » فيقول : « في روضة تحت عرش ربي يناجيني وأناجيه ويحييني وأحييه ويقول : هذا عوض مما كنت تشتم في دار الدنيا ) [2] .

* * *

لم يقتصر هذا الغلو في معاوية على أهل الشام ، بل امتد إلى غيرها ، ولعل ذلك راجع إلى غلو الشيعة في نصر صاحبهم والطعن على خصمه ، غلواً حمل الفريق الآخر على مقابلته بغلو مثله ، وكان ذلك يكون بحيث يتصاقب الفريقان في بلد ، أو يكون بلد أحدهما على مقربة من بلد الآخر ، فينتج الاحتكاك تلك الثروة الطريفة من الأدب . هذه (واسط)مدينة الحجاج بقيت تنصر معاوية حتى بعد انقراض الدولة الاموية بمئات السنين ، في خضم من التشيع حولها ، وبالغت في ذلك حتى خرجت عن المعقول والمنقول معاً ، جاء في أحسن التقاسيم : [3]

( في أهل واسط بله وغلو في معاوية ، ووصف لي رجل بالزهد والتعبد ، فقصدته – وتركت القافلة خلفي وبت عنده تلك الليلة ، وجعلت أسأله إلى أن قلت : « ما قولك في الصاحب بن عباد ؟ » فجعل يلعنه ، ثم قال : « انه أتانا

(١) كذا هي في الرواية .
(٢) الورقة السابقة ، هذا وقد تكلم الحافظ ابن عساكر على كذب هذا الحديث ووضعه اسناداً ومتناً ، ونقل عن الخطيب أنه من وضع الوكيل وأن الاسناد رجاله كلهم ثقات الا الوكيل. اه وأردت بنقل هذا تذكيرك بان الوضاعين يلصقون بما يضعون أسناداً مقبولة لاطعن فيها ، وأن النقد في هذا الباب نقد المتن نفسه . هذا وقد رواه الحافظ في موضع آخر برواية ثانية منكرة في اسنادها غير واحد من المجاهيل .
(٣) ص ٣٩٩ .

بمذهب لا نعرفه » قلت : « وما هو» ؟ قال : « يقول معاوية ليس مرسلا » قلت : « وما تقول أنت ؟ » قال : « أقول كما قال الله عز وجل : ( لا نفرق بين أحد من رسله ) ، أبو بكر كان مرسلا ، وعمر كان مرسلا ، ( حتّى ذكر الاربعة ) ثم قال : ( ومعاوية كان مرسلا ) قلت : ( الا تعقل ؟ أما الاربعة فكانوا خلفاء — ومعاوية كان ملكاً ) فجعل يشنع عليّ وأصبح يقول : ( هذا رافضي ) فلو لم تدركني القافلة لبطشوا بي ) .

ولهم في تكريم معاوية في الجنة مثل ما لغيرهم من تحزب العامة وعصبيتهم له ، وقد حدّث المقدسيّ نفسه أيضاً بما شهد منهم ، قال :

( كنت يوماً بجامع واسط واذا برجل قد اجتمع عليه الناس فدنوت منه فاذا هو يقول : حدثنا فلان عن فلان .. عن النبي : ان الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه إلى جنبه ويغلفه بيده ، ثم يجلوه على الخلق كالعروس) فقلت له : ( بماذا ؟ أبمحاربته عليا؟ رضي الله عن معاوية وكذبت أنت يا ضال ) فقال : ( خذوا عني هذا الرافضي ) فأقبل الناس عليّ فعرفني بعض الكتبة فكركرهم عنيّ ) .

* * *

ما عرفنا من عقيدة العامة بالشام في تقديس خلفائهم حتى قطعوا بالغفران لمن ولي الخلافة ثلاثة أيام يجعلنا لا نظن المبالغة في رواية المسعودي : ( ان أنصار الامويين في الشام حلفوا للسفاح أنهم ( ما علموا لرسول الله قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية حتى ولي العباسيون الخلافة ) [1] .

والظاهر أن هذه عقيدة شامية ثابتة تجدها في التواريخ كما تجدها في الاساطير التي تسجل تقاليد الشعب وآراءه بكل صدق وأمانة . ولأمر ما قال سفيان

---

(١) مروج الذهب ٢/٢١٧ .

الثوري : ( اذا كنت في الشام فحدث بفضائل علي ) [1] وهذه العبارة قاصرة جداً في التعبير عن الواقع ، فان ما عليه عامة أهل الشام حينئذ من عقيدة في علي ليقتضي تنشئتهم تنشئة ( دكتاتورية ) على خلاف ما ألفوا من تقاليد وأعراف في الاسلام ورجاله . ولست أعرف حكومة نجحت في إحكام دعايتها حتى ضمنت لدولتها خواطر الناس في اليقظة والمنام ، وأمنت شر من على الارض ومن في الارحام مثل حكومة الامويين. وانظر صورة طريفة من المجتمع الشامي أو الرأي العام الشامي حينئذ في مسجد دمشق وهو مرآة البلد ، يرويها ابن عساكر في تاريخه الجليل عن أبي يحيى السكري قال :

( دخلت مسجد دمشق فرأيت به حلقاً فقلت : هذا مسجد قد دخله جماعة من الصحابة فملت إلى حلقة في صدرها شيخ جالس ، فجلست اليه فقال له رجل أمامه: ( من علي بن أبي طالب؟ ) فقال: ( خفاق كان بالعراق، اجتمعت عليه جماعة فقصد أمير المؤمنين معاوية ليحاربه فنصر الله معاوية عليه ) قال السكري : فاستعظمت ذلك وقمت ، فرأيت في جانب المسجد شيخاً يصلي إلى سارية ، حسن السمت والصلاة والهيبة ، فقلت له : ( يا شيخ أنا رجل من أهل العراق ، جلست إلى تلك الحلقة ... وقصصت عليه القصة وانتقاص علي ابن أبي طالب فقال: ( في هذا المسجد عجائب ، بلغني أن بعضهم يطعن علي أبي محمد الحجاج بن يوسف فعلي بن أبي طالب من هو ؟؟ ) ثم جعل يبكي . فقمت عنه وقلت : ( لا أستحل أن أبيت بهذا البلد ) [1] .

ولم يزدد الامر في الشام الا تمكناً على الزمن ، ولعله نما وانتشر أكثر بعد انقراض بني أمية وحكمهم ، ولا أعزو ذلك إلا إلى بصر بني أمية بسياسة النفوس ونزعاتها واستهدائهم إلى التلطف بها ، فغذوا أدب العامة بما أرادوا ، ونشروا بينهم من الاحاديث والقصص والاخبار كل ما يؤيد دولتهم ويوهي خصومهم ، حتى شاب عليه الكبير ونشأ عليه الصغير وما غرس في الآداب

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٨٠ .

الشعبية فهيهات للسياسة العاجلة أن تقضي عليه بالعنف والقهر .

وأبلغ من الصورة التي رأيناها في مسجد دمشق صفحة حفظها ياقوت في كتابه ( ارشاد الاريب ) هي أبعد دلالة وأصدق تأريخاً لتقليد المجتمع الشامي، يرويها رجل عاش عمره كله في دولة العباسيين ولم يشهد شيئاً من أيام الامويين، هو أبو الحسن المدائني ( ١٣٥ — ٢٢٥ هـ ) قال : قال لي رجل : ( كنت بالشام فجعلت لا أسمع أحداً يسمى ( عليا ) ولا ( حسنا ) ولا ( حسينا ) وانما أسمع : معاوية، ويزيد، والوليد .. فمررت يوماً برجل جالس على باب داره وقد عطشت فاستسقيته فقال : ( يا حسين اسقه ) فقلت له : ( أسميت حسينا ؟) فقال : ( إي والله ، إن لي أولاداً أسماؤهم حسين وحسن وجعفر ، فإن أهل الشام يسمون أولادهم بأسماء خلفاء الله، ولا يزال أحدنا يلعن ولده ويشتمه، وانما سميت أولادي بأسماء أعداء الله فاذا لعنت فانما ألعن أعداء الله) فقلت له : ( ظننتك خير أهل الشام ، واذا جهنم ليس فيها شر منك )[(١)].

ونحن مدينون للمدائني ولياقوت بهذا الامر الاجتماعي المهم في تعبير الشاميين عن طوياتهم ومنازعهم بأسماء أولادهم ، وليس بعد هذا في صدق التعبير غاية .

والظاهر أن التقاليد الشامية هذه تسربت فغزت بلداناً مجاورة سلباً وإيجاباً ، وليس أمتع من تاريخ هذه الآداب الشعبية نشأتها وتطورها ورحلتها وتأثرها وتأثيرها . نحن نعلم أن وكر العداوة لمعاوية هو شيعة العراق الذين أغرقوا وبالغوا في الحط منه وفي الرفع من خصمه الامام علي، حتى خلقوا في نفوس من ليس على رأيهم من مواطنيهم رد فعل، وغرسوا فيها عطفاً زائداً على معاوية، والآداب تتلاقح في أقاليم الأمم المتجاورة فكيف في أوطان الامة الواحدة، والعراق

---

(١) ارشاد الاريب ١٢٨/١٤ ( طبعة فريد رفاعي ) ، ويبلغ الخبر المأمون فيقول : ( لا جرم قد ابتعث الله عليهم من يلعن أحياءهم وأمواتهم ويلعن من في أصلاب الرجال وأرحام النساء. يعني الشيعة .

والشام منذ أقدم العصور بينهما أواصر اقتصادية وسياسية واجتماعية والناس في أسفار وتجارات بينهما ، فلما كان الفتح الاسلامي جمعهما الدين الواحد والحاكم الواحد إلى جانب العرق الواحد واللغة الواحدة ، فصارا في حكم الاقليم الواحد ، وكان أول ما تفاعل بينهما الآداب خاصة ، فأصبح من المتوقع أن نجد آثاراً للتقاليد الشعبية الشامية في العراق ، وقد مر بنا شأن أهل واسط في العصبية لمعاوية فانظر الآن زيادة عليه كيف تسرب إلى العراق حب معاوية . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

( كنت أحبو ، فأخذ أبي بيدي وعبر بي الجسر ( ببغداد ) فمضى إلى جامع الرصافة ، فلما انتهينا اليه رأينا حبابا فيها السويق والسكر والماء المبرد بالثلج ، وخدماً في أيديهم الطاسات يقولون للناس : ( اشربوا على حب معاوية ابن أبي سفيان ) فقلت : ( يا أبه ، من معاوية ؟ ) فقال : ( هؤلاء قوم أبغضوا رجلاً لم يكن إلى الطعن عليه سبيل فأحبوا أعداءه ) [1] .

* * *

ان عشرين سنة ولي فيها معاوية الشام جعلته يخبر نفسية الشاميين ويقتلها دراسة فعرف كيف يتأتى لها برفق حتى صارت أطوع له من بنانه ، وجعل يفجؤه الامر العظيم يطيش له الحليم فيلقاه هادئاً غير محتفل ، مطمئناً إلى تعلق رعيته واخلاص جنده له،هذا الجند الذي تعهده بدعاية محكمة وارتاح إلى غفلته وطواعيته وسذاجته أحياناً حتى ضرب المثل بطاعة أهل الشام وجند الشام فصار يُشيع فيهم ما لو تحدث به إلى غير شامي لضحك منه ، وحسبك أن تعلم أنه رباهم على عقيدة أن عليا وأصحابه تاركون للصلاة [2] . لم يفت معاوية الداهية الاريب سلطان القصص على النفوس ، فاتخذ قاصاً يذكر الناس بعد صلاة الصبح ، وكان هو يستمع إلى قصصه الذي يبدأ بذكر الله واليوم الآخر ،

---

(١) مجلة الشرق ٢٦/٤١٤ نقلا عن تاريخ بغداد لابن النجار .

(٢) تاريخ الطبري ٤/٢٩ - ٣٠ .

ثم يخوض في السياسة فيذكر الخليفة وحزبه ويثني عليهم ويدعو لهم ، ويذكر خصومه ذاماً لهم وداعياً عليهم [1] . ولم يكن يتورع القصاص عن الاختلاق والكذب بما يرضي السلطان ولو كان ذلك الاختلاق في الدين والكذب على سيد المرسلين ، وكأن الغاية – وهي توطيد السلطان – بررت الوسيلة على ما يزعمون . ولقد روّض معاوية رعيته في الشام على استحسان ما يستحسن واستهجان ما يستهجن حتى أصبح عندهم أمر الخليفة في كل شيء من أمر الله . هذه نزعة القوم التي نشؤوا عليها في العصر الاول ، والصحابة وأهل العلم والرأي ، ورؤوس الناس وعقلاؤهم لا يزالون أحياء متوافرين ، فما ظنك اذا رحل هؤلاء وجرى على آثارهم ذرياتهم من بعدهم ، جيلاً بعد جيل ، فورثوا عن أوليهم نزعاتهم السياسية والحزبية دون أن يكون لهم علمهم ولا عقلهم ولا سؤددهم ؟ والخلفاء ودعاتهم مع ذلك دائبون في غرس ما يرضي الدولة في نفوسهم ، فيترعرعون منذ نعومة أظفارهم وقد ألفوا شتم علي وآل بيته مع ذكر الله على منابر الشام ، وغذي به أدبهم الشعبي وما يتناقلون من من أخبار وعقائد وأساطير ، وأنت تعلم أن العامة تقيس للسلطان في هواه ذراعاً كلما قاس اصبعا .

ان هذه الاساطير أعني الاحاديث الموضوعة كلها في الفضائل والمثالب والمغيبات أخبار بعضها وضع لحوادث انقضت قبل زمن الوضع ، وبعضها حل في عقائد العامة على أنه لم يقع بعد ، لكنه آت لا ريب فيه كعقيدة السفياني ، وممن يعايشنا اليوم خلق كثير على هذا الاعتقاد ينتظر خروج السفياني . انها جميعاً تخضع لسنة فطرية جعلها الله من سنن الطبيعة ، وهي ما يعبر عنه في الجغرافية الطبيعية بـ ( الائتكال والتراكم ) ، والحق أن الحياة كلها على هذه الارض ينالها ما ينال الارض نفسها من ائتكال في نواح وتراكم في أخرى ، لا أستثني من ظواهر الحياة شيئاً لا المادية ولا المعنوية ، فالعقائد والاساطير والآداب ، وحتى الدين في نفوس الناس ، كل ذلك يعنو لسنة الله هذه ويعتور أجزاءه ضمور في جهات ونمو في جهات ، وانظر على سبيل المثال الاسلام

---

(١) الصفحة السابقة

كما هو في الكتاب العزيز وكما بلغه صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام وفهمه الصحابة الاولون ، والاسلام كما يتصوره العامة وكثير من الخاصة في أية بقعة شئت من العالم الاسلامي اليوم، ولأمر ما كان المجددون الذين يقيضهم الله لهذا الدين بين الفترة والفترة يعنون أول ما يعنون بازالة تلك الطبقات المتراكمة على جوهر الدين حتى يجعلوه للناس مجلواً كما أنزل الله ، وقلما كفت حياة الواحد منهم لتنظيف النقطة التي ركز فيها جهوده .

والذي أريد قوله هنا إن هذا الركام من المغيبات التي وصلت الينا بدأ خبراً ذا زوائد عن حادث وقع ، ثم أضاف اليها الرأي العام مع الزمن ما غمره من شعور نحوه ، ومن رغبات يتمنى أن لو وقعت ، وأمور يود أن لم تقع ، ثم صهر ذلك كله في بوتقة المغيبات ، خادعاً نفسه أن ذلك سيقع على هذا التفصيل، فعوّض بذلك على نفسه — من حيث لا يشعر — إخفاقاً أو خسائر في أنفس أو منافع وآمال .

* * *

وبعد فهذا معاوية كما تجلّيه المغيبات من الاساطير والموضوعات ، ولئن كنا في دراستنا حكمنا عليها بعدم الصحة وهو ما لا يشك فيه باحث،إن ما تدل عليه صحيح صحيح.لقد كان معاوية — رضي الله عنه — حاكمـاً واسع النفوذ في حكمه ، يحظى بالشعبية الواسعة في مجتمعه ، محبوباً إلى أبعد حدود المحبة ، ولا أدل على ذلك من رواج هذه الاساطير في المجتمع الشامي ، ووجدانها السبيل إلى تخليدها في النفوس والسطور ، ثم بقائها حتى زماننا هذا نعتبر بها وننشىء حولها الدراسات ، ولقد أمدتنا بما لا سبيل للتاريخ الرسمي إلى الحظوة به، فهي أصدق منه دلالة على تيارات المجتمع في عفويتها. ولئن أسقط المحدثون الاستدلال بها جميعاً،إن على الباحثين في الادب أو السياسة أو الاجتماع أن يعضوا عليها بالنواجذ لأمانتها في الدلالة على نفسية المجتمع . والشعب يعبر عن شعوره أحياناً صريحاً واضحاً على خط مستقيم كما يقولون ،

وذلك أيام الرخاء والحرية ، وتارة في رمز والتواء اذا نزل بالمجتمع من الارهاق والعسف ما لا قبل له به، فينفس عن كبته في قصص وأساطير وأمثال قد تكون أبلغ في الدلالة على حاله مما كان أرسله صريحاً في أيام الرخاء ، وله بهذا تعويض عما فقد من حرية وطمأنينة ، كما تعوض الاحلام لصاحبها ما عجز عن تحقيقه حال اليقظة ، ومن هنا كانت الاساطير مصدراً يجب أن يبحث فيها بعناية وأن تستنطق بحذق وحيطة وإحكام* .

* ألقي هذا البحث في ١٩٧٤/٤/٢٤ في ( المؤتمر الدولي لتاريخ الشام ) الذي عقد في عمان من ٢٠ إلى ١٩٧٤/٤/٢٥م وخصت هذه المجلة بنشره .

(٢)

# القوى المتصارعة في المغرب خلال القرن الثاني الهجري ودور ليبيا فيه

الدكتور مراجع الغناي

كان من الممكن أن تستقر الأمور في إفريقية تحت زعامة ابن الأشعث لفترة أطول ، لو أن الجند العباسي أخلد إلى الطاعة والهدوء . لكن الذي رأيناه أن الجند العباسي الذي دخل إفريقية ، بقيادة ابن الأشعث ، ويقدر عدده بسبعين ألف مقاتل ، ومعظمه من الفرس ، أخذ قادته يثيرون القلاقل في وجه قائد إفريقية وواليها . وهذه صفة سيتسم بها تاريخ إفريقية تحت سيادة العباسيين ، إذ أننا سنلاحظ تكرر تمرد القادة والجند على الولاة واضطراب الأمور في البلاد واستيلاء بعضهم على بعض الولايات .

وقامت حركة التمرد في وجه ابن الأشعث سنة ١٤٨ هـ ، وتزعمها بعض كبار القادة من الفرس ومضر ، بقيادة عيسى بن موسى بن عجلان الخرساني ، الذي أرغم ابن الأشعث على ترك الولاية والخروج من القير وان في ربيع الأول من سنة ١٤٨ هـ . واستمر ابن عجلان الخرساني على ولاية القير وان ثلاثة اشهر : « من غير عهد من المنصور ولا رضى منه ولا تراض من العامة »[١] .

وتداركاً لهذا الأمر ، بعث المنصور عهده بولاية إفريقية لأحد كبار قادة إفريقية ، الأغلب بن سالم بن عقال التميمي ، جد الأغالبة ، أمراء إفريقية بعد ذلك . وكان الأغلب : « من ذوي الشجاعة والرأي ومن أصحاب أبي مسلم

(١) ابن عذارى ، البيان ، ٨٥/١ .

بخراسان » . [1] . ووصل عهد التولية إلى الأغلب بمقر ولايته ببلاد الزاب في آخر جمادى الآخرة من سنة ١٤٨ هـ أغسطس ٧٦٥ م . ثم وصله كتاب من الخليفة : « يأمره بالعدل في الرعية وحسن السيرة في الجند ، وتحصين مدينة القيروان وخندقها وترتيب حرسها ومن يترك فيها إذا رحل إلى عدوه وغير ذلك من أموره [2] » .

واستقرت الأمور في بلاد إفريقية في ولاية الأغلب بقية ١٤٨ هـ وسنة ١٤٩ هـ ، ولكنه في سنة ١٥٠ هـ واجه تحرك الصفرية بالمغرب الأوسط بزعامة أبو قرة اليفرني . فاستخلف الأغلب على القيروان سالم بن سوادة ، وخرج مع أغلب قادته على رأس القوات العباسية . وحين علم الصفرية بكثافة القوات العباسية ، تركوا بلاد الزاب وأخذوا في التقهقر غرباً . وقد أصر الأغلب على تتبع الصفرية فيأثناء تقهقرهم ، مما أثار عليه تذمر قادة الجيش وجنده، الذين لم يرغبوا في التوغل في ملاحقة الصفرية في المغربين الأوسط والأقصى ، لما قد يتهددهم من خطر في هذه المناطق التي تعج بأعدائهم . ولما أن أصر الأغلب على رأيه ، أخذ قادته وجنده في التفرق عنه والعودة إلى نواحي القيروان . [3]

وكانت حركة الصفرية وتذمر جيش الأغلب من العوامل التي شجعت بعض كبار قادة العباسيين على التمرد في وجه واليهم ومحاولة طرده من الولاية . وتزعم هذه الحركة والي تونس ، الحسن بن حرب الكندي ، الذي انضم إليه بعض القواد ، أمثال بسطام بن الهذيل والفضل بن محمد . ولما كان والي إفريقية بعيداً عن قاعدة حكمه ، ببلاد الزاب ، فقد مهد ذلك السبيل أمام المتآمرين لأن يستولوا على القيروان في سهولة ويقبضوا على سالم بن سوادة ، نائب الأغلب عليها ويرموا به في السجن .

---

(١) الناصري ، الاستقصا ، ١٢٩/١ ، وراجع ابن عذارى ، البيان ، ٨٦/١ .
(٢) ابن عذارى ، البيان ، ٨٦/١ .
(٣) ابن عذارى ، ٨٦/١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤١١/٤ ، الناصري ، ١٢٩/١ ، سعد زغلول ، المغرب العربي ، ٣١٧ ، ٣١٨ .

وجاء الأغلب مسرعاً لتدارك الأمر ، ورغّب الحسن بن حرب في الطاعة ، ولكنه رفض كما رفض كتاب الأمير أبي جعفر المنصور الذي يدعوه إلى الطاعة . ومن ثم خرج إليه الأغلب فيمن تبقى معه من الجيش وتمكن من الانتصار عليه ، فلجأ الكندي إلى تونس حيث أعاد تنظيم قواته ، وخرج ثانية لمقاتلة الأغلب ، وانتهى القتال بانتصار جيش الأغلب وهزيمة الكندي ، وقد توفي الأغلب في هذه الموقعة ، وكانت وفاته في شعبان من سنة ١٥٠ ه . أما الكندي فقد اختلفت الروايات في مصيره ، فمنها ما يذكر أنه قتل في نفس الموقعة ومنها ما يذكر أنه هرب إلى تونس ومنها إلى جبل كتامة حيث رجع إلى تونس بعد شهرين ، فقتل . وبعد مقتل الأغلب ولي أصحابه عليهم والي طرابلس ، المخارق بن غفار الطائي ، الذي تولى أمر القيروان وإفريقية في رمضان من السنة ١٥٠ ه / أكتوبر ٧٦٧ م .

نلاحظ مما سبق أن تمرد الجند وطمع قادتهم في الولايات والسلطان ، كانا السبب الرئيسي الذي زعزع السيادة العباسية في إفريقية ، فلو أن الجند العباسي كان منقاداً لولاته، لاستمرت البلاد الإفريقية فترة أطول والاستقرار يسودها ، وما كان أعداء العباسيين ليطمعوا فيها . ولكن نتيجة لتمرد القواد على الولاة ومقاتلة القوات العباسية بعضها لبعض ، اضطربت الأمور بإفريقية ، مما شجع الصفرية في المغرب الأوسط على القيام بحركتهم سنة ١٥٠ ه بزعامة أبي قرة اليفرني . ونجاح الصفرية في حركتهم تلك وعدم تمكن العباسيين من القضاء عليهم ، بالإضافة إلى تمكن الإباضية من تأسيس دولة لهم بالمغرب الأوسط تحت لواء الإمام عبد الرحمن بن رستم ، وتشجع الإباضية على التحرك في إفريقية وإعادة الكرة على العباسيين .

لكل هذه العوامل لجأت الدولة العباسية إلى أسرة آل المهلب ، وأخذت في تعيين ولاة إفريقية من بين كبار رجالاتها . والذي سنلاحظه أن العباسيين بدؤوا بالنسبة لإفريقية يفكرون في منح حكمها لأسر عريقة النسب شديدة الشوكة كثيرة العدد ، وإعطائهم استقلالاً يكـــاد يكون تاماً . وإن كان

العباسيون ساروا في هذه السياسة على مهل وتروٍ بالنسبة لبيت آل المهلب ، فإننا سنراهم يطلقون أيدي بني الأغلب فيها ويصبح حكمهم لها وراثياً يتوارثه الأبناء عن الآباء .

بعد مقتل الأغلب عين أبو جعفر المنصور ١٥١ هـ على ولاية إفريقية عمرو ابن حفص ، وهو من ولد قبيصة بن أبي صفرة ، وقد وصل إلى القيروان في ٥٠٠ فارس ، وتمكن من تهدئة الأحوال بإفريقية واستقر أمرها طوال ثلاث سنوات من بدء إمارته [١] .

وفي سنة ١٥٤ هـ خرج ابن حفص إلى بلاد الزاب ، لينظر في أمورها ، وأناب عنه في حكم القيروان قريبه ، أبا حازم حبيب بن حبيب المهلبي [٢] .

وعندما وصل عمرو بن حفص إلى طبنة وابتعد عن القيروان ، استغل الصفرية والإباضية هذه الفرصة للقضاء على النفوذ العباسي بإفريقية . إن سير الحوادث التالية ينبيء عن تكتيل الصفرية والإباضية جهودهم في وجه العباسيين .

ويذكر بعض المؤرخين [٣] أن خروج ابن حفص إلى بلاد الزاب ، كان لبناء سور مدينة طبنة قاعدة الولاية . ولكن إذا علمنا أن عمرو بن حفص ما إن وصل إلى المدينة ، حتى جاءت جيوش الصفرية والإباضية لقتاله ، فتحصن خلف أسوار المدينة ، وضرب أعداؤه الحصار عليه . وهذا يؤكد أن المدينة كان لها سور حصين مما ينفي السبب الذي ذكره المؤرخون لخروجه ، اللهم إلا إن كان ذلك يعني نيته الزيادة في تحصين الأسوار أو ترميم بعضها . وهذا يجعلنا نبحث عن سبب وجيه لخروج ابن حفص إلى طبنة ، والذي أرجحه

---

(١) ابن عذارى ، ١/٨٨ ، ابن خلدون ، ٤/٤١٢ .
(٢) ابن خلدون ، ٤/٤١٢ ، الناصري ، ١/١٣٠ ، سعد زغلول ، ٣٢٠ .
(٣) ابن خلدون ، ٤/٤١٢ ، الناصري ، ١/١٣٠ .

في رغبته بعد أن استقرت أمور إفريقية تحت إمرته ثلاث سنوات وشهوراً ، في مد نفوذ العباسيين على المغربـــين الأوسط والأقصى والقضاء على دولة الرستميين الإباضية بتاهرت والدولة الصفرية بتلمسان .

وأيا كان الأمر فإن الصفرية والإباضية وقفوا بعناد في وجهه وبدؤوا العمل من جانبهم ضده . والحوادث تنبيء كما سبق وبينت بأن أتباع الفرقتين كتلوا جهودهم ضد ابن حفص والقوات العباسية ، بل أرجح تفاهمهم ونسيانهم لأحقادهم وتحالفهم ، وهذا على خلاف ما يذهب إليه الأستاذ سعد زغلول الذي يقول : « ورغم أن ذلك كان فرصة نادرة لكي يوحد الخوارج جهودهم وليضموا صفوفهم ، فالظاهر أنهم لم يفكروا في ذلك » [١] فسنرى أبا قرة اليفرني الصفري ، يشترك مع جموع الإباضية في حصار عمرو بن حفص بمدينة طبنة ، ثم إنه بعد ذلك يشترك الصفرية والإباضية في حصار القيروان .

وابتدأت الحركة عندما وصل ابن حفص إلى طبنة وابتعد عن قاعدته القيروان . وقام الإباضية في طرابلس وإفريقية بالتحرك ضد العباسيين . والمرجح أن حركة الإباضية ابتدأها الإباضية الذين ينزلون قريباً من القيروان بزعامة عاصم السدراتي [٢] ، وانضم إليه صفرية صنهاجة بزعامة عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي . والظاهر أنهم بدؤوا في التوجه نحو القيروان ، مما أدى إلى مجيء قوة عباسية من مدينة طرابلس ، انضمت إلى قوات القيروان ، قادها نائب ابن حفص ، حبيب بن حبيب المهلبي ، ولكنه قتل وهزم جيشه [٣] .

أما الإباضية في طرابلس ، فإنهم بايعوا أبا حاتم يعقوب بن حبيب سنة ١٥٤ هـ فبعث إليه والي طرابلس الجنيد بن بشار الأسدي قوة تعدادها خمسمائة

---

(١) سعد زغلول ، ٣٢٣ .
(٢) نفس المصدر ، ٣٢٢ .
(٣) ابن عذارى ، ١/٨٨ .

فارس ، ولكن الإباضية تمكنوا من هزيمتهم ، ثم جاء جيش عباسي آخر من إفريقية لمقاتلة إباضية طرابلس ، والتقى الجيشان بالقرب من مدينة قابس ، وانتصر الإباضية مرة أخرى ، وتمكنوا بعد هذه الموقعة من الاستيلاء على مدينة طرابلس . والمرجح أن دخول طرابلس تحت سيادة الاباضية كان في سنة ١٥٤ هـ وهي السنة التي بويع فيها أبو حاتم يعقوب . ثم إن أبا حاتم بعد أن أقر الأمور في طرابلس واطمأن إلى إدارتها[1] خرج نحو القيروان، حيث أناخ عليها بكلكله وضرب عليها الحصار .

وكان ابن حفص في هذا الوقت تحاصره قوات كثيفة من الإباضية والصفرية ، اشتركت فيها الكثير من القبائل مثل صنهاجة وزناتة وهوارة ومديونة . وكان الجند العباسي يخرجون بين الحين والآخر على المحاصرين ويأخذون في مقاتلتهم ، ثم يعودون سريعاً للتحصن وراء أسوار طبنة . وتذكر بعض الروايات [2] أن ابن حفص أغرى بعض أصحاب أبي قرة بالمال ، فرفعوا الحصار عنه ، وتركوا الجماعات الباقية في وجه ابن حفص ، مما أتاح الفرصة لابن حفص لأن يحرز بعض الانتصارات ، غير أن ذلك لم يمكنه من القضاء عليهم . ويجب ألا نعتمد على مثل هذه الرواية الاعتماد كله ، فهي أولاً تتهم الصفرية بأخذ المال والتخلي عن بقية المقاتلين في أحرج اللحظات ، ثم إننا لا نعرف ميول أصحابها المذهبية ، هذا بالإضافة إلى أننا لم نحصل على التراث الفكري للصفرية ومنه تاريخهم ، أي أن معظم ما وصلنا عنهم كان عن طريق غير الصفرية . وهذه الواقعة إن حدثت فعلا ، فإنه يمكننا أن نرجح أن اختلافاً قد وقع في التحالف الصفري الإباضي ، مما دفع الإباضية إلى رفع الحصار عن طبنة .

وأراد ابن حفص أن ينقذ القيروان ، ولذلك ترك المهنأ بن المخارق بن

---

(١) الشماخي ، السير ، ١٣٥ .

(٢) الرقيق ، ١٤٣ ، ابن عذارى ، ١/٨٩ .

غفار الطائي على طبنة ، وخرج على رأس قوة نحو القيروان . ولما أن علم أبو حاتم بمسيره نحوه ، خرج لملاقاته . والمرجح أن زعيم الإباضية لما أراد مقاتلة ابن حفص رفع الحصار عن القيروان وسار بكل جيشه نحوه ، مما أتاح الفرصة لابن حفص لدخول القيروان . وكان ابن حفص لما أن خرج من طبنة سار إلى مدينة الأربس [1] وهي تقع إلى الغرب من القيروان وتبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام . وقد اتجه الإباضية بأجمعهم نحو الأربس ، فخدعهم ابن حفص واتجه إلى تونس . ثم إن أبا حاتم اتجه إلى سمنجة ملاحقاً لابن حفص . وكان الجند العباسي بعد أن رفع الإباضية الحصار عن القيروان قد خرجوا بقيادة جميل بن حجر ، وأخذوا في جمع ما يفيدهم من الطعام والحطب وغيره ليتقووا به في أثناء الحصار ، ثم إنهم حفروا خندقاً أمام باب أبي الربيع [2] .

والظاهر من رواية الرقيق [3] أن أبا حفص آثر ملاقاة الإباضية والصفرية خارج القيروان ، فقد التقى الفريقان عند بحيرة المسروقين ثم اضطر هزار مرد إلى التقهقر ناحية القنطاط ، ولكنه تراجع كذلك إلى القيروان وتحصن خلف الخندق المضروب أمام باب أبي الربيع ، وقد لاحقه أبو حاتم وأزاخ بجل قواته أمام باب أبي الربيع ، ووزع بقية الجيش على أبواب القيروان ، فأنزل قوة بين باب سالم وباب أصرم وقوة بين باب نافع وباب عبدالله [4] وقد ذكر ابن عذارى والناصري [5] أن أبا قرة كان على رأس قواته ضمن المحاصرين ، وهذا يفيد أن الصفرية كانت تشترك مع الإباضية في محاصرة العباسيين ، ويدعم رأيي السابق بتحالف الإباضية والصفرية في قتالهم للعباسيين في محاولة للقضاء على النفوذ العباسي من المغرب في ولاية عمرو بن حفص .

---

(١) الرقيق ، ١٤٤ ، الناصري ، ١٣١/١ ، ابن خلدون ، ٤١٣/٤ .
(٢) الرقيق ، ١٤٤ .
(٣) الرقيق ، ١٤٤ .
(٤) المصدر ، ١٤٤ .
(٥) ابن عذارى ، ٩١/١ ، الناصري ، ١٣٠/١ .

وكان الجند العباسي يخرجون من حين لآخر ويأخذون في قتال الإباضية والصفرية ثم يعودون سريعاً للتحصن وراء خنادقهم وأسوار مدينتهم ، ومع ذلك لم يستطيعوا الحد من شدة الحصار الذي أخذت وطأته تزداد يوماً بعد يوم : « حتى ضاق أمرهم وأكلوا دوابهم وسنانيرهم وكلابهم ، وأخذ الناس في أكل لحوم الخيل. فغلا الملح حتى انتهى الى أوقية بدرهم واضطرب على عمر أمره وضجر أصحابه وساءت آراؤهم »(١) .

وقد أورد لنا بعض المؤرخين رواية مفادها أن زوجة عمر وبن حفص، خليدة بنت المعارك ، بعثت له رسالة تخبره فيها ، بأن أبا جعفر المنصور أرسل قوة عباسية بقيادة ابن عمه يزيد بن حاتم لفك الحصار وإنقاذه ومن معه . فغضب لهذا الأمر وقال : « تتحدث نسوة العتيك أن يزيد أخرجني من الحصار ، إنما هي رقدة حتى أبعث للحساب »(٢) . فخرج في جنده وقاتل مستميتاً حتى قتل .

وهذه الرواية ذات طابع خيالي ، لا تقدم الأسباب المنطقية التي دفعت « هزار مرد » إلى الاستماتة . فإذا كان ابن حفص يستنكف من أن تتحدث نساء العتيك بفك يزيد بن حاتم للحصار عنه أو إنقاذه ، فإن الكثيرين من الجند والقادة المحصورين وهم أخلاط شتى ومن غير قبيل قائدهم ، لا يهمهم إن تحدثت نسوة العتيك بما يحب قائدهم أو يكره إذا ما كان في ذلك إنقاذهم .

والأسباب الوجيهة لاستماتة ابن حفص وجنده تكمن في طول مدة الحصار واشتداد الحال عليهم وقلة المؤن لديهم ونقصانهم المتزايد نتيجة لسوء التغذية ولقتالهم المستمر لأعدائهم حتى : « اضطرب على عمر أمره وضج أصحابه وساءت آراؤهم » . وهذا النص يفيد اختلاف بعض القادة والجند

---

(١) الرقيق ، ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٢) المصدر ، ١٤٥ .

الذين تحت ابن حفص معه . ولعل بعضهم رأى ضرورة اتخاذ عمل ما للخروج من هذا المأزق .

ولما أن رأى ابن حفص أن الحصار قد طال وأن لا أمل في تقهقر المحاصرين عن القيروان وما يترتب على ذلك من نفاد المؤن وموت من بداخل القيروان بالمرض والجوع ، اقترح على قادته أن يخرج في مجموعة مختارة من الجند ، لعله يتمكن من اختراق الحصار ، ثم يأخذ في الإجلاب على بلاد المحاصرين ، لعل ذلك يرغمهم على رفع الحصار . فرضوا بذلك ، ثم إنه لما هم بالخروج أمسك بعضهم بعنان فرسه وقالوا : « تريد أن تخرج ونبقى نحن في الحصار »[1] . فعرض عليهم أن يبقى معهم وتخرج فرقة أخرى بقيادة جميل بن حجر أو المخارق بن غفار الطائي ، للإغارة على بلاد العدو لإرغامه على رفع الحصار وجلب الميرة إلى القيروان ، فاختلفوا عليه .

إذن فالأسباب الحقيقية التي تقف وراء خروج ابن حفص لأعدائه واستماتته في القتال ، تكمن في شدة الحصار وطول مدته وفقدان الأمل في قرب انتهائه ، وقلة المؤن قلة تنذر بالموت جوعاً وتناقص عدد الجند العباسي لمقاتلتهم المستمرة لعدوهم ، هذا بالإضافة إلى اضطراب الجند الذين تحت قيادته ، والمرجح أن بعضهم رأى ضرورة التفاوض مع العدو والحصول على أحسن الشروط ، وبعضهم الآخر أبى ذلك ، مما أدى إلى اختلاف الرأي بين الجند واضطراب الأمر ، ولعل في وقوف بعض الجيش عندما أراد ابن حفص اختراق صفوف المحاصرين وقولهم له « تخرج أنت ونقيم نحن ، لا تفعل » ، ما يفيد بأن النظام والضبط والربط داخل الجيش قد انفرط عقده لدرجة وقوفهم في وجه قائدهم وإجباره على أن يقبع معهم حتى الموت . هذه مجمل العوامل المنطقية التي أغضبت القائد ، فجعلته يقسم بقوله : « والله لأوردنكم ونفسي حياض

---

(١) الرقيق ، ١٤٥ .

الموت » فخرج يوم السبت منتصف ذي القعدة سنة ١٥٤ هـ : « فلم يزل يطعن ويضرب حتى قتل » [١]

ثم إنه بعد مقتل عمرو بن حفص ، تولى شؤون القيروان وأمر الجند العباسي بها ، أخوه لأمه حميد بن حجر . واختلفت الروايات في تحديد الكيفية التي تم بها دخول أبو حاتم وصحبه القيروان . فابن عذاري [٢] يذكر أنه دخلهم عنوة ، أما الرقيق وابن خلدون [٣] فيذكران أن حميد بن حجر تفاوض مع أبي حاتم وانتهى الأمر بتسليمه القيروان له . أما الناصري [٤] فيذكر الروايتين معاً .

وأرى أن رواية الرقيق أوفى الروايات التي أمامنا ، فهو يذكر أن حميد تفاوض مع أبي حاتم وانتهى الإتفاق : « على أن حميداً وأصحابه لا يخالفون طاعة سلطانهم ولا ينزعون سوادهم ، على أن كل دم أصابه الجند من البربر فهو هدر ، وعلى ألا يكرهوا أحداً من الجند على بيع سلاحهم ودوابهم » [٥] .

ويأخذ الدكتور سعد زغلول [٦] برواية ابن الأثير حول دخول أبي حاتم للقيروان والتي تفيد استيلاءه عليها عنوة ، ثم يرجع في الفقرة نفسها إلى ابن خلدون ، مما يجعله يناقض نفسه ، لأن ابن خلدون [٧] يقول إنه بعد مقتل عمرو بن حفص : « ولي مكانه أخوه لأمه حميد بن صخر ، فوادع أبا حاتم » . ثم يذكر أن أبا حاتم دخل القيروان وأخرج معظم الجند وأنزلهم مدينة طبنة . وهذا يعني أن مدينة طبنة كانت في يد الإباضية ، وهذا ما لم

---

(١) الرقيق ، ١٤٥ .
(٢) ابن عذارى ، ٩٠/١ .
(٣) الرقيق ، ١٤٦ ، ابن خلدون ، ٤٩٣/٦ .
(٤) الناصري ، ١٣١/١ .
(٥) الرقيق ، ١٤٦ .
(٦) سعد زغلول ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ .
(٧) ابن خلدون ، ٤١٣/٤ .

يذكره لنا المؤرخون ، إذ أن مدينة طبنة على الرغم من الحصار الشديد لم تسقط في يد المحاصرين ، بل إن عمرو بن حفص بعد أن خرج منها واتجه إلى القيروان ، ترك المهنأ بن المخارق بن غفار ليتولى الدفاع عنها [1] .

وقد اعتمدت رواية الرقيق القيرواني [2] في هذه النقطة بالذات لأنه أسبق من ابن الأثير ولأن أغلب المؤرخين المتأخرين يأخذون عنه . والرقيق يذكر أن أبا حاتم دخل القيروان صلحاً ، واتفق مع قائد العباسيين على ألا يرغم أحداً على بيع سلاحه ودوابه . ثم إنه لما أن جاء يزيد بن حاتم في قوة عباسية من المشرق ، خرج أبو حاتم في قواته لملاقاته في حيز طرابلس ، تآمر الجند العباسي مع أحد قادة أبي حاتم ، وهو عمرو بن عثمان الفهري وثاروا في وجه نائب أبي حاتم ودخلوا في بعض المعارك التي سنفصلها فيما بعد .

ورواية ابن عذارى تؤيد من بعض النواحي رواية الرقيق ، غير أنها موجزة . فهو يذكر أنه بعد خروج أبي حاتم إلى طرابلس لمقاتلة يزيد بن حاتم : « استخلف على القيروان عبد العزيز المعافري ، فقام عليه عمرو بن عثمان وقتل أصحاب أبي حاتم » [3] . فهو هنا يؤيد رواية الرقيق التي تقول باتفاق الجند العباسي مع القائد الإباضي عمرو بن عثمان . غير أن السبب الرئيسي — وفق رواية الرقيق — والذي دفع الجند العباسي إلى الثورة على نائب أبي حاتم والتآمر ، هو أن أبا حاتم لما أن خرج لمواجهة الجيش العباسي ، بعث إلى نائبه على القيروان : « يأمره بأخذ سلاح الجند وألا يجتمع منهم اثنان في مكان وأن يوجه إليه بهم واحداً بعد واحد » [4] . ونص الرقيق هذا يوحي بأن عيم الإباضية بطلبه تجريد الجند العباسي من سلاحهم وإرسالهم له واحداً بعد

---

(١) الرقيق ، ١٤٣ ، ابن عذارى ، ٩٢/١ .

(٢) الرقيق ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٣) ابن عذارى ، ٩٠/١ .

(٤) الرقيق ، ١٤٧ .

الآخر ، بأنه كان ينوي الغدر بهم والقضاء عليهم . ولكن معرفتنا لأخلاق الإباضية المنطلقة من كتاب الله وسنة رسوله ، تجعلنا نرفض هذه الرواية ، لأن الغدر ليس من شيمة المسلم القوي العقيدة . وما يمكن أن يقال في هذا الموضوع أن الجند العباسي قد راودهم الأمل في الانتصار على نائب أبي حاتم واسترجاع القيروان بعد أن بلغتهم أنباء قرب وصول القوات العباسية إلى طرابلس .

وقبل أن نبدأ في التأريخ للأحداث التالية ، نحب أن نشير إلى أننا لم نعرف على وجه الدقة ما آل إليه الأمر بين الصفرية والإباضية عند افتتاح القيروان . فقد سبق ورأينا أن الصفرية بزعامة أبي قرة اليفرني ، اشتركت مع الإباضية في حصار القيروان . وهذا يدل دلالة قاطعة على اتفاق أفراد الفرقتين وتحالفهم ضد العباسيين . غير أن استيلاء الإباضية على القيروان بعد مقتل عمرو بن حفص ، يدل على أن الصفرية قد جاؤوا مدداً لهم ، على ألا يكون لهم نصيب في القيروان . ولعل الفرقتين اتفقتا على تقسيم بلاد المغرب إلى مناطق نفوذ . فولاية إفريقية حتى الحدود الغربية للدولة الرسمية ، تكون خاضعة للنفوذ الإباضي ويكون النفوذ الصفري فيما يقع إلى الغرب من ذلك من المغربين الأوسط والأقصى . ولعل الإباضية كانت قد وعدت الصفرية بمساندتهم لافتتاح مدينة طبنة التي ما زالت تحت النفوذ العباسي .

ولاية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب :

اختلفت الروايات في التاريخ الذي ولي فيه يزيد بن حاتم والسبب الذي جاء من أجله إلى إفريقية والمغرب . هل لفك الحصار المضروب على عمرو بن حفص والجند العباسي ،أم أنه جاء لتولي افريقيةبدلاً من عمه. فالرقيق وابن عذارى [1] يجعلان توليته بعد وفاة عمرو بن حفص . أما ابن خلدون [2] .

(١) الرقيق ، ١٥٩ ، ابن عذارى ، ١/٩٢ .

(٢) ابن خلدون ، ٤/٤١٤ .

فيجعل توليته في أثناء محاصرة عمرو بن حفص بالقيروان سنة ١٥٤ ﻫ .

وقد اهتم الأمير العباسي أبو جعفر المنصور اهتماماً كبيراً بالجيش الذي سيره مع يزيد واحتفل كثيراً في إعداده ، واشتمل على العديد من الفرس وجند الشام وجند الكوفة والبصرة . وجاء هذا الاهتمام لخطورة الموقف ولكثافة القوات المتضافرة على العباسيين .

وعندما علم أبو حاتم بقرب وصول القوات العباسية الجديدة ، عين على القيروان عبد العزيز بن السمح المعافري [١] نائباً عنه ، وسار متجهاً نحو طرابلس . وما إن ابتعد الجيش الإباضي حتى تم الاتفاق بين الجند العباسي الموجود بالقيروان وبين عمرو بن عثمان ، أحد قادة الإباضية ، والظاهر أنه كان أصلاً من وجوه الجند العباسي بالقيروان ، فخرج عليهم وانضم إلى الإباضية . وقد اتصل به بعض قادة العباسيين وقالوا له : « هل لك في أمر تمحو به ذنوبك القديمة والحديثة ؟ قال : وما هو ؟ قالوا : تقوم بطاعة أمير المؤمنين معنا » [٢]

وقام الجند العباسي وأنصارهم بالقيروان بالثورة في وجه نائب أبي حاتم ، وعاضدهم في هذه الحركة عمرو بن عثمان الفهري الذي غدر بالإباضية . وتمكن هؤلاء من الانتصار على الإباضية في القيروان ، والظاهر أنهم استولوا عليها ، مما دفع أبا حاتم لما أن وصلته هذه الأخبار لأن يعود سريعاً لاستنقاذ القيروان ، مما اضطر عمرو بن عثمان ومن معه من العباسيين على أن يخرجوا من عاصمة إفريقية ، ويلتقوا بأبي حاتم في معركة لم يحدد لنا موقعها ، انتهت بهزيمة عمرو ومن معه . وقد لجأ الجند العباسي المفلول إلى مدينة تونس ، أما جميل بن صخر والجنيد بن سياق فقد هربا ناحية المشرق تجاه جيش يزيد بن حاتم .

---

(١) الرقيق ، ١٤٧ ، ابن عذارى ، ١/ ٩٠ .

(٢) الرقيق ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

ولما كان أبو حاتم مشغولاً بجيش يزيد ، فإنه لم يستطع تتبع قوات عمرو ابن عثمان والمخارق بن غفار الطائي . لذلك أرسل وراءهم قوة من جيشه بقيادة حريز بن مسعود المديوني [1] فأخذ في تتبعهم حتى جيجل من بلاد كتامة ، وهنا وقعت معركة انتهت بهزيمة قوات حريز ، ومن ثم أصبح الطريق مفتوحاً إلى القيروان أمام عمرو والمخارق ، وبذلك تمكنا من دخولها والاستيلاء عليها .

أما أبو حاتم فإنه اتجه على رأس الكتلة الرئيسية من الجيش نحو الشرق ، وكان يزيد في هذا الحين قد دخل أراضي سرت وهي ضمن النفوذ العباسي . ولما أن رأى أبو حاتم كثافة القوات العباسية ، آثر أن يكون اللقاء عند جبل نفوسة [2] . هذا وقد انضم إلى يزيد بعض البطون من القبائل البربرية وكذلك بعض كبار الشخصيات منهم . فمن أبرز الشخصيات البربرية التي انضمت إلى يزيد ، عمر بن مطكود النفوسي ويوسف الفرطيطي [3] ، ومن القبائل البربرية انضمت إليه بعض بطون مليلة وهوارة وجماعات أخرى لم يحددها الشماخي [4] .

خطة يزيد العسكرية :

وبنى يزيد خطته على إرسال مقدمة قوية لقواته بقيادة سالم بن سوادة التميمي ، وبعث فرقة أخرى بقيادة شبيبة بن حسان إلى قابس . ولعله أراد إرساله لفرقة شبيبة أن يفاجىء أبا حاتم من الخلف ، أو يضعه بين فكي كماشة عسكرية ، ومن المحتمل كذلك أنه أراد أن يعمل شبيبة على قطع الطريق في وجه أبي حاتم إذا ما فكر في الرجوع إلى القيروان أو التقهقر نحو الغرب .

---

(١) جاء اسمه عند الشماخي : « جرير بن مسعود المديوني » السير ، ١٣٦ .
(٢) الرفيق ، ١٥٩ .
(٣) الشماخي ، ١٣٦ .
(٤) نفس المصدر والصفحة

واصطدمت مقدمة يزيد بقيادة سالم بن سوادة بالقوات الإباضية عند جبل نفوسة ، وانتهت بهزيمة القوة العباسية ورجوع ابن سوادة مفلولاً . فنهض إليه يزيد على رأس مجموع الجيش ، والتقى الطرفان عند جندوبة من بلاد جبل نفوسة . وقد اختار أبو حاتم موقع المعركة وكان متسعاً من الأرض يقع في ظل الجبل ، وأحاط نفسه بخندق ، وهذا يعني في المقام الأول أن موقف الإباضية كان ضعيفاً تجاه القوات العباسية .

**معركة جندوبة :**

ووقعت المعركة [1] يوم الإثنين لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ١٥٥ هـ . ويذكر الرقيق [2] أن يزيد أمر ابنه عبدالله ، فحمل على الإباضية حتى رد صفوفهم وضعضع من نظامهم ، ثم إنه أمر بعد ذلك المهلب بن المغيرة بالهجوم في أثناء فرصة اختلال نظام الجيش الإباضي ، فكانت هزيمة الإباضية. غير أنه يلوح أن القتال كان عنيفاً جداً بين الطرفين وأن القوات العباسية كادت تفقد الأمل في النصر ، لولا أنه في أحرج المواقف ، قام عمر بن مطكود النفوسي [3] بنصح يزيد بن حاتم ، بإسناد ظهر جيشه إلى جبل يقع إلى غرب جندوبة ، مما أتاح الفرصة له لأن يحمي ظهر قواته ويقاتل الإباضية من وجه واحد ، في حين مكنه ذلك من مقاتلة خصومه من أي وجه شاء . وانتهت المعركة بهزيمة القوات الإباضية ومقتل أبي حاتم يعقوب . وتقدر قتلى الإباضية بثلاثين ألفاً ، ولا بد أن قتلى الجيش العباسي كانت مثل هذا العدد أو أزيد ، لا كما أخبرتنا الروايات بأنه قتل من الجيش العباسي ثلاثة أنفار فقط [4] .

ولم يتسرع يزيد بعد هذا الانتصار في المسير نحو القيروان ، ذلك أن هذه

---

(١) راجع أخبار قتال يزيد لأبي حاتم : البلاذري ، فتوح البلدان ، ٢٧٥/١ ، الطبري تاريخ الرسل ٤٤/٨ ، ٤٦ ، ابن عذارى ، ٩٠/١ ، ٩٤ ، ابن خلدون ، ٤١٤/٤ ، الناصري ، ١٣٢/١ .

(٢) الرقيق ، ١٦٠ .

(٣) الشماخي ، ١٣٦ .

(٤) الرقيق ، ١٦٠ .

المدينة قد استردها العباسيون بالفعل . ومكث ابن حاتم بمنطقة جبل نفوسة حسبما يذكر الرقيق حوالى الشهر ، وأخذ يتتبع الإباضية في كل مكان من منطقة نفوسة وطرابلس . وكان هدف يزيد الأساسي من بقائه هذه المدة في جهة طرابلس ، أنه كان يريد فل شوكة الإباضيين وتشتيت البقية الباقية منهم ، لأنه أدرك أنه لن يستقر للعباسيين نفوذ في إفريقية والمغرب ما دام للإباضية نفوذ وسيطرة في هذه المنطقة . والواقع أن يزيد وإن استطاع أن يكبح جماح الإباضية طوال عهده ، فإنه لم يستطع القضاء عليهم ، لأن أحداث التاريخ التالية تبين لنا بوضوح مدى القوة التي ما زالوا عليها .

وكان يزيد قد بعث إلى المخارق الطائي أمراً بتولي شؤون القيروان حتى وصوله ، كما عين سعيد بن شداد والياً على طرابلس وجبل نفوسة وعبدالله بن السمط الكندي على الجيش العباسي بطرابلس [1] . ثم إنه بعد أن اطمأن لخضوع طرابلس والجبل لنفوذه ، سار إلى قابس فوصلها في ٢٠ من جمادى الأولى سنة ١٥٥ هـ أبريل ٧٧٢ م [2] . ثم دخل القيروان في ١٩ جمادى الآخرة من السنة ( يونيو ٧٧٢ م ) .

### القضاء على النفوذ الاباضي في جبال كتامة

ثم إن يزيد عين المخارق بن غفار ، على ولاية الزاب ، واتخذ له مدينة طبنة قاعدة وعاصمة ، وأمره بالمسير إلى مدينة جيجل بجبال كتامة ، شرقي الجزائر لضرب عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري ، الذي التجأ إلى هذه المدينة . وكان عبد الرحمن بن حبيب ممن انضم إلى أبي حاتم وظاهره في حروبه . وبعد مقتل أبي حاتم تقهقر إلى المغرب الأوسط واعتصم بهذه المدينة من جبال كتامة . وأراد يزيد أن يحزم أمره تجاه الإباضية خاصة والصفرية

---

(١) الرقيق ، ١٦٠ .

(٢) ابن عذارى ، ٩٤/١ ، سعد زغلول ، ٣٣٠ .

عامة ، وأن يبادر كل نواة لتجمع إباضي أو صفري داخل ولايته . ولذلك كلف عامله على الزاب ، بالاتجاه نحو عبد الرحمن الفهري ، ثم أتبعه العلاء بن يزيد المهلبي لمعاضدته ، فتمكنا من اختراق أسوار المدينة وقضوا على مقاتلتها وتتبعوا كل من كان يدين له بالطاعة ، غير أن عبد الرحمن بن حبيب تمكن من الهرب منهم .[1]

**تحرك ( ورفجومة ) على حدود بلاد الزاب :**

وقد قامت حركة بين قبائل ورفجومة في المغرب الأوسط بزعامة أبي زرجون أيوب الهواري ضد النفوذ العباسي [2] ، وذلك سنة ١٥٧ هـ . وأراد يزيد أن يعاجلهم قبل أن يتفاقم أمرهم ويغزوهم في بلادهم قبل أن يجلبوا عليه داخل ولايته . فأرسل إليهم حملة بقيادة يزيد بن مجزأة المهلبي ، ولكنه هزم . فأرسل جيشاً آخر بقيادة العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي ، وأمر يزيد بن حاتم ، ابنه المهلب الذي كان في هذا الوقت والياً على الزاب وبلاد كتامة بالإنضمام إلى هذا الجيش ، فتمكنا من هزيمة أبي زرجونة وقواته من ورفجومة ، ثم قفلا راجعين .

إن والي إفريقية لما أن انتصر على الإباضية في جندوبة ، عين إلى جانب والي طرابلس ، عبدالله بن السمط الكندي ، على القوات العباسية فيها . ولاهتمامه بطرابلس جعل بها هذه القوة لتكون على أهبة الاستعداد لكل بادرة من بوادر الثورة الإباضية . وقد دلت الأحداث دائماً على أن الإباضية في ليبيا هم حملة لواء الثورة ضد أنظمة الحكم التي حكمت المنطقة أو عملت على مد نفوذها فيه . ومن هذا يتبين لنا مدى الاهتمام الذي أولاه أمراء بني المهلب لطرابلس وجبل نفوسة .

وإذا كان ابن حاتم قد جعل قوة يعتد بها لحماية النفوذ العباسي في الإقليم الغربي من ليبيا ، فإنه عين عليها رجلاً ممرساً بالحروب ، وهو من بيت بني

(١) الرقيق ، ١٦١ ، ابن عذارى ، ٩٤/١ ، ابن خلدون ، ٤١٤/٤ ، سعد زغلول ، ٣٣٠ .
(٢) الرقيق ، ١٦١ ، الناصري ، ١٣٢/١ ، ١٣٣ ، سعد زغلول ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

المهلب ، وقد قاد الحملة الناجحة على ورفجومة . هذا الوالي الجديد لطرابلس هو العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي . ولم تحدد لنا الروايات التي بين أيدينا تاريخ توليته .

والمرجح عندي أنه ولي آخر سنة ١٥٦ هـ أو بداية ١٥٧ هـ ، ذلك لأن هذا الوالي كان قد قاد الحملة ضد ورفجومة سنة ١٥٦ هـ . وبعد عودته إلى القيروان – حسبما يذكر الرقيق – قام يزيد بن حاتم : « فولى العلاء على طرابلس » . ولعل توليته على هذه الولاية الشديدة المراس ، كانت لما يتصف به من حنكة سياسية وخبرة عسكرية ولما أحرزه من نصر على ورفجومة .

كان لحركة ورفجومة على حدود الزاب ، صداها في البلاد الليبية . إذ يخبرنا ابن الأثير وابن عذارى عن ثورة إباضية في طرابلس . ولعل من أبرز أسبابها ، العسف الشديد الذي أخذ به عمال يزيد بن حاتم الجماعة الإباضية وظلمهم لهم بعد انتصارهم على أبي حاتم .

وتزعم الثورة يحيى بن فوناس الهواري وذلك سنة ١٥٦ هـ وانضم تحت لوائه الكثير من إباضية ليبيا . وأسرع الجيش العباسي الموجود في طرابلس بالخروج إلى الثوار بقيادة عبدالله بن السمط الكندي . والتقى الطرفان عند ساحل البحر . وبعد معركة عنيفة انتصر الجيش العباسي .

بعد أن قضى العباسيون على هذه الثورة ، هدأت البلاد الليبية وبقية إفريقية ، بقية عهد يزيد بن حاتم ، كما أن العباسيين قد انصرفوا من جانبهم عن التفكير في مد نفوذهم فيما وراء بلاد الزاب . وأتاحت فرصة الهدوء التي تمتعت بها البلاد لابن حاتم لأن ينصرف إلى أعمال الإنشاء والإعمار ، وأخذت المنطقة في الانتعاش حضارياً .

وتوفي يزيد بن حاتم في رمضان سنة ١٧١ هـ . وقد عين قبل وفاته ابنه

---

(١) ابن عذارى ، ٩٤/١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤٠/٥ .

داود على الولاية ريثما يأتي أمر هارون الرشيد . وكانت وفاة يزيد فرصة استغلها الإباضية بإفريقية ، إذ تجمعوا في منطقة باجة تحت زعامة نصير بن صالح الإباضي . وقد أرسل إليهم داود بن يزيد ، جيشاً بقيادة أخيه المهلب ، ولكنه هزم أمام الإباضية . ثم إن والي إفريقية أرسل جيشاً آخر تعداده عشرة آلاف مقاتل بقيادة سليمان بن الصمة بن يزيد بن حبيب بن المهلب . وكان النصر في هذه المرة حليف القوات العباسية ، غير أن الزعيم الإباضي لم يلبث أن جمع جموعه وكر مرة أخرى ، ولكن جيشه هزم ، وقتل وجماعة من مشيختهم .

ولم يلبث داود أن أعفي من الولاية وعين بدلاً منه عمه روح بن حاتم . وكان تعيينه سنة ١٧١ هـ ، وكان دخوله القيروان في رجب من هذه السنة ( رجب ١٧١ هـ / ديسمبر – يناير ٧٨٧ – ٧٨٨ م ) (١) .

وقبل أن نسير في هذا البحث خطوات أخرى ، نحب أن نتوقف قليلاً عند نقطة تتعلق بإمامة أبي حاتم الإباضي ، وقد أشار إليها الشماخي في كتاب السير . قال : « وقال أبو زكريا : أبو الخطاب إمام ظهور . وأبو حاتم إمام دفاع . وأنه يرسل ما زاد على ما يحتاج إليه مما جمع من الزكاة ، لعبد الرحمن بن رستم قبل أن يتولى الأمور ولاية الظهور » (٢) .

فهذا النص يفرق تفرقة صريحة بين نوعين من الإمامة . الأولى إمامة ظهور والثانية إمامة دفاع . والنقص لدينا في كتب التنظيم الإباضي يجعلنا لا نستطيع التوسع في دراسة هذه النقطة . ويتضح لنا من النص أن أبا الخطاب وعبد الرحمن بن رستم كانا إمامي ظهور ، وأن أبا حاتم كان إمام دفاع فقط ، أي أنه كان قائداً أعلى للقوات الإباضية التي دافعت العباسيين . والنص يشير إلى أنه كان قائداً ونائباً عن الإمام الأعلى ابن رستم ، وأنه كان يبعث بالأموال

---

(١) الرقيق ، ١٧١ ، ابن عذارى ، ١٠٣/١ ، ابن خلدون ، ٤١٥/٤ ، سعد زغلول ، ٣٤١ .
(٢) الشماخي ، ١٣٨ .

الزائدة عن حاجة الجماعة ، المتحصلة من جباية الزكاة إلى الإمام الأعلى عبد الرحمن بن رستم . ولعل في قول أبي زكريا بأنه كان يبعث بالأموال الزائدة إلى عبد الرحمن قبل أن يتولى ولاية الظهور ، ما يفيد أن الإمامة الإباضية قد تكون مرة إمامة مستورة ومرة إمامة ظاهرة . فعندما تكون الظروف السياسية والاجتماعية غير مهيأة لظهور الإمام ، يكون إمامهم مستوراً وغير معروف إلا من خاصة الجماعة ، وعندما تكون الظروف مهيأة يعلن عن اسمه وتظهر إمامته ويبايع بيعة ظاهرة وعامة . ولعل الإباضية – إذا كان ذلك صحيحاً – يكونون قد تأثروا في هذا الإجراء ، ببعض الفرق الشيعية ، كالإسماعيلية الذين كان لأئمتهم دوران ، دور ستر ودور ظهور وخروج .

## روح بن حاتم :

كانت تولية روح على إفريقية العباسية ، في سنة ١٧١ هـ . وجاء روح إلى البلاد والأمور فيها قد تهدنت واستقرت تحت الحكم العباسي . كما أن كثرة الحروب بين العباسيين والإباضية والصفرية وما جرته من دمار وويلات ، جعلت كل الأطراف تميل إلى الدعة والسكون . وكان روح رجلاً عسكرياً ممتازاً قد عركته الحروب وخرجته ميادين القتال ، كما كان رجلاً سياسياً كذلك . غير أنه عند توليه إفريقية كان قد أصبح كبير السن لم تعد له القدرة على الدخول في مشاكل عسكرية وسياسية . ولذلك لم يتطلع إلى مد النفوذ العباسي وتوسيع ولايته على حساب الدولة الرستمية والدول الصفرية في المغربين الأوسط والأقصى . ولذلك : « رغب في موادعة عبد الوهاب بن رستم الإباضي ... فلبث روح والأحوال حسنة مستقيمة إلى أن توفي » [١] .

والظاهر أنه قد تمت المفاوضات بين روح بن حاتم وبين عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، إمام الإباضية وخليفة والده على رئاسة الدولة الرسمية.

(١) الرقيق ، ١٧٣ .

وأنها انتهت إلى عقد السلام بين الطرفين ، ويرجح ذلك عدم قيام الإباضية سواء في ليبيا أو على حدود الزاب ، بأية تحركات ضد العباسيين طوال عهد روح. غير أنه مما يؤسف له عدم اشارة المراجع الىتفاصيل هذه الاتصالات وما تم فيها .

بعد أن أستتب السلام في إفريقية أواخر عهد يزيد ومدة ولاية روح، ونشطت الحياة وانتعشت البلاد حضارياً ، عاود الجند العباسي داؤهم القديم بعد وفاة روح . إذ لم يلبث بعض قادة الجيش أن دفعتهم المطامع والطموح الشخصي إلى إثارة القلاقل والفتن في وجه الولاة ، والتفت العباسيون إلى أنفسهم في إفريقية وبدؤوا معركتهم من أجل النفوذ والمال .

كان هارون الرشيد قد بعث بعهد ولاية إفريقية ، إذا ما توفي روح ، إلى صاحب البريد والقائد أبي العنبر ، وبعثه إليهما سراً وعين فيه نصر بن حبيب المهلبي ، ليخلف روحاً ، لأنه خاف أن يتوفى روح ، والبلاد بدون والٍ ، فتضطرب الأمور .

وابتدأت ولاية نصر بن حبيب المهلبي في عشر بقين من رمضان سنة ١٧٤ هـ . وقام بعزل العلاء بن سعيد عن ولاية طرابلس ، وكان قد وليها في عهد يزيد بن حاتم، واستمر فيها في أثناء عهدي يزيد وروح . وعين على طرابلس النصر بن سدوس المرادي . واستمر نصر بن حبيب والياً على إفريقية مدة سنتين وثلاثة أشهر حسبما يذكر ابن عذارى [١] ، وعزل في سنة ١٧٧هـ . وعين بدلاً منه الفضل بن روح بن حاتم . فوصل القيروان في المحرم من السنة . وبدأ في تغيير الولاة ، فكان أن عزل الوالي الذي كان عينه نصر على طرابلس ، وعين بدلاً منه أبا عيينة بن محمد بن أبي عينية بن المهلب . [٢]

---

(١) ابن عذارى ، ١/١٠٤ .

(٢) الرقيق ، ١٨٥ ، راجع ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

ولا تحدثنا المراجع التي بين أيدينا ، بشيء يذكر عن تاريخ ليبيا في الفترة التي أعقبت وفاة روح بن حاتم وحتى ولاية إبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤ هـ .

وبدأت الفتنة بين الجند العباسي في عهد الأمير الفضل بن روح ، إذ تزعم الثورة عليه ، عبدالله بن الجارود ، وتمكن من هزيمة عدة جيوش للفضل ، وأخيراً قتله واستولى على القيروان . ولم تهدأ الأحوال بإفريقية ولا استقر الأمر لابن الجارود ، لمواصلة الأزد وعصبيتهم ومواليهم قتال ابن الجارود وصحبه .

ولم يحسم هذا الموقف المضطرب إلا تولية هرثمة بن أعين والياً على إفريقية من قبل هارون الرشيد . ولم يدلف هرثمة مباشرة إلى ابن الجارود ، وإنما استقر بمدينة برقة ومعه منصور بن زياد . وكان الرشيد قد بعث يقطين بن موسى إلى إفريقية ، وعمل يقطين جهده لاستمالة ابن الجارود وصرفه عن غيه ، ولكنه لما أيس منه ، عمل على بث الفرقة بينه وبين كبار رجالاته . واستطاع بالفعل أن ينجح بعض الشيء في هذه السياسة . وانتهى الأمر بخروج ابن الجارود من إفريقية . وكان هرثمة في هذا الحين بمدينة اجدابية يستطلع أخبار إفريقية ، ولما أن تأكد لديه خروج ابن الجارود منها وأن الجند العباسي بدأ في الركون إلى الطاعة ، اتجه غرباً إلى عاصمة ولايته . فدخل القيروان غرة ربيع الآخر ١٧٩ هـ . وهدأت الأحوال في إفريقية في عهد هرثمة ، وانصرف في الوقت القليل الذي وليه عليها إلى الاهتمام بالمنشآت العسكرية ، ومنها أنه زاد في تحصينات مدينة طرابلس . وزاد في بناء السور من جهة البحر . والظاهر أن الولاة لم يلتفتوا إلى سور طرابلس مما يلي البر ، من لدن دخول طرابلس تحت سيادة الدولة الإسلامية ، منذ عهد عمرو بن العاص . والذي تحدثنا المصادر بأن القوات الإسلامية لم تستطع اختراق أسوارها لمناعتها ، ولم يتيسر لهم دخول المدينة والاستيلاء عليها ، إلا نتيجة لحركة جزر البحر عن ناحية السور القريب منه . اهتم هرثمة بهذه الناحية وأولاها عنايته، ومن ثم سد هذه الثغرة التي يتهدد الخطر منها أهل طرابلس وجندها وولاتها .

ولم تطل مدة ولاية هرثمة على إفريقية ، إذ ألح على الرشيد في الإعفاء منها ، فأعفي ، وعين بدلاً منه ، أخو الرشيد من الرضاعة ، محمد بن مقاتل العكي ، وكانت توليته سنة ١٨١ للهجرة ، ودخل القيروان في رمضان من السنة .

وقد أساء السيرة واحتجن الأموال وأخر أعطيات الجند ، فأثارهم عليه ، وتزعمهم عامله على تونس ، تمام بن تميم التميمي [١] . ولم يستطع والي إفريقية أن يقف في وجه ثورة الجند وأرغم على الخروج من القيروان ، فاتجه نحو الشرق. وقد لحقه بعض قادته وكبار رجال البلاد، ذكر منهم ابن عذارى، صاحب الشرطة طرحون . وأقنعوه بالبقاء بمدينة طرابلس والعمل منها على استرداد إفريقية . وبالفعل استقر ابن مقاتل في طرابلس ، وساعدته الظروف على العودة من جديد إلى القيروان ، إذ تمكن والي ولاية الزاب ، إبراهيم بن الأغلب من الانتصار على تمام بن تميم وإخراجه من القيروان ، ثم إنه بعث إلى محمد بن مقاتل يستدعيه إلى القيروان ، فأسرع إليها وتسلم قاعدة حكمه منه .

وتمكنت قوات ابن العكي وابن الأغلب من هزيمة قوات تمام وإرغامه أخيراً على طلب الأمان ، فبذل له سنة ١٨٤ هـ ودخل في الطاعة . وهكذا انتهت حركة تمرده على والي إفريقية ، ثم إن ابن الأغلب بعد أن تمكن من القضاء على تمرد الجند وأعاد الوالي إلى ولايته ، قفل راجعاً إلى الزاب . ولما بلغت هذه الأنباء ، هارون الرشيد – عن طريق صاحب البريد ، أعفى ابن العكي من منصبه وعين إبراهيم ابن الأغلب والياً على إفريقية وذلك سنة ١٨٤ هـ .

---

(١) ابن عذارى ، ١/١١١ .

## المصادر


١ — الكندي : محمد بن يوسف ، كتاب الولاة وكتاب القضاة — بيروت ١٩٠٨ م .

٢ — الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق المنجي الكعبي ، الطبعة الأولى ١٩٦٨ ، تونس .

٣ — البغدادي : عبد القادر بن طاهر ، الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر مكتبة محمد صبيح .

٤ — الشهرستاني : محمد عبد الكريم ، الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ، نشر الحلبي ، طبعة ١٩٦٨ م .

٥ — ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، الجزء الأول ، نشر مكتبة صادر ، بيروت .

٦ — ابن خلدون ، العبر ، الجزء الرابع ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٨ م .

٧ — المقريزي ، الخطط

٨ — الشماخي ، السير ، الطبعة الأولى .

٩ – الناصري : الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد ، تحقيق جعفر ومحمد الناصري ، نشر دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٥٤ م .

١٠ – النائب الأنصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، نشر مكتبة الفرجاني ، طرابلس – ليبيا .

١١ – سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، الطبعة الأولى .

١٢ – دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى .

# قراقوريخ الثالث

للدكتور مصطفى كمال عبد العليم

# قرار قوريني الثالث

لا تزال القرارات التي كان الامبراطور أغسطس قد أصدرها لمدينة قوريني[1] تثير اهتمام الباحثين لما تضمنته من مسائل تاريخية وقانونية على قدر كبير من الأهمية ، ليس فقط بالنسبة لقورينائية ( برقة ) ، ولكن أيضاً بالنسبة للادارة الرومانية في ولايات الشرق الهيلينستي في الفترة الباكرة من عصر الامبراطورية على الأقل .

وموضوع هذا المقال متابعة ما أثير حديثاً من مناقشات حول أحد هذه القرارات ، وهو القرار الثالث الذي يؤرخ بعام ٧/ ٦ ق . م .

والقرار في صورته التي أقرها ناشرو مجموعة SEG وأخذ بها الاستاذان ايرنبرج وجونس ، بالرغم من التعديلات أو التصحيحات التي اقترح بعض الباحثين ادخالها على النص لتتفق مع وجهة نظرهم ، ينص على الآتي :

« يعلن الامبراطور ، قيصر أغسطس ، الكاهن الأعظم ، المتقلد لسلطة التربيونية للعام السابع عشر :

آمر ، بأنه ، اذا شرف أشخاص من ولاية قورينائية بمنحهم حقوق المواطنة (الرومانيــة ) πολειτῆαι فان عليهم رغم ذلك أن ينهضوا بدورهم بالالتزامات المفروضة على هيئة الهيلينيين

τουτους λειτουργειν ουδεν ελασον εμ μερει τω των Ελληνων σωματι

ويستثنى من هذا الأمر أولئك الذين أعفوا في نفس الوقت بما يتفق مع القانون أو مع قرار مجلس الشيوخ من الالتزام بأداء هذه الخدمات عند منحهم حقوق المواطنة ، وحتى بالنسبة لأولئك الذين منحوا الاعفاء، فانه يبدو لي من المناسب أن يقتصر الاعفاء على ممتلكاتهم التي كانت لهم في ذلك الوقت ( عند حصولهم على قرار بهذا الاعفاء ) ، أما ممتلكاتهم التي حازوها بعد ذلك فانها تخضع للالتزامات العادية » .

وواضح أن هذا القرار[٢] يتعرض للعلاقة القانونية التي قامت بين حكومة روما الامبراطورية وبين عناصر السكان في المدن الاغريقية في قورينائية . كما أن القرار يبين أن نفراً من المواطنين الاغريق قد منحوا حقوق المواطنة الرومانية civitas وأرادوا أن يتخلصوا تبعاً لذلك من الالتزامات التي كانت تفرضها عليهم مواطنتهم لمدنهم . ولكن الامبراطور وضع قواعد تنظم الاعفاء ، على نحو ما هووارد في النص ، بالنسبة للذين احتفظوا بمواطنة المدينة الاغريقية والمواطنة الرومانية معاً . وهذه مسألة مهمة بلا شك اذ أنها تتعلق بمدى سماح القانون الروماني بالأخذ بمبدأ ازدواج الجنسية .

وقد اختلف الباحثون في تحديد طبيعة الالتزامات التي طالب الذين ظفروا بحقوق المواطنة الرومانية باعفائهم منها . وكان مبعث الخلاف هو تفسير كل منهم لكلمات ومصطلحات معينة تضمنها النص . وتركز الخلاف حول السطر ( ٨٥ ) وبالذات حول كلمة λειτουργειν **leitourgeîn** وعلاقتهـــا بعبـــارة Ελλhων σωματι **Hellenon sômati** . وذهب الاستاذ دي فيشير De Visscher إلى تفسير كلمة σωμα **sôma** بأنها تعني نوعاً من الالزام Leitourgia وأنها تقـــابل المصطلح الروماني **mnuera personalia** أو **munera corporalia** بمعنى الالتزامات الشخصية

المفروضة على الهيلينيين والتي يؤديها المواطن ببدنه أو بشخصه وذلك تمييزاً لها عن الالتزامات المالية التي يؤديها المواطن من ماله numera patrimoniorum .

وفتح أوليڤر J.H. Oliver [٤] باب المناقشة من جديد عندما اقترح ادخال كلمـــة Χρημασι Chremasi لتتوسط بين كلمتي Ελληνων و Hellenôn σωματι sômati . واقترح أيضاً احلال كلمة T(o)ι(o)υτων محل كلمـــة T(o)ι(o)υτων T(o)υτ(ι)ων وبذلك يصبح السطر ( ٨٥ ) على النحو التالي : Ελλ ηων ( Χρημασι και ) σωμασι εκτος

وبذلك يكون أوليڤر قد أقر بوجهة نظر دي فيشير بأن كلمة sôma انما تعني الالتزامات الشخصية وأضاف كلمة chremasi لتعني الالتزامات المالية munera patrimoniorum وذلك ليستقيم النص ، ويتفق التعديل الذي اقترحه مع ما ورد في أمر الامبراطور من ذكر كلمة ανεισφορια immunitas = aneisphoría .

ولكن طائفة أخرى من الباحثين يرون أن كلمة Sôma تعني في سياق النص جماعة أو هيئة وبذلك تكون عبارة Ελληνων σωματι Hellenon sômati قد عنت هيئة الهيلينيين .

بهذا التلخيص للآراء السابقة مهدت كاثلين أتكنسون Kathleen M.T. Atkinson [٥] لمناقشة قرار ڤوريني الثالث من جديد . وسنعرض تلخيصاً لآرائها ثم نعقب بتعليق عليها .

ترى كاثلين أتكنسون أن كلا التفسيرين لكلمة sôma غير مقنع ، وتفضل التوصل أولاً إلى الفهم الصحيح لكلمة هيلينيين باعتبار أن ذلك ضروري لفهم كامة sôma .

يفهم من القرار — فيما تقوله هذه الباحثة —أن جانباً من عناصر السكان الذين منحوا الجنسية الرومانية قد شملهم الاعفاء من دفع الضرائب مما ترتب

عليه أن عدداً أصغر من السكان أصبحوا ملزمين بدفع نفس المبالغ التي كانوا يتقاسمون دفعها آنفاً مع الفئة التي تمتعت بالاعفاء. وهذا يعني أننا بصدد طائفتين: طائفة تتمتع بالامتيازات وتشمل «أولئك الذين شرفوا بمنحهم الجنسية الرومانية» وكانوا أصلاً من الهيلينيين، وطائفة أخرى، وهي أيضاً من الهيلينيين، ولكنها لم تنل شرف الحصول على الجنسبة أو المواطنة الرومانية. وفي حين أن أفراد الطائفة الأولى أصبحوا من الناحية القانونية مواطنين روماناً، فإن الطائفة الثانية ظلت على وضعها القديم وعليهم أن ينهضوا بالالتزامات المحلية في كل مدن قورينائية الاغريقية.

وترى الباحثة، وان كانت لم تقم الدليل على صحة رأيها، أن الالتزامات المحلية كانت تفرض أيضاً على طبقتي الأجانب المقيمين في المدن القورينائية metoikoi واليهود. وكان استرابون[٦]، وهو بصدد الحديث عن أحداث وقعت في عصر سلا، وهو قريب من العصر الذي صدر فيه قرار قوريني الثالث، قد تحدث عن هاتين الطبقتين الى جانب حديثه عن طبقتي المواطنين politai والمزارعين georgoi بوصف هذه الطبقات الأربع هي التي كانت تتكون منها عناصر السكان في قوريني. ذلك لأن من رأي الكاتبة أن الهيلنيين كانوا خليطاً من عناصر شتى. بل انها تفترض أن طبقة الأجانب كانت تضم، وقت صدور القرار، المواطنين الرومان الذين كانوا من أصل ايطالي والذين أشير إليهم في القرارين الاول والثاني من قرارات قوريني. ولا تستطيع الكاتبة ان تقطع هل المزارعون يخضعون للالتزامات المحلية، وترجح أن الاجانب واليهود كانوا من اكثر العناصر التي كانت تفيد منها المدن بما كانوا يسهمون به في تلك الالتزامات.

وتتساءل كاثلين أتكنسون عن المواطنين politai وهل يمكن أن يوصفوا من الناحية الجنسية بأنهم هيلينيون. وترجح الكاتبة أن العنصر غير الاغريقي في طبقة المواطنين كان موجوداً بالفعل وكان كبير العدد إلى حد بعد، وتنبه إلى قانون diagramma المؤرخ بعام ٣٠٨ ق.م.، والمعروف

باسم دستور بطلميوس ، والذي نص على أن المواطنين كانوا ينتمون إلى المجموعات الثلاث الآتية :

١ ـــ الأبناء لأبوين قوريناثيين .
٢ ـــ الأبناء لأب من قوريني وأم ليبية ويقيمون في حدود قوريناثية .
٣ ـــ المنفيون الذين أعادهم بطلميوس .

ومن بين هؤلاء كانت جالية **politeuma** العشرة الآلاف الذين كانوا وحدهم مؤهلين لتولي الوظائف العامة ، وأساس تمتع هؤلاء بهذا الامتياز انما يعود الى امتلاكهم نصاب الملكية الذي يسمح لهم بعضوية هذه الجالية أو الهيئة وكان مرتفعاً ، وبناء عليه تفترض الكاتبة أن جالية العشرة آلاف ضمت أيضاً عدداً من غير الاغريق الذين كانوا مجرد مواطنين .

وتستدرك الباحثة بأن هناك من يعترض على تصورها هذا لتكوين هيئة مواطني قوريني ، على أساس ان ذلك كان قبل صدور القرار الثالث من قرارات قوريني بثلاثة قرون ، ولكننا لا نعرف ما اذا كانت الشروط العامة لمواطنة قوريني ظلت على ما كانت عليه من قبل . ولا نشك في أنه في عصر أغسطس كان كل المواطنين على الأقل (أي المواطنون **politai** عند استرابون ) قد أدرجوا في المدن بوصفهم اغريقاً فمنهم ( هيلينيون ) .

وتكمل الباحثة تصورها لتكوين هيئة المواطنين على عهد أغسطس وتقول بأنها ضمت عناصر غير اغريقية وبصفة خاصة اليهود . واستندت في ذلك إلى دراسة الأسماء في قائمة الشباب **epheboi (SEG XX, 741)** . وهؤلاء عادة يوصفون بأنهم مواطنون **politai** من قبل المدن نفسها وهذه القائمة لا يتأخر تاريخها عن تاريخ القرار بأكثر من عشر سنوات . وقد تضمنت القائمة مائة وخمسين اسماً ترددت بينها أسماء يهودية كثيرة مثل العازار ويهوذا وياسون . وتريد الباحثة أن تخرج من مناقشتها ليهودية الأسماء بفكرة مؤداها أنه لما كانت الغالبية العظمى من الأسماء غير اغريقية ، وانه لما كان اليهود

لم يحاولوا اخفاء يهوديتهم باحتفاظهم بأسمائهم الصريحة وابقائها في قائمة الشباب فان هذا يعني انه كان من حقهم في عصر أغسطس في أن ينتظموا في هيئة الشباب **epheboi** وأن ذلك لم يكن ليتم عن طريق خداع السلطات المحلية في قوريني . وترتب الباحثة نتيجة جريئة (سأناقشها فيما بعد) أن اليهود كانوا بالتأكيد بين مواطني المدينة . وتدعم رأيها بأن أحد اليهود وهو العازار بن ياسون كان يشغل في عام ٦٠م وظيفة **nomophylax** المهمة في قوريني (SEG, XX, 737) وفضلاً عن ذلك ضمت قائمة أخرى بأسماء الشباب اسم ايثالامون Ithallamon وربما كان اسماً مصرياً أو ليبياً . ومعنى ذلك أن طائفة الهيلينيين، في رأي كاثلين أتكنسون، لم تقتصر على الاغريق من حيث الجنس، بل ضمت كل الطبقات الأساسية في مدن قورينائية سواء أكانوا مواطنين أو مزارعين أو أجانب . وأن هيئة المواطنين لم تقتصر على الاغريق دون سواهم . ومن هنا كان من الصعوبة بمكان محاولة تحديد طائفة الهيلينيين . ثم ان الحديث عن هيئة **sôma** من الهيلينيين باعتبارها هيئة أو جماعة موحدة من الممكن تحديدها تحديداً متصلاً أمر مستحيل تماماً .

وتحاول الباحثة أن تقيم علاقة في المعنى أو الدلالة بين كلمة جالية (بوليتيوما **politeuma**) وكلمة **sôma** وذلك إذا أريد لهذه الكلمة الأخيرة أن تعني « هيئة » أو « طائفة » متميزة تتمتع بامتيازات معينة، وتقول إنه لا يغير من قيمة ما توصلت إليه من نتائج أن كانت في قوريني جالية قائمة بالفعل وتتمتع بامتيازات سياسية مثل تلك الجالية (التي كانت تضم العشرة آلاف أو أي عدد آخر) في الدستور البطلمي . وإذا كان الأمر كذلك فانه كان يجب أن تستخدم للدلالة عليها كلمة **sôma** وليس كلمة **politeuma** وذلك بالرغم من الكلمة الأخيرة كانت لا تزال مستعملة في قورينائية بالنسبة لجالية اليهود . ولكن أغسطس والذين تولوا صياغة قراره أبعد ما يكون، فيما يرجح، عن استعمالها، ولكن استعمال كلمة **sôma** بمعنى هيئة الهيلينيين — اذا أضيفت إليها — على هذا النحو المحدد لا بد وأن يقود

إلى نوع من الخلط والخلاف في التعرف إلى حقيقة ما يعنيه الامبراطور وهل تنتظم « هيئة الهيلينيين » طبقة « المواطنين » ، وهل يدخل في عدادها الأجانب Metoikoi من الاغريق أم أنهم يستبعدون منهــا . ولكن من ناحية أخرى اذا لم تكن هناك على عهد أغسطس جالية politeuma متمتعة بالامتيازات السياسية ، فانه بالتالي لم يكن هناك بالمقابل هيئة يمكن أن تتطبق عليها عبارة « هيئة الهيلينيين » وبناء عليه ، في رأي الباحثة يجب أن يفصل نهائياً في هذا القرار بين كلمة «sôma» وكلمة « هيلينيون » . وتتساءل الباحثة بعد ذلك عما تعنيه من الناحية القانونية عند الرومان كلمة « هيلينيون » كما جاءت في سياق نص قرار قوريني الثالث . وتشير الباحثة إلى ما ذكره ديون كاسيوس (li, 20, 7) من أنه في ولايتي آسيا وبيثونيا كان الرومان وحدهم في عام ٢٩ ق . م . يختصون بعبادة يوليوس قيصر في حين ان الاجانب ξένοι xénoi ( وتقابل عند الكاتبة كلمة peregrini ) اختصوا بعبادة قيصر أوكتافيانوس » . وأن هؤلاء الاجانب كان يسميهم هيلينيين » .

وقبل أن نستكمل عرض وجهة نظر كاثلين أتكنسون نرى أن نناقش رأيها الذي ارتأته بشأن « الهيلينيين » .

والواقع ان المؤرخ ديسّاو Dessau سبق هذه الباحثة إلى القول بعدم نقاء طبقة الهيلينيين على أساس أن الرومان أدخلوا في عداد هذه الطبقــة كل سكان قورينائية ، التي كانت قد تأغرقت تماماً بدون ما تمييز بين جنس وجنس وكان من حق الجميع الانتساب الى الهيلينية ، ولم يجد هذا المؤرخ حرجاً في ادخال الليبيين بل اليهود في عداد الاغريق . ويستند في رأيه الى أن كلمة « الاغريق » على عهد أغسطس كانت تنتظم كل سكان آسية وسورية(٧) .

واذا ناقشنا ما ذكرته الباحثة بشأن اليهود وعن ظهور أسمائهم الصريحة في قوائم الشباب ، فانه من السهل أن نوضح أن ذلك يعكس أحد أمرين ؛

اما أن اليهود تسللوا إلى عضوية الشباب أو أن القائمين على أمر المنظمة أهملوا في التأكد من شرعية الانتساب إلى عضويتها ذلك أنه ليس من السهل قبول الفكرة القائلة بأن قوريني فقدت صفتها الاغريقية النقية ، تلك الصفة التي لم يكن هناك ما يدعوها إلى ان تفرط فيها . والمعروف لنا أن يهود الاسكندرية في عصر الامبراطور كلوديوس حاولوا اثبات أنهم مواطنون للمدينة ولكن الامبراطور كان صريحاً حين وصف اليهود بأنهم أجانب وحذرهم بكل حزم بعدم اقحام أنفسهم على منظمات الشباب والجمنازيوم، وهما مؤسستان اغريقيتان لا يجوز لغير المواطنين الانتماء إليهما[٨] . وهذه هي وجهة نظر الرومان الرسمية بالنسبة ليهود الاسكندرية ومصر . بل ان الحكم الروماني أخضعهم لضريبة الرأس **laographia** بقيمتها الكاملة ونزل بهم إلى مرتبة المصريين في حين أعفى منها مواطني الاسكندرية وبقية مدن مصر الاغريقية[٩] . ولا بد أن الأمر كان كذلك بالنسبة لقوريني . واذا كان الرومان قد سمحوا ليهود المدن القورينائية بتشكيل جاليات **politeumata** تتمتع بجانب كبير من الحكم الذاتي ، ويتمتع اليهود في اطارها بممارسة حياتهم وشرائعهم الخاصة فما حاجتهم إلى مواطنة قوريني أو غيرها ؟ ومما يؤكد ذلك ان المؤرخ اليهودي يوسف ، وهو الحريص على اثبات المواطنة ليهود الاسكندرية ويهود أنطاكية بأن قال ان اليهود في الاسكندرية اسكندريون ، واليهود في أنطاكية أنطاكيون لم يحاول ان يصف يهود قوريني مثلاً بأنهم قورينائيون بل انه نقل عن استرابون أن يهود قوريني كانوا في ظل الحكم الروماني يكونون طبقة منفصلة تماماً عن بقية سكان المدينة[١٠] . واننا لا نبالغ اذا قلنا ان اليهود لم يحرصوا أيضاً على الحصول على حقوق المواطنة الرومانية **civitas** لانهم لم يرغبوا في الانضمام إلى ما يسمى **Orbis Romanus** » لأن أساس هذا الانضمام انما هو التعاون الكامل بين روما وبين الشعوب الخاضعة لها[١١] .

واذا كانت كاثلين أتكنسون قد حاولت أن تستند إلى ديون كاسيوس

في اعتبار الهيلينيين في ولايتي آسية وبيثونيا أجانب ξένοι xénoi ، فان ذلك لا يعد دليلاً على صحة رأيها . ذلك أن الرومان، من الوجهة القانونية الصرفة ، كانوا يعتبرون كل من هم غير رومان أجانب peregrini . وقد استعملت الباحثة نفسها هذا المصطلح اللاتيني كمقابل لكلمة xénoi وهو كما نرى مصطلح قانوني أطلقه الرومان على غير الرومان .

وتشير الباحثة ، تدليلاً على صحة رأيها بأن الهيلينيين لا يمثلون نقاء جنسياً ، أن طبقة ال « ٦٤٧٥ هيليني » الغامضة من أرباب الاقطاعات في مديرية أرسنوى ( الفيوم ) في مصر والتي تكشف عنها نصوص القرنين الأول والثاني ، كانت تضم عناصر غير اغريقية وذلك دون أن تقدم ما يثبت صحة رأيها . والواقع ان رجال هذه الطبقة كانوا سلالة أرباب الاقطاعات منذ عصر البطالمة ولكنهم حرصوا على عدم الاختلاط بغير جنسهم بل ان اغسطس ساعد على بقاء النقاء الجنسي للاغريق عندما منع الزواج بينهم وبين غيرهم . وحق أعضاء هذه الطبقة أن يتمسكوا بصفة هيلينيين دلالة على نقاء جنسهم . وعلى هذا الأساس سمح لهم بالالتحاق بالجمنازيوم المحلي وأعفوا جزئياً من ضريبة الرأس(١٢) . والأكثر من ذلك عندما أنشأ الامبراطور هادريان مدينته أنتينوبوليس نقل إليها رجالاً من هذه الطبقة وذلك ليضمن صفة النقاء الجنسي في مدينته الجديدة(١٣) . وحتى اذا سايرنا الباحثة في وصفها تلك الطبقة أنها لم تكن اغريقية تماماً فإن ذلك لا يخدم فكرتها لأننا بصدد الحديث عن الهيلينيين في المدن وليس في الريف .

وبناء على ما تقدم نميل الى اعتبار أن الهيلينيين الذين تحدث عنهم القرار الثالث كانوا اغريقاً ولم يدخل في عدادهم غير الاغريق . وهذا ما يذهب إليه فنجر L. Wenger(١٤) من أن الهيلينيين ورد ذكرهم في القرارات الأربعة الأولى من قرارات قوريني بوصفهم جماعة محددة تتمتع بحقوق قانونية محددة وليس بوصفهم حماعة مبهمة تضم عناصر شتى لا يجمع بينها سوى انتمائها إلى الثقافة الهيلينية . وكان فنجر Wenger قد استعان بالبردى

المصري ليبين أن كلمة هيلينية التي مهد لها الطريق في العصر البطلمي انما هي في الواقع من ابتكار الحكم الروماني . وخرج هذا الباحث بنتيجة ملخصها ان كلمة « هيلينيين » تحددت في قورينائية كما تحددت في مصر بأن المنتمي إليها يجب أن يكون عضواً في منظمات الشباب وفي الجمنازيوم . وفي برقة ربما امتد اصطلاح « هيلينيون » ليضم إلى جانب مواطني المدن الخمس الاغريقية كل الاغريق المقيمين في برقة والذين يسمح لهم بالتقاضي أمام المحاكم الاغريقية على نحو ما انتهى إليه وضعهم بمقتضى تنظيمات أغسطس .

الا أننا نميل إلى الظن بأن أغسطس كان يعني بالهيلينيين « هيئة مواطني المدينة » على وجه التحديد لأنه واضح من سياق النص أن الامبراطور انما كان يتحدث عن طائفة من الهيلينيين حصلت على المواطنة الرومانية المصحوبة بالاعفاء من الالتزامات قبل المدينة أو بعدم الاعفاء منها . وجرياً على ما كان يحدث في مصر من أن مواطنة الاسكندرية كانت شرطاً أساسياً للحصول على حقوق المواطنة الرومانية ، فان القوريناني اذا أراد الحصول على هذه المواطنة يجب أن يكون أولاً مواطناً في احدى مدن قورينائية . ولا نرى ثمة ما يدعو إلى التسليم برأي كاتلين أتكنسون من أن عنصر المواطنين في قوريني كان يضم عناصر غير اغريقية . وليس في قانون **diagramma** البطلمي ما يدعو إلى ترجيح رأيها . واذا كان القانون قد نص على الحاق أبناء المواطنين القورينائيين من أمهات ليبيات إلى عداد مواطني قوريني فان ذلك لا يعني بحال أنهم كانوا أجانب لأن وضعهم كان متميزاً منذ عصر أسرة باتوس وخاصة بعد اصلاحات ديموناكس الدستورية . كذلك لم يكن المنفيون الذين لجأوا إلى بطلميوس والذين أعيدوا إلى قوريني إلا اغريقاً أو هيلينيين مواطنين . واذا عرفنا ان كلمة « هيلينيين » في الاسكندرية كانت تقابل في العصر الروماني ( في منتصف القرن الثاني ) كلمة ἀστοί **astoi** « المواطنين »[١٥] فان ذلك يرجح ما ذهبنا إليه من ان الهيلينيين في القرار الثالث

من قرارات قوريني كانوا مواطنين لتلك المدينة(١٦) .

وإذا سلمنا بأن الهيلينيين في قوريني أو في المدن القوريناثية الأخرى كانوا هم المواطنين الإغريق غير المختلطين بغيرهم من أجانب أو يهـــود فان ذلك يجعلنا نتردد في قبول ما ذهبت إليه كاثلين أتكنسون من ترجمتها كلمة *μερος* **méros** على أنها جزء أو قسم وذلك لتترجم عبارة εμ μερει τω *των* Ελληνων **en méri tô tôn Hellénon** بأنها تعني « في القسم أو الجانب الهيليني من سكان قوريني وحتى تتجنب اضافة كلمة **sôma** إلى كلمة الهيلينيين كما هو وارد في النص . وعلى العكس من ذلك فإن بعض الشراح استناداً الى أسباب لغوية فهم العبارة السابقة على أنها تعني « الهيلينيين بدورهم »(١٦) .

واذا اخذنا بتفسير كلمة **sôma** على أنها تعني هيئة أو طائفة ، وهذا ما ترفضه كاثلـــين أتكنسون ، فان *to των* Ελληνων *σωμα* **to tôn Hellénon sôma** انما تعني المواطنين *πολιται* **politai** الذين كانوا يديرون شئون مدينتهم وذلك في مواجهة جماعات السكان الأخرى مثل اليهـــود الذين كانوا كما أسلفنا ينظمون في جالياتهم *πολιτευματα* **politeumata** الخاصة بهم(١٧) .

وقد حاول شروين هوايت **A. N. Sherwin White** أن يجد تفسيراً معقولاً لكلمة *σωματι* **sômati** وقال ان المشكلة ترجع إلى اصرار الباحثين على أن النص صيغ أصلاً باللغة اليونانية وأنه لم يترجم عن أصل لاتيني ، وان كان هذا لا يستبعد احتمال أن يكون الامبراطور قد أصدر تعليماته باللغة اللاتينية . ويرى أن كلمة **sômati** عند جايوس وغيره من الفقهاء تعني طائفة من الأشخاص تشابه طائفة أخرى دون أن تكونا نفس الشيء . أي أن أولئك الذين منحوا حقوق المواطنة الرومانية كان عليهم أن ينهضوا بالتزامات الاغريق **in munero Graccorum** بالرغم من أنهم لم

يكونوا اغريقاً Graeci [١٨] . فاذا فهمنا أن المقصود هو أن تلك الطائفة من الهيلينيين والذين كانوا أصلاً مواطنين في قورينى ثم حصلوا على حقوق المواطنة الرومانية فأصبحوا مواطنين رومان ، كان عليهم الاستمرار في أداء التزاماتهم بالرغم من ذلك ، كما لو كانوا لا يزالون مستمرين في وضعهم الأول كمواطنين هيلينيين وإن كانوا من الناحية القانونية مواطنين روماناً . ولذلك يصبح من المقبول لدينا القول أن sôma تعني هيئة، وأنه اذا ربطنا بينها وبين كلمة هيلينية يصبح معنى العبارة التي أثارت كل هذا الجدل ، ان مواطني قورينى الذين بالرغم من حصولهم على حقوق المواطنة الرومانية ، كان عليهم أن ينهضوا بدورهم بالالتزامات المفروضة على هيئة الهيلينيين أي هيئة المواطنين الاغريق [١٩] التي انفصلوا منها من الناحية القانونيـــة ليكتسبوا صفتهم الجديدة بأنهم مواطنون رومان . وهذا يعني أننا نوافق كاثلين أتكنسون على رفضها تفسير كلمة sôma على انها التزامات شخصية ولكن ليس للأسباب نفسها لانها لم ترد بالمعنى الذي أراده لها دي فيشير في أي وثيقة من وثائق العصر الجمهوري أو عصر الحكومة الثلاثية [٢٠] .

وبالرغم من أنه في ضوء المناقشة السابقة أصبحت كلمات السطر ٥٨ واضحة وخاصة كلمة «sôma» وكلمة «الهيلينية» ، الا أننا نفضل المضي في تتبع رأي كاثلين أتكنسون في تفسير كلمة Sôma ذلك أنها ترفض ترجمتها بمعنى هيئة أو طائفة كما مر بنا . ولا تمانع هذه الباحثة في مسايرة أوليفر الذي ربط بين كلمة λειτουργειν leitourgeîn في السطر ٥٧ مع كلمة sômati في السطر ٥٨ من سطور نص القرار . وتقبل تفسيره بأن المعنى المقصود في هذه الحالة هو « أن ينهض الشخص بذاته بالخدمات العامة . وكان أوليفر قد اقترح اضافة كلمتي Kaî χρημασι και واثباتهما قبل σωματι على أساس ان الامبراطور انما نص في قراره على الاعفاء ανεισφορια immunitas وهو الاعفاء من الأعباء المالية إلى جانب الاعفاء من الالتزامات التي يؤديها المواطن بشخصه . وهذا الجانب الأخير

من الالتزامات هو الذي عناه دي فيشير في تفسيره لكلمة sôma . ولذلك فان أوليفر افترض أن تكون كلمة χρημασι chremasi قد سقطت من النص . واثباتها على النحو الذي أراده أوليفر ليعني الاعفاء من الالتزامات المالية يستدعي تعديلاً اقترح ادخاله على النص . وعند شروين هوايت ان هذا التعديل كان من الممكن أن يقدم حلاً للمشكلة الناشئة عن استعمال كلمة λειτουργειν leitourgeîn والتي زادت الأمر سوءاً باضافتها إلى كلمة sômati . ولكن ذلك يستتبع ان تكون الكلمة somati في صيغة الجمع σωμασι وليست في صيغة المفرد حتى يمكن أن يكون المعنى « عليهم ان ينهضوا بالالتزامات بأجسادهم » ، وبالرغم من اعتراف شروين هوايت بأخطاء اعتورت كتابة بعض الكلمات في القرارات الخمسة كلها الا أنه يفضل أن يبقى النص كما هو وليعني ان أغسطس أبطل حق المواطنين الجدد في أي اعفاء من الالتزامات munera .

وهذا يعني عدم التسليم بما اقترحه أوليفر من اضافة وتعديل ، وينهي أيضاً مناقشة كاثلين اتكنسون لولا أنها قدمت تفسيراً جديداً وهو أن المواطنين الجدد طالبوا باعفائهم من الخدمة العسكرية وكان أوليفر قد استبعد أن يكون الأمر كذلك وأصر على ان هؤلاء المواطنين كانوا يطالبون بالاعفاء من الأعباء المالية . وهذا ما عابته عليه هذه الباحثة . ولفتت النظر إلى دعوى أقامها القورينائيون في عام ٥٩ أمام مجلس الشيوخ ضد حاكم الولاية السابق وهو (Pedius Blaesus) لقبوله الرشوة مقابل اعفاء بعض مواطني قوريني من تجنيدهم للعمل في الخدمة العسكرية الرومانية وذلك فيما يرويه المؤرخ تاكيتوس[٢١] . وهذا يعني في رأيها ان بعض مواطني المدينة كانوا يخضعون للخدمة العسكرية بالفعل وبذلك كان لهم وضع قانوني خاص بهم ولم يكن ذلك مجهولاً بالنسبة لبقية المواطنين . وتميل الباحثة الى ترجيح أن المدينة كانت تحتفظ بسجل خاص تدون فيه أسماء المواطنين وأسماء المقيمين في المناطق التابعة لها بصفة دائمة

ويخضعون للخدمة العسكرية وذلك للدفاع عن حدود المدينة ومنطقتها وبأنفسهم ، ترى تبعاً لذلك ان عبارة σωματι λειτουργειν التي تعني « التزام الشخص بالخدمة العامة بشخصه » انما هي الاصطلاح المناسب للتعبير عن تكليف هذا الشخص بالخدمة العسكرية وترى انه لذلك يجب ان تفسر الاشارة في القرار الثالث الى ανεισφορια aneisphoria على أنها يجب ألا تعني الاعفاء من الالتزامات المالية العامة التي يلتزم بها مواطنو قوريني نحو مدينتهم كما يفترض أوليفر ولكنها تصف الاعفاء من دفع الضرائب لروما وهذا امتياز يتمتع به المواطنون الرومان الى جانب الاعفاء من الخدمة العسكرية . وأما الذين منحوا حقوق المواطنة الرومانية بمقتضى منحة شخصيته فإنهم لا يتمتعون بهذه الامتيازات . وتنتهي الباحثة إلى تفسير قرار الامبراطور بأنه اذا منحت حقوق المواطنة الرومانية لفرد ما دون ان يقترن ذلك باعفائه من دفع الجزية لروما فإن في استطاعة هذا الشخص ان يطالب ايضاً باعفائه من الخدمة الالزامية الشخصية أي من الخدمة العسكرية والتي كانت أحد أسس مواطنة قوريني . واذا كان بعض الأفراد في المدينة قد حصلوا على الحقوق الرومانية في وقت سابق وكانت في الوقت نفسه مقترنة بالاعفاء من القيام بواجبات معينة قبل روما بما في ذلك الخدمة العسكرية فان ذلك يؤدي الى استبعادهم من قوائم أولئك الذين يخضعون للخدمات الشخصية الالزامية في المدينة وهذا ما عبر عنه بعبارة somati leitourgein .
وعندما منح أغسطس، وكان لا يزال عضواً في الحكومة الثلاثية، حقوق المواطنة الرومانية لسلوقس أحد قادته البحريين وأحد مواطني مدينة روسوس في سورية مكافأة له على حسن بلائه في المعارك ، قرن ذلك باعفائه من الضرائب على الممتلكات πολιτειαν και ανεισφοριαν των υπαρχοντων على قدم المساواة مع أي مواطن من المواطنين المتمتعين بالاعفاء من الضرائب والمتمتعين بجميع الحقوق القانونية العامة، (cives immunes optimo iure) وبالاعفاء من الخدمة العسكرية στρατειας λειτουργιας وكل

الخدمات الالزامية العامة $\delta\eta\mu o\sigma\iota\alpha s$ $\alpha\pi\alpha\sigma\eta s$ . وتسري هذه الاعفاءات أيضاً على والديه وأبنائه وأحفاده وزوجته ، ولا بد أن يكون أغسطس قد راعى النص على هذه الاعفاءات بالنسبة للقرارات التي أصدرها بمنح حقوق المواطنة الرومانية أو تلك التي أصدرها يوليوس قيصر . وبذلك تكون الطائفة التي منحت حقوق المواطنة الرومانية مع النص على اعفاء أفرادها في الوقت نفسه محققة في التماس اعفائها من الخدمة العسكرية . وقد أجابها الامبراطور بالفعل إلى طلبها . أما المواطنون الرومان الجدد الذين كانوا لا يزالون يحتفظون بمواطنتهم لقوريني فهؤلاء لا يستمرون في خضوعهم للالتزامات الشخصية . وبذلك عندما قرر الامبراطور ، كما هو وارد في نص القرار الثالث ، ان الاعفاء من الالتزامات بالنسبة للممتلكات انما يقتصر فقط على ما كان لهم منها عند صدور القرار بمنحهم حقوق المواطنة وبشرط أن يكون هذا القرار قد اشتمل على النص بالاعفاء فانه في الواقع أراد أن يهدىء من ثائرة بقية المواطنين الذين كان عليهم أن يقتسموا الالتزامات اتجاه روما وبذلك يصبح لزاماً على الجميع ابتداء من تاريخ صدور القرار الاسهام في دفع الجزية لروما **stipendium** . وبناء عليه ترى كاتلين أتكنسون أنه لا ضرورة لتعديل النص بادخال اضافات عليه وانما يجب تصحيح وضع كلمة Somati بأن تتقدم عن السطر ٥٨ لأنها ترجح ان هذه الكلمة في النص الاصلي قبل نقشه لم تكن في هذا السطر .

ويتبقى بعد ذلك مسألة تحتاج إلى توضيح وهي هل كان هؤلاء الأشخاص يخضعون للخدمة العسكرية الرومانية فقط أم أنهم يجندون ، طبقاً لقوانين المدينة للعمل في فرقتها المحلية ؟ وفي رأي الباحثة أن أغسطس كان يرى وجوب الالتزام بالخدمة العسكرية المحلية ويقترن ذلك بلا شك بالالتزام بالخدمة العسكرية الرومانية ، وتفترض أنه كان قد أعد عبارة أراد اضافتها إلى المسودة وهي : « القوريناثيون الذين منحوا حقوق المواطنة الرومانية

( باستثناء المواطنين الذين حصلوا على حق الاعفاء **cives optimo iure**

**immunes** ) كانوا يخضعون للخدمات الجسدية في القسم أو الجانب الهيليني من سكان قوريني εμ μερει των Ελληνων **en mérei tô tôn Hellénon** ، وبذلك فانه في رأي الباحثة كان القرار يتعلق أساساً بوجوب الزام المواطنين الرومان من بين القوريناثيين بالخضوع للخدمة العسكرية الاجبارية أي انها تشير على وجه التحديد إلى **militae vocatio** والتي يعفى منها فقط **cives optimo iure immunes** . ولكن شروين هوايت يعترض على هذا الاستنتاج لان النصوص تفرق بين الاعفاء من الخدمة العسكرية **militae vocatio** باعتبارها منحة خاصة منفصلة عن وضع المواطنين المتمتعين بجميع الحقوق القانونية العامة **cives optimo iure immunes** وفضلاً عن ذلك فان الرومان في الولايات لا يخدمون في فرق محلية كما فسرت الباحثة عبارة **en méri tô tôn Hellénon** ولكنهم يخدمون في الفرق الرومانية **legiones** (٢٢) .

ونخلص من هذا كله الى أن ما أثارته كاثلين أتكنسون من مناقشات وما قدمته من افتراضات لا يفسر النص الذي صيغ به القرار الثالث الا اذا قبلنا ما تريد هي أيضاً أن تدخل عليه من تعديل حتّى ولو كان بتغير وضع كلمة معينة . ويكون النص في صيغته التي تشير بها في مجموعة SEG وعند الاستاذين ايرنبرج وجونس انما هو النص الصحيح والذي على أساسه يجب أن تدور المناقشات . والترجمة التي قدمنا بها للمقال هي الترجمة التي يمكن أن نطمئن عليها . ولو كان الامبراطور قد قصد الى غير ما تضمنه لذكر ذلك بصراحة كما ذكر في قرارات أخرى أو كما ورد في غير قراراته من عصر الجمهورية أو من عصر الحكومة الثلاثية وهي القرارات التي اشارت إليها الباحثة في مقالها .

# الحواشي

١ ـ هذه القرارات وعددها خمسة منقوشة على لوح من المرمر عثر عليه في سوق مدينة قوريني ( شحات ) في عام ١٩٢١ ، والاربعة الأولى منها تؤرخ بعام ٧ /٦ ق.م. وتتعلق . بقورينائية ( برقة ) وحدها . أما القرار الخامس فهو قرار عام صدر عن مجلس الشيوخ الروماني في عام ٤ ق.م. ) ليذاع في كافة ولايات الامبراطورية الرومانية. وقد نشر ج . أوليفريو هذه القرارات لأول مرة في عام ١٩٢٧ . انظر .

G. Oliverio, La Stele di Augusto rinvenuta nell'Agora di Cirene, **Notiziario archeologico del Mistero delle Colonie,** IV, Milano - Roma, 1927, pp. 15-67

وأعيد نشرها في :

**Supplementum Epigraphicum Graecum** (SEG), 1938, IX, N° 8; V. Ehrenberg & A.H.M. Jones **Documents illustrating The Reigns of Augustus and Tiberius,** 2nd ed., Oxford, 1967, N° 311.

وقد قام على دراستها عدد من المؤرخين وعلماء القانون وأكتفي بأن أشير إلى :

F. De Visscher, **Les Edits d'Auguste Découverts a Cyrène, Osnabrück, 1965.**

وقد ضمن دي فيشير كتابه ، إلى جانب دراسته المستفيضة لهذه القرارات، قائمة بتراجم الباحثين لنصوصها وتعليقاتهم من المهم الرجوع إليها . وسبق لكاتب هذا المقال أن عرض لهذه القرارات في « **دراسات في تاريخ ليبيا القديم** » بنغازي ، ١٩٦٦ ، ص ص ١٥٦ ـ ١٦٣ .

٢ – السطور من ٥٥ إلى ٦٢ .

3 — F. De Visscher, op. cit. pp. 98 ff.

4 — J. H. Oliver, in **Hesperia,** XXIX, 1960, p. 234 ff.

5 — K. M. T. Atkinson, «The Third Edict of Augustus», **«Ancient Society and Institutions** (Studies presented to Victor Ehrenberg on his 75th birthday), Oxford, 1966, pp. 21-36, p. 21 f.

6 — Strabo, ap. Jos. Ant. XIV, 115.

7 — F. De Visscher, op. cit. pp. 57, 76.
حيث عرض المؤلف هذا الرأي عن طبيعة تكوين سكان قورينائية .

٨ – مصطفى كمال عبد العليم ، **اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان** . القاهرة ١٩٦٨ ص ١٦٢ وما يليها .

٩ – المرجع السابق ، ص ٢٢٢ وما يليها .

١٠ – المؤلف نفسه ، **دراسات في تاريخ ليبيا القديم** ، بنغازي ١٩٦٦ ص ١٨٥ وما يليها .

11 — A.N. Sherwin White, **The Roman Citizenship** 2nd ed. Oxford, 1973, p. 422.

12 — A.C. Johnson, **Roman Egypt,** New Jersey, 1959, p. 532; S. Le Roy Wallace, **Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian,** Princeton, p. 118.

13 — E.G. Turner, **Greek, Papyri,** Oxford, 1968, p. 82.

14 — J. Strou XX L. Wenger, Die August-Inschrift Auf dem Marktplatz von Kyrene (**Abb. der Bayer. Akad. philhist Klasse)** XXXIX, Band 2.

15 — R. Taukenschlag, **The Law in Graeco-Roman Egypt in the light of the Papyri,** Warszaway 1955, p. 18 N° 49.

١٦ – صوفي حسن أبو طالب ، « تطبيق القانون الروماني في مصر الرومانية » ، **مجلة القانون والاقتصاد** ، العددان ٣ ٤٢ من السنة الثانية والعشرين ، ص ص ٣٥٣ – ٤١١ ص ٣٩٩ . وحاشية رقم ٢ حيث أثبت الكاتب ان هذا هو تفسير الاستاذ الدكتور محمد سليم سالم أستاذ اللغات القديمة بجامعة عين شمس بالقاهرة.

وراجع أيضاً :

A. N. Sherwin White, op. cit. p. 335.

حيث يعترض الباحث على تفسير قلهم Wilhelm لعبارة εμ μερει بأنها تعني . بوصفهم اغريقاً أو vice Graecorum ويقول أنه خير لنا أن تفسرها على نحو ما وردت به في القرار الأول سطر ٩ بأنها تعني in vicem بدورهم » .

17 — J. G. C. Anderson, JRS, XIX, 1929, p. 221.

وذلك في تعليقه على تفسير L. Wenger للقرار الثالث من قرارات قوريني راجع حاشية ١٤ .

18 — A.N. Sherwin White, op. cit. p. 335.

١٩ — ربما كان الهلينيون في قوريني مرتبطين « بالمواطنين » في قانون بطلميوس . انظر الحاشية السابقة .

٢٠ — انظر حاشية ١٨ .

21 — Tacitus, XIV, 18.

22 — V. Ehrenberg & A. H. M. Jones, op. cit. N° 301

٢٣ — انظر حاشية ١٨ .

# المقالات

# قضيّة فرض الحدود الدّولية والنزاع العربيّ الإسرائيليّ

الدكتور فوزي عبد المجيد الأسدي
( قسم الجغرافيا —
جامعة بنغازي )

## ١ — مقدمة :

في الوقت الذي نسمع فيه عن انعقاد « مؤتمر السلام » لحل النزاع العربي الاسرائيلي ، بشكل جدي وعلى « أسس عادلة » — وقد يكون هذا الحل نهائياً لهذا النزاع ، إلا اننا نسمع من جهة اخرى عزم وتصميم الدول العظمى على فرض حل مقبول لكلا الطرفين المتنازعين حسب قرارات مجلس الامن في هذا الخصوص .

ومن خلال المباحثات الاولية التي جرت عقب حرب رمضان ( اكتوبر سنة ١٩٧٣ ) اتضح لنا ان كلاً من الطرفين المتنازعين لا يزال متمسكاً بمطالبه الاساسية ولا يرغب التراجع عنها . وما الاشتباكات المتواصلة في منطقة الجولان إلا دليل على تشبث الطرف الاسرائيلي بموقفه من عدم الانسحاب من منطقة الجولان التي احتلوا جزءاً كبيراً منها في حرب يونيه سنة ١٩٦٧ ، وجزءاً صغيراً في حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ .

وحيث ان الدولتين العظمتين قد تعهدتا بحل هذا النزاع — رغم اختلاف وجهات نظر الطرفين المتنازعين ، فان هاتين الدولتين — ومن خلفهما مجلس الامن — قد تلجآن إلى فرض حل جديد للمشكلة الفلسطينية مشابه لقرار مشروع تقسيم فلسطين المشهور .

وقبل تحليل مساوىء مثل هذا الحل ، فانه يجدر بنا ان نفهم ما يقصد « بفرض الحدود الدولية » .
(SUPERIMPOSITION OF INTERNATIONAL BOUNDARIES)

لقد كان اول من اقترح استعمال هذا التعبير الجغرافي الاستاذ ريتشارد هارتشورن (R. HARTSCHORNE)[1] ــ ثم استعملها بعده كثير من الجغرافيين السياسيين ، والتعريف هو :

« الحدود المفروضة هي تلك الحدود التي تخطط بعد ان تكون المنطقة التي يتوجب تقسيمها قد سُكنت وتطورت ولكن هذه الحدود لا تتمشى مع المميزات الحضارية والعرقية للاهاليالذين يقيمون في تلك المنطقة المتنازع عليها » . [٢]

وهناك امثلة عديدة على فرض حدود دولية كما حدث في رومانيا وبولندا وايرلندا وسورية وفلسطين ( عقب الحرب العالمية الاولى ) وغيرها .

## ٢ ــ اهم مميزات مشروع تقسيم فلسطين والاخطار الناجمة عن تطبيقها :

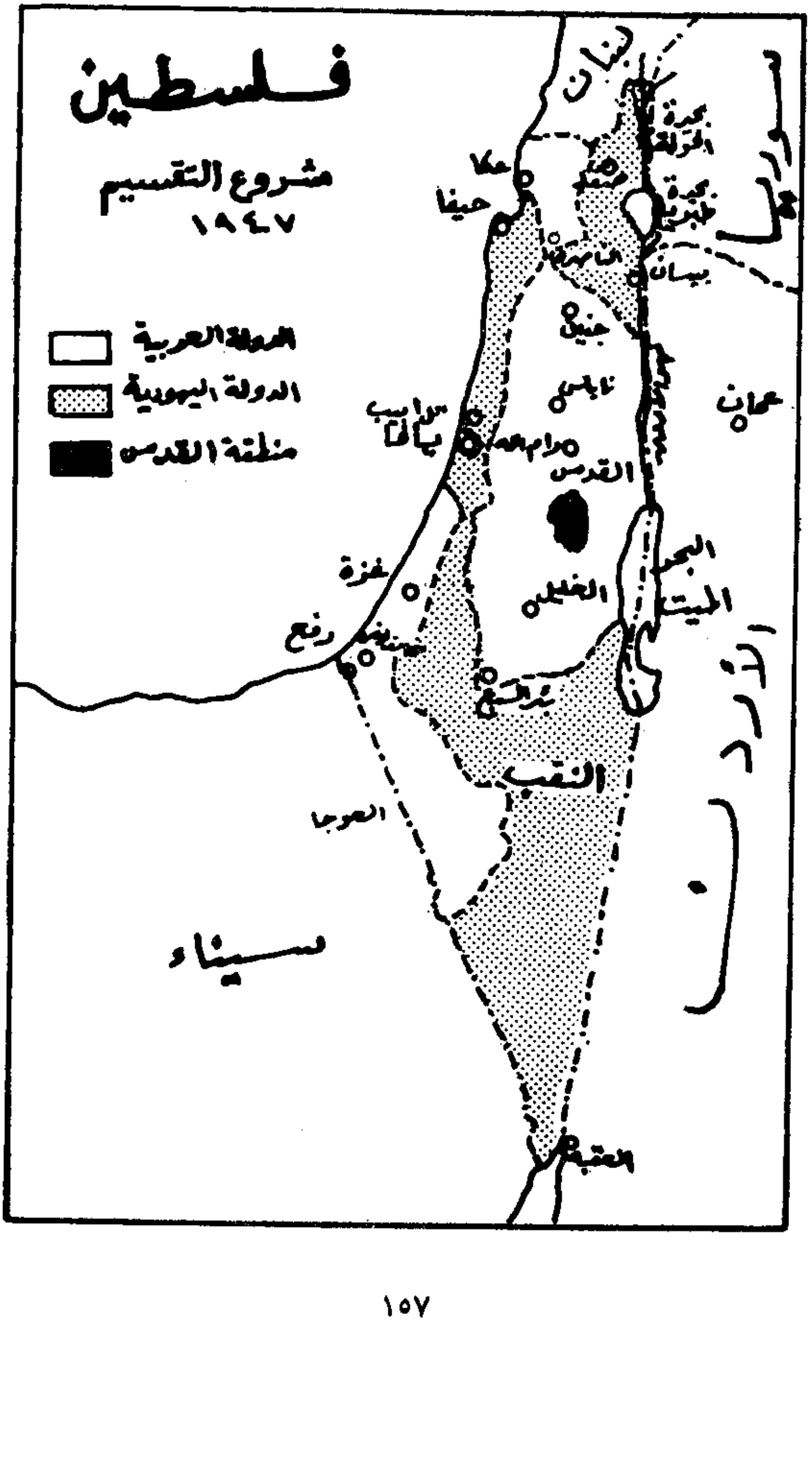
لقد اوصت الجمعية العمومية التابعة لهيئة الامم المتحدة في نوفمبر سنة ١٩٤٧ تقسيم فلسطين إلى ستة اجزاء ــ ثلاثة منها خُصصت للدولة العربية ــ بالاضافة إلى « جيب » مدينة يافا على الساحل ــ وثلاثة اجزاء اخرى للدولة اليهودية ، كما أوصت ايضاً بانشاء منطقة دولية حول مدينة القدس تدار من قبل هيئة الامم المتحدة ( شكلي ١ و ٢ ) .

وبناء على تلك التوصية فقد كان المفروض ان تقسم مساحة فلسطين على النحو التالي : [٣]

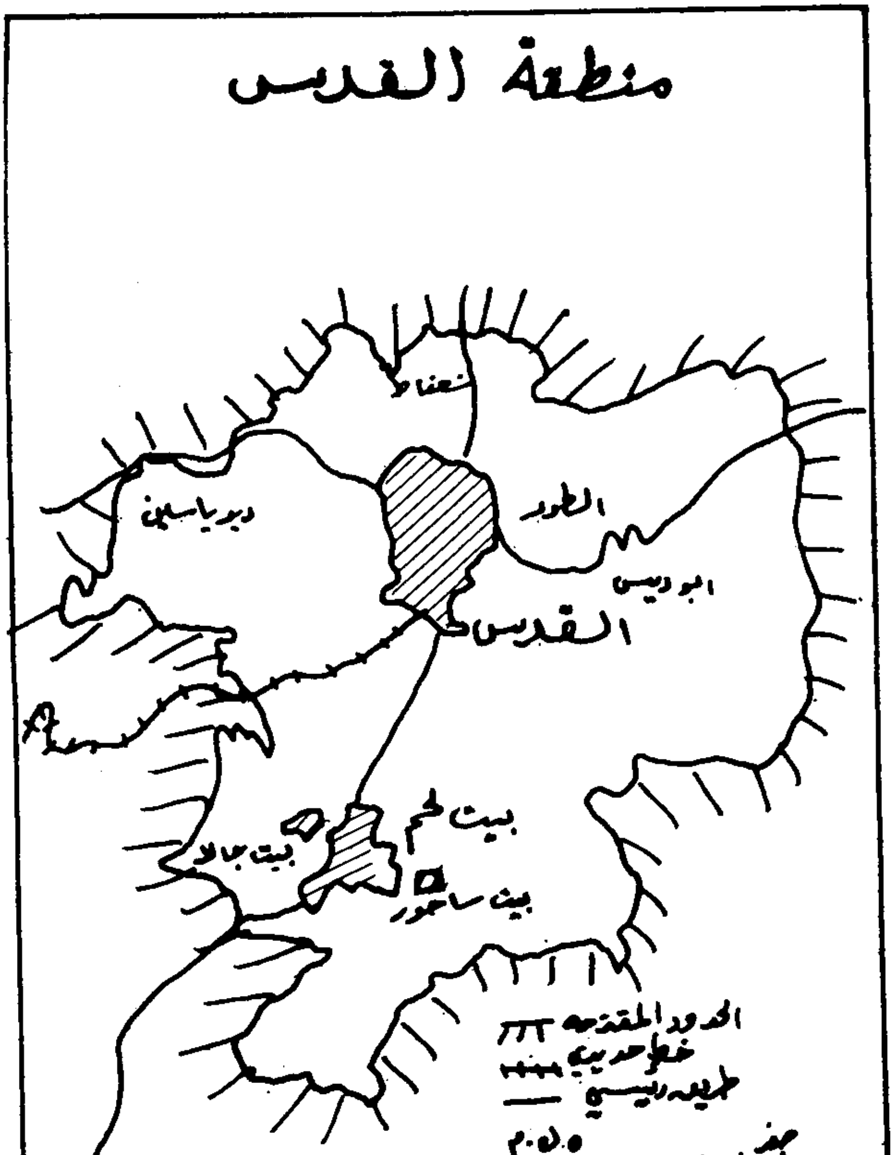
(١) دولة عربية : وتضم مساحة تقدر بـ ٤٤٧٦ ميلاً مربعاً ، او ما يعادل ٤٢,٩٪ من مجموع مساحة فلسطين .

(٢) دولة يهودية : وتضم مساحة تقدر بـ ٥٨٩٣ ميلاً مربعاً ، او ما يعادل ٥٦,٥٪ .

شكل رقم ١


فلسطين
مشروع التقسيم
١٩٤٧
الدولة العربية
الدولة اليهودية
منطقة القدس
لبنان
عكا
حيفا
بيسان
جنين
نابلس
عمان
يافا
القدس
غزة
الخليل
رفح
النقب
العوجا
سيناء
العقبة

شكل رقم ٢


منطقة القدس
عناتا
الطور
دير ياسين
ابوديس
القدس
بيت لحم
بيت جالا
بيت ساحور
الحدود المقترحة
خط حديد
طريق رئيسي

(٣) منطقة دولية حول القدس : ومساحتها ٦٨ ميلاً مربعاً — او ما يعادل ٠,٦٥ ٪ من مجموع مساحة فلسطين .

ومع ان هذه الاجزاء تظهر على الخريطة المرفقة ( شكل ١ ) متصلة ببعضها البعض ، إلا انها تظهر على الطبيعة — والخرائط ذات المقاييس الكبيرة — على شكل اقسام منفصلة عن بعضها البعض « بممرات » دولية خطيرة ولا يستطيع الانسان تقدير خطورتها إلا اذا اخذ بعين الاعتبار المشاكل التي قد تنجم عند محاولة نقل البضائع او الاشخاص من إحدى قطاعات اي من الدولتين إلى قطاع اخر عبر هذه الممرات التي تُشرف على نقط التقاء مواصلات مهمة ( خاصة عند العفولة جنوبي مدينة الناصرة ) . وان هذه الممرات تُذكّر الإنسان بما حدث في « ممردانزغ » ( في بولندا ) قبل الحرب العالمية الثانية والذي استعمله الالمان ذريعة لمهاجمة بولندا واحتلالها فيما بعد .

وكذلك الحال في « جيب » مدينة يافا فهو منعزل تماماً عن بقية مناطق الدولة العربية ، ولا يتم الوصول إليه إلا عبر اراضي الدولة اليهودية ( او عن طريق البحر ) . وان هذا العمل يحمل في طياته اخطاراً أخرى خاصة اذا علمنا ان كلا الدولتين الفلسطينيتين لم تنهجا «النهج الطبيعي» في استقلالهما لتكونا دولتين صديقتين. وهذا الوضع يُذكّر الانسان بالتوترات الدولية و «الحرب الباردة » التي تحدث باستمرار عند محاولة الحلفاء دخول مدينة برلين عبر اراضي المانيا الشرقية . وحيث ان الجزء الاكبر من الدولة العربية الفلسطينية ( منطقة المرتفعات الوسطى ) كان قد فرض عليهـا مشروع التقسيم العُزلة عن البحر الابيض المتوسط ، فان اعتماد الدولة العربية على ميناء كبير كيافا ( او حيفا ) كان مهماً جداً ولذلك لن يُكتب لذلك القطاع الاوسط الوقوف على قدميه اقتصادياً ما لم يكن له منفذ حر على البحر وغير مهدد بين الاونة والاخرى من قبل الدولة اليهودية. وتزداد القضية خطورة وتعقيداً عندما يعلم الانسان ان الخط الحديدي الوحيد الذي يربط

المنطقة الساحلية بالهضبة الوسطى يمر معظمه بالاراضي اليهودية — مع ان حكومة فلسطين كانت قد بنته لمنفعة جميع اجزاء فلسطين . فحرمان المنطقة العربية منه — أو إبقاء معظمه تحت سيطرة الدولة اليهودية — كان امراً مجحفاً بالنسبة للسكان العرب . ونستطيع هنا ان نذكر ان من أهم الاسباب التي حملت اسرائيل على مهاجمة مصر سنة ١٩٦٧ كان اغلاق خليج العقبة من قبل القوات المصرية والذي كان يقصد منه حرمان اسرائيل من استغلال ميناء ايلات على خليج العقبة ، فادعت اسرائيل عندئذ ان مصر تريد « خنقها اقتصادياً » بمنعها تصدير منتجاتها عبر البحر الاحمر . فهل كان بإمكان الدولة العربية مهاجمة اسرائيل لو انها اغلقت ميناء يافا ؟ هذا ما كان يُخيف سكان فلسطين العرب لمعرفتهم الجيدة لنوايا « جيرانهم » ومغتصبي اراضيهم .

هذا وقد استطاعت المنظمات الصهيونية ومن ورائها « اللجنة المختصة » بدراسة المشكلة الفلسطينية والمنبثقة عن هيئة الامم المتحدة ان تقنع عدداً كبيراً من اعضاء هيئة الامم المتحدة بعدالة مشروع التقسيم وذلك باستعمالها خرائط سياسية لا تظهر حقيقة الاوضاع الطبيعية والبشرية والاقتصادية المتعلقة بالقضية الفلسطينية . ولكي لا تتكرر هذه المأساة ثانية ويُفرض على العرب حل جديد « لتجزئة الاراضي العربية المحتلة » ، فانه يجدر بنا الا نُخدع بما يظهر على بعض الخرائط من حدود وتقسيمات قد تكون « عادلة » من حيث المساحات ولكن يجب معرفة مميزات تلك الاجزاء قبل قبولها او رفضها . ونظراً لوجود عوامل جغرافية مهمة متعلقة بالقضية الفلسطينية فانه لا يمكن فهم اسباب رفض مشروع التقسيم من قبل الفلسطينيين العرب في سنة ١٩٤٧ وحالياً ما لم يدرس الانسان تلك العوامل دراسة جيدة .

### ٣ — بعض العوامل الجغرافية المؤثرة في رفض مشروع التقسيم :

#### أ — عوامل طبيعية

(١) سوء تقسيم فلسطين من حيث طبيعة تضاريسها :

( ان الغرض من اعطاء بعض خصائص المناطق الطبيعية في فلسطين هو لنربطها بخريطة مشروع التقسيم ولإبراز مساوىء ذلك التقسيم بالنسبة لسكان فلسطين ) .

يمكن تقسيم فلسطين من الناحية التضاريسية إلى اربع مناطق رئيسية هي : ( شكل ٣ ) .

السهل الساحلي ، منطقة المرتفعات الوسطى ، صحراء النقب ، ووادي نهر الاردن .

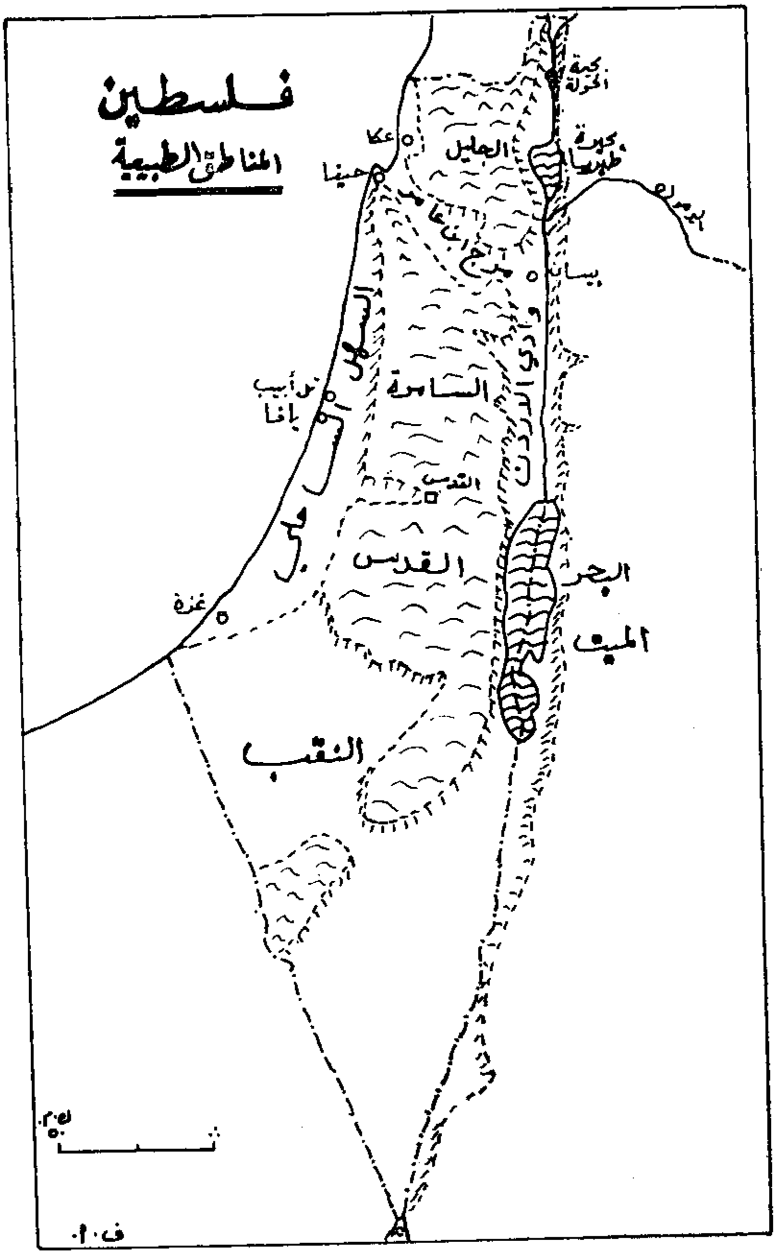
## السهل الساحلي :

يمتد هذا السهل ما بين مدينتي عكا في الشمال وغزة في الجنوب ، ويختلف هذا السهل في عرضه من حوالى ستة كيلومترات عند مدينة عكا إلى أن ينفتح بشكل واسع عند التقائه بمرج ابن عامر – الذي يقطع البلاد عرضياً بين مدينتي حيفا في الشمال الغربي وبيسان في الجنوب الشرقي – إلا ان السهل الساحلي يكاد ينعدم عند اصطدامه بجبل الكرمل عند مدينة حيفا ولكنه إلى الجنوب منها يبدأ بالتوسع إلى أن يصبح اكبر عرض له حوالى ٣٦ كيلومتراً إلى الشرق من مدينة يافا . ويحوي هذا السهل اراضيَ زراعية خصبة جداً رغم وجود بعض الكثبان الرملية المجاورة للساحل مباشرة . وكذلك الحال في مرج ابن عامر فهو سهل واسع يحوي تربة لحقية خصبة وهو حسن التصريف في اغلب اقسامه.

## المرتفعات الوسطى :

تمتد هذه المرتفعات من الحدود اللبنانية – الفلسطينية إلى منطقة النقب . ويقسم سهل مرج ابن عامر هذه المرتفعات إلى قسمين : الشمالي ويدعى مرتفعات الجليل ، والقسم الجنوبي ويدعى مرتفعات وهضاب السامرة والقدس.

شكل رقم ٣


فلسطين
المناطق الطبيعية
عكا
حيفا
الجليل
بحيرة الحولة
بحيرة طبريا
اليرموك
مرج ابن عامر
بيسان
وادي الأردن
السهل الساحلي
السامرة
تل أبيب
يافا
القدس
غزة
البحر الميت
النقب

وتتألف هذه المرتفعات من قمم جبلية منعزلة ( خاصة حول مدينة نابلس ) يبلغ ارتفاع البعض منها ما بين ٩٠٠ – ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر – تعرقل المواصلات الداخلية بين السهل الساحلي ووادي نهر الاردن من جهة ، وبين القسم الشمالي من البلاد والقسم الجنوبي من جهة أخرى .

اما مرتفعات « القدس – الخليل » فتسير بشكل متعرج وسط البلاد ( يصل ارتفاع بعض هذه المرتفعات إلى ما بين ٨٥٠ – ١٠٠٠ متر ) وتتخللها عدة أودية جافة وكسور ( فوالق ) عرضانية وطولانية تجعل الانحدارات شديدة في بعض الاماكن . وان السفوح الشرقية لهذه المرتفعات عبارة عن منحدرات صخرية قاحلة وخالية من النباتات الطبيعية المهمة وتنحدر بشكل شديد وفجائي نحو وادي نهر الاردن مما يؤدي إلى صعوبة الاستيطان عليها ( سوى حول مدينة اريحا التي تعتمد في وجودها على احد الينابيع الجارية من هضبة القدس ) . بينما الحافة الغربية اقل انحداراً من الشرقية ولذلك فهي صالحة للزراعة وتحوي اعداداً اكبر من المستوطنات والسكان .

**منطقة النقب :**

تشبه هذه المنطقة المثلث . قاعدته تمتد بين مدينة غزة في الغرب واواسط البحر الميت في الشرق ، اما رأس المثلث فيقع عند خليج العقبة . ورغم ان هذه المنطقة صحراوية من الناحية المناخية إلا ان القسم الشمالي الغربي يحوي اراضيَ منبسطة ذات تربة خصبة ( لوس Loess ) ويمكن زراعتها اذا ما توافرت لها المياه او الامطار [٤] .

**وادي نهر الأردن :**

يتألف هذا الوادي من ثلاثة أقسام : القسم الشمالي حول بحيرة الحولة –

وهو مؤلف من ترب لحفية وبركانية صالحة للزراعة مع ان بعض اجزائها بحاجة إلى تصريف – والقسم الاوسط يقع حول بحيرة طبريا ومدينة بيسان – وهو احسن المناطق من الناحية الزراعية او الانتاجية وهو اكثر المناطق سكاناً واهمية – اما القسم الجنوبي والذي يدعى الغور فهو منطقة جافة ومغطى بترب غير خصبة وملحية ولذلك فهو قليل السكان وخالٍ من اي مستوطنات تستحق الذكر .

واذا قارنا خريطة التقسيم مع خريطة التضاريس لفلسطين ( شكلي ١ و ٣ ) لتبين لنا ان حدود الدولة اليهودية كان المفروض فيها ان تمر موازية للسفوح الغربية للمرتفعات الوسطى ( شكل ١ ) ، وبناء على هذا التخطيط فقد الحق كل السهل الساحلي بين مدينتي عكا واسدود ( شمال غزة ) ضمن الدولة اليهودية ، بينما الحقت المرتفعات الوسطى ما بين سهل مرج ابن عامر والنقب ضمن الدولة العربية – وهذا التقسيم غير عادل اذ ان الدولة العربية حرمت من كل الاراضي الخصبة على السهل الساحلي . وبالاضافة إلى السهل الساحلي فان حدود الدولة اليهودية رُسمت لتسير موازية للسفوح الشمالية لمرتفعات السامرة وللسفوح الجنوبية لمرتفعات الجليل (ماعدا نقطة التقاء الحدود جنوبي الناصرة) ، وبذلك فان معظم سهل مرج ابن عامر ووادي بيسان وسهل الحولة – طبريا قد الحقوا ايضاً بالدولة اليهودية ، بينما الحق في الدولة العربية هضاب الجليل – وهذا ايضاً يدل على جحافة مشروع التقسيم فلم يبقِ للدولة العربية اية منطقة سهلية منخفضة تستحق الذكر . وان السهل الساحلي الموجود في قطاع غزة والذي الحق بالدولة العربية كان معظمه مغطى بالكثبان الرملية وجاف . ولذلك فان قيمته الاقتصادية محدودة بالنسبة للجزء الشمالي والاوسط من السهل الساحلي .

(٢) انتاجية الارض :

كانت اراضي فلسطين قد قسمت من قبل حكومة فلسطين إلى ثلاثة

انواع رئيسية : اراض من الدرجة الاولى ، اراض متوسطة الانتاجية، واراض فقيرة ( شكل ٤ ) . وبمقارنة نمط توزيع انتاجية الارض مع خريطة التضاريس فاننا نلاحظ ان معظم الاراضي التي هي من الدرجة الاولى موجودة في السهل الساحلي وسهل مرج ابن عامر ومنخفض الحولة ــ طبريا . اما الاراضي المتوسطة الانتاجية فموجودة في منطقة المرتفعات الوسطى ( من حدود لبنان إلى مشارف بئر السبع في شمال النقب ) ــ وفي الجزء الشمالي الغربي من منطقة النقب . وتسود « الاراضي الفقيرة » في الوادي الادنى لنهر الاردن والسفوح الشرقية للمرتفعات الوسطى ــ في منطقتي السامرة والقدس ــ والاجزاء الجنوبية والشرقية من النقب .

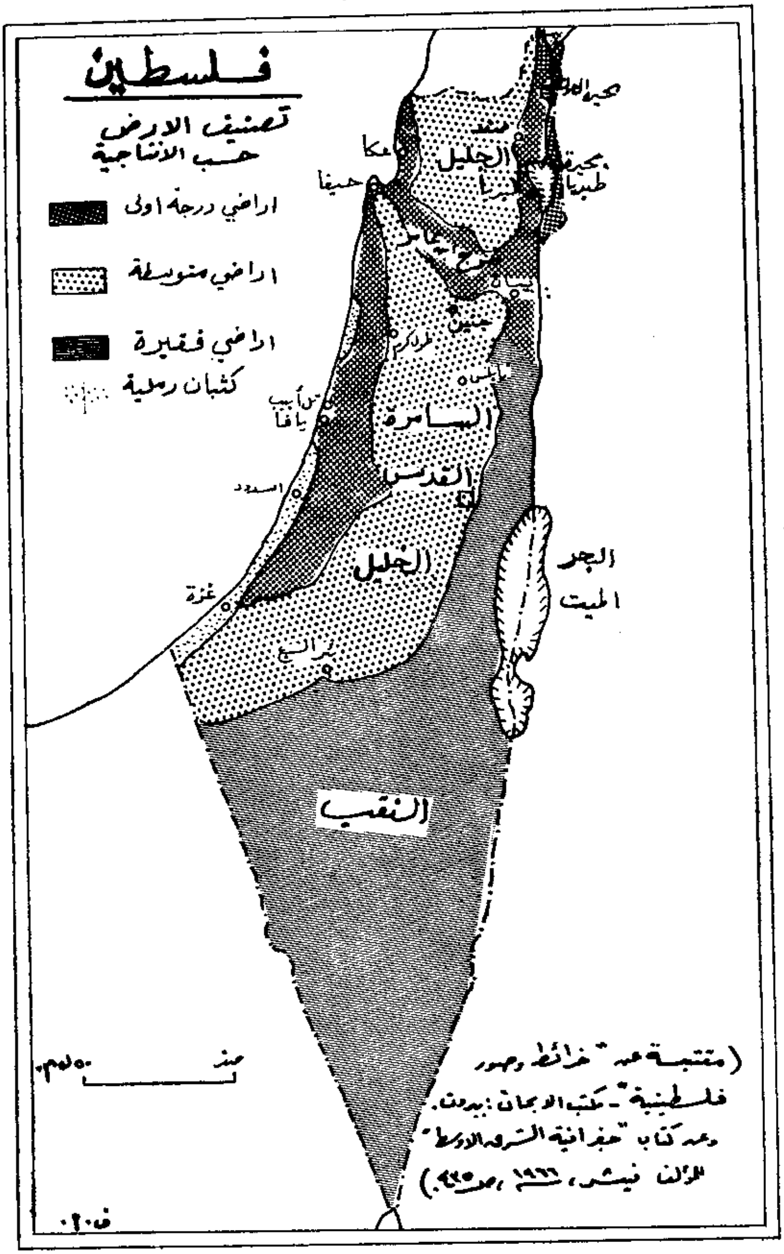
وبمقارنة هذا التوزيع مع خريطة التقسيم ( شكلي ١ و ٤ ) فاننا نجد ان معظم الاراضي التي هي من الدرجة الاولى قد وقعت ضمن حدود الدولة اليهودية ايضاً . وبعد تطور الاحداث وتوقيع اتفاقيات ٤٨ ــ ١٩٤٩ كانت المنظمات الصهيونية قد احتلت حوالى ٢٠٨٥٠ كيلومتراً مربعاً او حوالى ٧٧٫٤٪ من مجموع مساحة فلسطين . وبذلك تكون الدولة اليهودية قد ادخلت ضمن اراضيها ما يقارب من ٩٥٪ من مجموع « الاراضي الجيدة » ، و ٦٤ ٪ من « الاراضي المتوسطة » ، وعدا منطقة النقب ، حوالي ٣٩ ٪ من « الاراضي الفقيرة » (٥) .

واذا اخذنا بعين الاعتبار مدى اعتماد سكان فلسطين على الزراعة فاننا نعلم عندئذ مقدار الضرر الذي لحق بالسكان العرب لمجرد خسارتهم احسن اراضيهم الزراعية والحاقها بالدولة اليهودية ــ وقد رأى السكان الفلسطينيون العرب في مشروع التقسيم مؤامرة لابقاء دولتهم فقيرة اقتصادياً وعالة على الدول العربية المجاورة ، وهذا ما لم يقبلوا به .

### ب ــ تركيب سكان فلسطين ( عوامل اجتماعية ) :

جرى آخر احصاء عام لسكان فلسطين سنة ١٩٣١ . وبما ان كل التقديرات

شكل رقم ٤


فلسطين
تصنيف الارض
حسب الانتاجية
اراضي درجة اولى
اراضي متوسطة
اراضي فقيرة
كثبان رملية
صفد
الجليل
عكا
حيفا
جنين
نابلس
تل أبيب
يافا
السامرة
القدس
الخليل
غزة
بئر السبع
البحر
الميت
النقب
(مقتبسة عن "خرائط وصور
فلسطينية" - مكتب الابحاث: بيروت.
وعن كتاب "جغرافية الشرق الاوسط"
للمؤلف فيشر، ١٩٦٦، ص ٤٢٠)

الاخرى تعتمد عليه فيتوجب علينا الالمام ببعض الامور عن هذا الاحصاء .

في نهاية سنة ١٩٣١ كان مجموع سكان فلسطين حوالى ١,٠٣٥,٨٢١ نسمة ، منهم ٧٢٩,٧١٢ نسمة من المسلمين، ٩١,٣٩٨ نسمة من المسيحيين ( اكثر من ٩٠٪ منهم عرب ) و ١٠,١٠١ نسمة « اخرون » . بينما عدد سكان اليهود في هذا الوقت كان قد تضاعف عما كان عليه سنة ١٩٢٠ ، اذ بلغ عددهم سنة ١٩٣١ حوالى ١٧٤,٠٠٠ نسمة ، أو ١٦٪ من مجموع سكان فلسطين — [٦] اي ان عدد سكان اليهود في فلسطين عند ابتداء الانتداب البريطاني كان يعادل ٨٪ من مجموع سكان فلسطين آنذاك .

وفي سنة ١٩٤٧ زوّدت حكومة فلسطين اللجنة المختصة بدراسة قضية فلسطين والتابعة لهيئة الامم المتحدة (UNSCOP) — والتي كانت قد زارت فلسطين واوصت بتقسيمها — بارقام مقدرة سكان فلسطين في نهاية سنة ١٩٤٦ بحوالى ١,٩٣٦,٠٠٠ نسمة ، منهم ١,٢٩٣,٠٠٠ نسمة عرب ، و ٦٠٨,٠٠٠ نسمة يهودي و ٣٥,٠٠٠ نسمة « آخرون » [٧] . اي ان السكان العرب كانوا آنذاك اكثر من ثلثي سكان فلسطين بينما كانت نسبة السكان اليهود اقل من الثلث.

وبناء على توصيات « اللجنة المختصة » فقد كان توزيع السكان الثابتين ( غير المتنقلين ) في كل من الدولة العربية والدولة اليهودية ومنطقة القدس كما هو مبين في جدول رقم ١ .

**جدول — ١**

**توزيع السكان حسب مشروع التقسيم ***

| | العرب و « الاخرون » | اليهود | المجموع |
|---|---|---|---|
| الدولة اليهودية | ٤٠٧,٠٠٠ ** | ٤٩٨,٠٠٠ | ٩٠٥,٠٠٠ |
| الدولة العربية | ٧٢٥,٠٠٠ | ١٠,٠٠٠ | ٧٣٥,٠٠٠ |
| منطقة القدس | ١٠٥,٠٠٠ | ١٠٠,٠٠٠ | ٢٠٥,٠٠٠ |
| المجموع | ١,٢٣٧,٠٠٠ | ٦٠٨,٠٠٠ | ١,٨٤٥,٠٠٠ |

* المصدر : الدكتور وليد الخالدي ( محرر ) From Haven to Conquest بيروت : معهد الدراسات الفلسطينية ، (١٩٧١) ، ص ٦٧٧ . =

وهكذا فاننا نلاحظ ان الدولة اليهودية كانت ستحوي اكثرية عربية منذ البداية . اي ان « اللجنة المختصة » حاولت اخفاء ذلك لعدم ادخالها السكان البدو الذين كانوا يقيمون بشكل متنقل — لكنه دائم — في صحراء النقب والتي خُصص معظمها للدولة اليهودية .

كما انه يمكن القول انه لو اجري استفتاء عام لتقرير مصير فلسطين في سنة ١٩٤٨ — حسب المادة الاولى من ميثاق الامم المتحدة — لكان مصير فلسطين قد سار مع مصالح الاكثرية العربية وليس مع التقسيم . وإلى الآن يستغرب سكان فلسطين لماذا لم يقم استفتاء عام في البلاد بدلاً من وضع القضية في يد هيئة الامم المتحدة وحلها على تلك الصورة المعروفة للجميع . اي ان هيئة الامم المتحدة تجاهلت حقوق الاكثرية وايدت اقوال الاقلية من السكان .

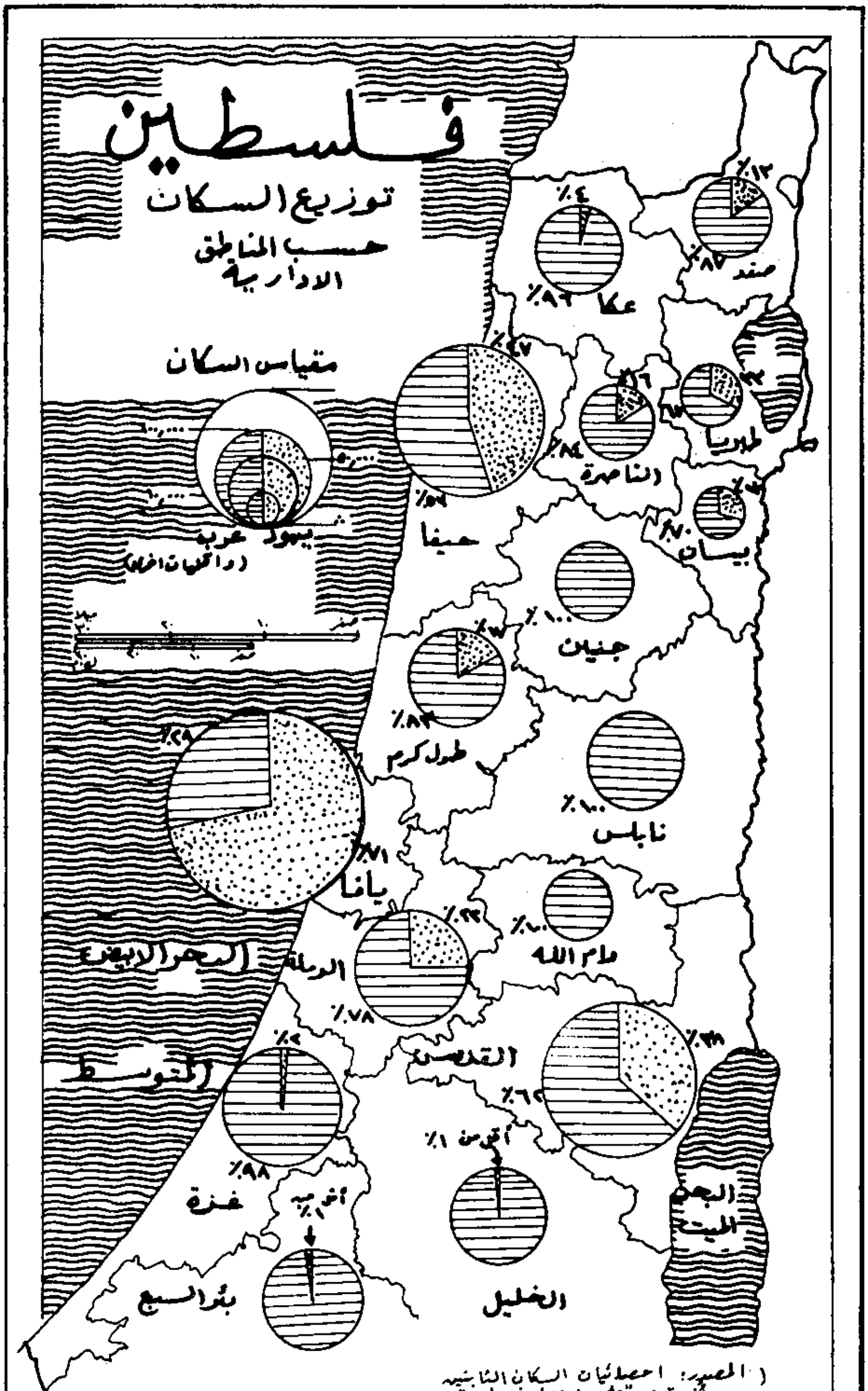
### جـ — التوزيع الاقليمي للسكان :

وفقاً للتقديرات التي قامت بها حكومة فلسطين في سنة ١٩٤٦ [٨] فإن اكثرية سكان الدولة اليهودية ( حوالى ٧٠ ٪ منهم ) كانت متمركزة ( كما كان الحال في احصاء سنة ١٩٣١ ) في ثلاثة مراكز مدنية او حولها وهي : منطقة يافا — تل ابيب ، والتي شملت ٢١٣,٠٠٠ يهودي في المدينتين ، و٨٢,٠٠٠ في المستعمرات المحيطة بها ، وفي مدينة القدس الجديدة — حوالى ١٠٠,٠٠٠ يهودي ، وفي حيفا — حيث كان يقيم حوالي ٧٤,٠٠٠ يهودي في المدينة وحوالى ٤٥,٠٠٠ نسمة في المستعمرات المجاورة ( شكل ٥ ) . وحسب

---

** يجب ان تصحح هذه التقديرات على ضوء « المذكرة » التي تقدم بها ممثل المملكة المتحدة في هيئة الامم المتحدة بخصوص توزيع السكان البدو . وفقاً للفقرة (٥) من تلك المذكرة هناك ٢٢,٠٠٠ بدوي يمكن ان يعتبروا السكان المقيمين دائماً في المنطقة العربية ، والبقية ( ١٠٥,٠٠٠ نسمة) يقيمون في المنطقة المخصصة للدولة اليهودية .

## شكل رقم ٥



فلسطين
توزيع السكان
حسب المناطق
الادارية
مقياس السكان
يهود عرب
(واقليات اخرى)
صفد
عكا
حيفا
الناصرة
طبريا
بيسان
جنين
طولكرم
نابلس
يافا
الرملة
رام الله
القدس
غزة
الخليل
بئر السبع
البحر الابيض
المتوسط
البحر الميت
(المصدر: احصائيات السكان التابعيه

تقديرات الوكالة اليهودية فان هذه المناطق الثلاث قد شملت ما يعادل ٨٥٪ من مجموع السكان اليهود في فلسطين – اما البقية فقد كانت موزعة في مناطق منعزلة : في الشمال ( صفد ٧,٠٠٠ ، طبريا ١٤,٠٠٠ ، بيسان ٧,٦٠٠ ، والناصرة حوالى ٨,٠٠٠ ) – وفي الوسط ( في الرملة حوالى ٣٢,٠٠٠ ) – اما في المنطقة الجنوبية – في غزة وبئر السبع – فقد كان مجموع السكان اليهود يقدر بحوالى ٤,٠٠٠ نسمة – او ما يعادل اقل من ١٪ من مجموع سكان تلك المنطقة .

وهكذا ففي نهاية سنة ١٩٤٦ شكّل اليهود اكثرية في منطقة صغيرة ، وهي منطقة يافا – تل ابيب ، فالمدينة الاولى كانت غالبيتها عربية ، بينما الثانية يهودية . اما في المناطق الاخرى ( عدا منطقتي حيفا والقدس حيث بلغت نسبة اليهود فيها ٤٧٪ و ٣٨٪ على التوالي ) فان نسبة السكان اليهود كانت بين الصفر و ٣٣٪ من مجموع سكان كل منطقة ادارية (SUB-DISTRICT) – كما هو مبين في جدول رقم ٢ ( راجع الجداول في نهاية البحث ) .

وبمقارنة شكلي ١ و ٥ نجد ان حدود مشروع التقسيم لم تحاذِ اية منطقة ادارية في فلسطين . مع ذلك فان المناطق الادارية التالية دُمجت كلياً في الدولة العربية وهي : جنين ، نابلس ، رام الله ، الخليل – التي كانت كلها مناطق عربية كاملة – وغزة وعكا ( حيث كانت نسبة السكان اليهود فيها ٢ و ٤٪ على التوالى ) . وعلى الطرف الآخر ، فقد ألحق مشروع التقسيم معظم او كل المناطق التالية ضمن الدولة اليهودية وهي : حيفا ، صفد ، طبريا ، بيسان ، يافا ، وبئر السبع ، بالاضافة إلى حوالى نصف كل من مناطق : الناصرة وطول كرم والرملة ( راجع جدول رقم ٢ لمعرفة نسبة السكان العرب في هذه المناطق الادارية ) .

### د ـ عوامل اقتصادية :

### (١) تركيب ملكية الأرض :

ان مجموع مساحة فلسطين ـ حسب السجلات الرسمية التي حُضّرت في سنة ١٩٤٥ ـ [٩] بلغت ٢٦,٣ مليون دونم ( كل ١٠ دونمات تعادل هكتاراً واحداً ) : منها ١٢,٨ مليون دونم كان يملكها السكان العرب ، اي ما يعادل ٤٨,٥ ٪ من مجموع مساحة فلسطين ـ وهذه الاراضي تمثل ما كان يعتبر « ملكاً خاصاً » ( اي اراضيَ مفروزة ) وذات الملكية المشتركة ( المشاع ) ـ ولكنها لا تحوي الاراضي «المتروكة» ولا الاراضي غير المتطورة ( الموات ) [١٠] . وكانت الاراضي التابعة للحكومة ( ميرية ) تبلغ حوالى ١,٥ مليون دونم ، او ما يعادل ٦٪ من المجموع .

وعلى الجانب الاخر ، فان الاراضي التي كان يملكها اليهود في ابريل سنة ١٩٤٥ تبلغ حوالى ١,٥ مليون دونم ، او ما يقارب ٦٪ ( ٥,٦٧٪) من مجموع مساحة فلسطين . وهذا لا يشمل الاراضي التي كان يستغلها اليهود تحت امتيازات خاصة من قبل حكومة فلسطين . هذا وقد قدّر خبير الاراضي اليهودي ، ابراهيم غرانوت (A. Granott) ، مساحة الاراضي التي كان يسيطر عليها اليهود في يونيه سنة ١٩٤٧ بحوالى ١,٨٥٠,٠٠٠ دونم ، منها ١٨١,٠٠٠ دونم كان يستغلها اليهود تحت امتيازات خاصة من حكومة فلسطين[١١] ـ وحيث ان مثل هذه الاراضي كانت قد صُنّفت في « الاحصاء القروي لفلسطين » تحت عنوان « الاراضي العامة » ، فان المساحة الصافية التي كان يملكهـا اليهود بالفعل ـ حسب تقديرات « غرانوت » تقدر بحوالى ١,٦٦٨,٩٠٠ دونم .

وهكذا فاذا اخذنا أياً من التقديرين فان مجموع الاراضي التي كان يملكها اليهود سنة ١٩٤٨ لم تتجاوز ٦٪ من مجموع مساحة فلسطين . والامر الذي يستغربه السكان الفلسطينيون العرب هو كيف يجوز لشخص يملك حوالى ٦٪

من مجموع « اسهم شركة ما » ان يُعطي من قبل هيئة الامم ٥٦,٥٪ من مجموع اسهم تلك الشركة (كما بينا اعلاه في توزيع اراضي كل من الدولة العربية واليهودية).

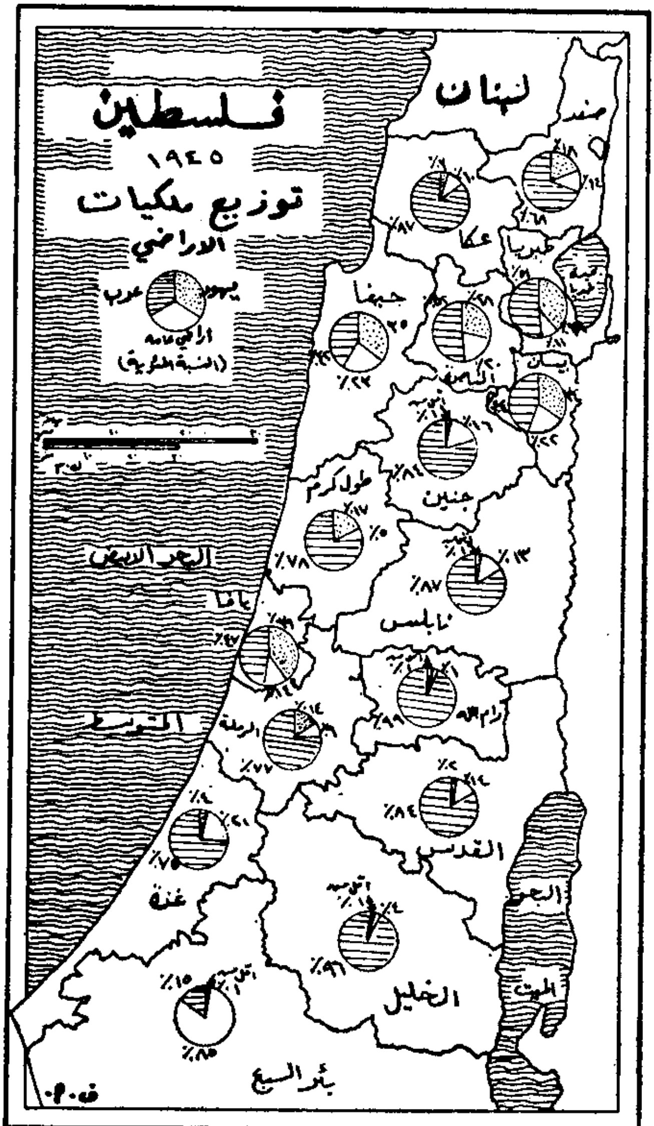
وبالاضافة إلى هذا فاذا درسنا « انتاجية الارض » - كما عرّفتها حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين ، فقد كان العرب يملكون حوالى ٨٤,٧٪ من مجموع الاراضي الزراعية ، بينما كان اليهود يملكون ١٢,٧٨ ٪ ( والبقية حوالى ٣,٥ / كانت مصنفة « اراضي عامة » ) . ومن الاراضي « غير الزراعية » كان السكان العرب يملكون ٢٩٪ ، بينما ملك اليهود حوالى ١,٨٪ ، وبلغت « الاراضي العامة » حوالي ٧,٣٪ ، واراضي « منطقة بئر السبع » ( النقب ) حوالى ٦١,٨٪ من مجموع مساحة فلسطين - ولم تعين اراضي النقب لاي من الطرفين بشكل واضح نظراً لبعض الظروف الخاصة والتقاليد العشائرية فبقيت مصنفة « مناطق للبدو » [١٢] .

واذا درسنا « المناطق المزروعة » في فلسطين فاننا نجد ان السكان العرب كانوا يملكون مساحات من الاراضي المخصصة للمحاصيل الحقلية اكبر من تلك التي كان يملكها اليهود ( عدا محصول الاعشاب المزروعة ) كما هو مبين في جدول رقم ٣ . وان هذا الجدول يظهر ايضاً ان في جميع المحاصيل المعطاة كانت غلة وحدة المساحة للعرب قريبة من مردود وحدة الاراضي الزراعية التابعة لليهود ، الامر الذي كان يحاول اليهود طمسه بقصد خدع الرأي العام العالمي وادعائهم « ان فلسطين كانت صحراء قبل قدوم اليهود المهاجرين اليها » ويتهمون الفلاح العربي بالجهل واتباعه اساليب زراعية بدائية مما ادى إلى تحويل تلك « البقعة الخصبة » إلى « صحراء من عمل الانسان » . [١٣]

## (٢) التوزيع الاقليمي لملكية الاراضي :

أن نمط توزيع ملكية الاراضي في فلسطين كان مشابها تقريباً لتوزيع السكان - كما هو مبين في جدول رقم ٤ و شكل ٦ .

## شكل رقم ٦




المصدر: "الاحصاء القروي الفلسطيني" - حكومة فلسطين، ١٩٤٥ -
و هيئة الامم المتحدة، خريطة رقم ٩٤(ب) - ١٩٥٠.

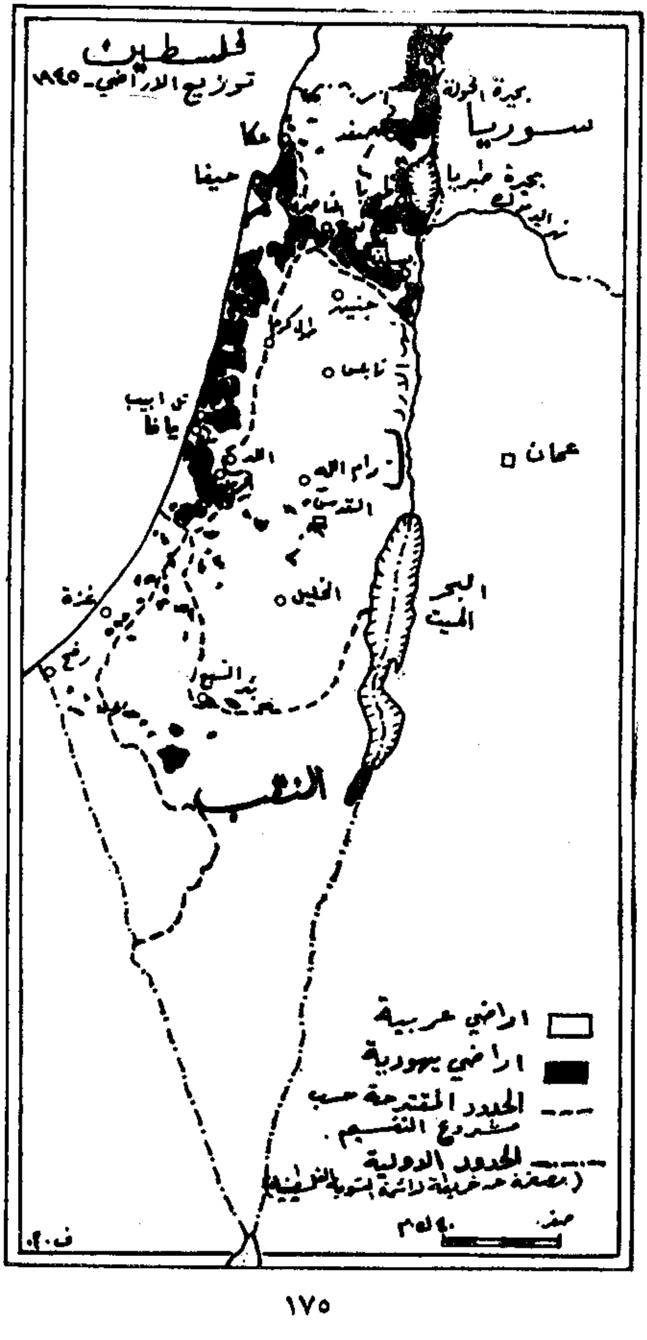
فالجدول يظهر ان اكبر ملكية لليهود في سنة ١٩٤٥ كانت في منطقة يافا — تل ابيب ومنطقة طبريا ، حيث شكلت تلك الملكية ٣٩ و ٣٨٪ من مجموع اراضي كل منطقة على التتالي . وهناك منطقتان بلغت فيهما نسبة ملكية اراضي اليهود حوالى الثلث وهما حيفا ( ٣٥٪ ) وبيسان ( ٣٤٪ ) — .

اما في المناطق الادارية الاخرى فقد كانت نسبة ملكية الاراضي اليهودية اقل من ٢٠٪ من مساحة كل منطقة ( شكل ٦ ) . وفي مناطق السامرة ( جنين ونابلس ) والقدس والنقب فقد كانت ملكية اليهود قليلة جداً او معدومة .

واذا قارنا شكلي ٦ و ١ نجد ان مناطق المرتفعات الوسطى وعكا وغزه فقط أُلحقت بالدولة العربية ، بينما معظم المناطق في السهل الساحلي والسهول الداخلية قد الحقت بالدولة اليهودية — رغم ان اكثرية الملكيات فيها كانت للعرب كما ذكرنا اعلاه .

وان هذا الغبن في حقوق الملاكين العرب يصبح اكثر وضوحاً عند دراستنا التوزيع الجغرافي الحقيقي لملكيات الاراضي ( شكل ٧ ) . فان خريطة توزيع الملكيات تُظهر لنا ان معظم ملكيات اليهود كانت قد تركزت في كل من السهل الساحلي وسهل مرج ابن عامر وفي وادي الاردن الاعلى والاوسط ( الحولة — طبريا ) . ولكن تلك الممتلكات لم تغط جميع اراضي تلك السهول بل كان يوجد بينها كثير من الملكيات العربية والتي حاولت « اللجنة المختصة » (UNSCOP) طمسها لاعضاء هيئة الامم المتحدة اذ انها استعملت خرائط ذات مقياس صغير تُظهر ملكيات اليهود وكأنها متلاصقة وتغطي معظم تلك المنخفضات . وبذلك فقد تجاهلت حقوق آلاف الملاكين العرب الذين أُلحقت اراضيهم بالدولة اليهودية . وقد حاولت المنظمات الصهيونية توسيع « حدود دولتها » بان استحصلت على بعض الاراضي النائية — على الحدود اللبنانية — الفلسطينية وفي النقب — دون ان تأخذ بعين الاعتبار قيمة تلك الاراضي من الناحية الزراعية بقدر ما هو من الناحية الاستراتيجية .[١٤]

شكل رقم ٧



فلسطين
توزيع الاراضي-١٩٤٥
بحيرة الحولة
سوريا
عكا
حيفا
بحيرة طبريا
جنين
نابلس
يافا
رام الله
القدس
عمان
البحر الميت
الخليل
غزة
النقب
اراضي عربية
اراضي يهودية
الحدود المقترحة حسب مشروع التقسيم.
الحدود الدولية

فحسب مشروع التقسيم ألحقت كل المستعمرات الصهيونية واراضيها في مناطق السهل الساحلي وسهل مرج ابن عامر ومنخفضات الجليل ( الحولة — طبريا ) ومعظم المستعمرة الصهيونية في النقب ضمن الدولة اليهودية — بينما ألحق عدد قليل جداً من المستعمرات الصهيونية النائية — في غرب الجليل ومنطقة غزة — بالدولة العربية . واذا قارنا عدد القرى العربية التي ألحقت بالدولة اليهودية مع عدد المستعمرات الصهيونية التي الحقت بالدولة العربية نجد تبايناً كبيراً لصالح الدولة اليهودية ، كما هو مبين في جدول رقم ٥ .

ومن دراستنا جدول رقم ٥ يتبين لنا ان مجموع مساحة اراضي الملاكين العرب بلغت في سنة ١٩٤٧ حوالى ٢,٢ مليون فداناً او ما يعادل ٧٧,٧٪ من مجموع المساحة المخصصة للدولة العربية ، ٨٩٤٤٥٦ فداناً ، او ما يعادل ٣٤,٢٪ من مجموع مساحة الدولة اليهودية و ٣٧١٦٥ فداناً ، او ما يعادل ٨٤,٧٪ من مجموع مساحة منطقة القدس .

بينما بلغت مجموع مساحة املاك اليهود آنذاك ٢٣٨٨٥ فداناً ، او ما يعادل ٠,٨٤ ٪ من مجموع مســاحة الاراضي المخصصة للدولة العربية ، و ٣٤٥٩٦٤ فداناً او ما يعادل ٩,٣٨٪ فقط من مجموع الاراضي التي خصصت للدولة اليهودية ، وحوالى ٣٠٧٤ فداناً ، او ما يعادل ٧٪ من منطقة القدس .

والامر الذي يُستغرب كيف سمحت « اللجنة المختصة » او هيئة الامم المتحدة لاشخاص يملكون فقط ٩٪ من املاك دولة ان يسيطروا على زمام الامور في تلك الدولة بينما حرمت الاشخاص الذين يملكون على الاقل ٣٤٪ من اراضي تلك الدولة من ان يفعلوا ذلك ؟

**الخاتمة :**

من خلال هذا التحليل المختصر يتضح لنا ان مشروع التقسيم قد تغاضى عن بعض العوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية المهمة في فلسطين . وان

السكان الفلسطينين العرب رفضوا مشروع التقسيم رفضاً باتاً لانهم وجدوه غير عادل ولا يأخذ بعين الاعتبار الحقوق الشرعية للاهالي الاصليين في البلاد . وان مثل هذا الرفض لم يكن مستبعداً لان الحدود المقترحة للدولتين الفلسطينيتين كانت ستُفرض على المنطقة بشكل نهائي ولم تترك للطرفين المتنازعين حرية النقاش – على الاقل – في تحديد ممتلكات كل دولة . ولذلك فقد كان مشروع التقسيم حاملاً في طياته صراعاً متواصلاً بين الطرفين المختصين بالقضية . وأن يحصل مثل هذا الرفض من قبل الفلسطينيين العرب فليس امراً غريباً اذ ليس من المعقول ان تتنازل مجموعة من الناس عن حقوقها الشرعية وممتلكاتها دون صراع كبير خاصة لأن جماعة اخرى من الناس الغرباء عقدت اجتماعاً صورياً في مكان بعيد ( نيويورك ) وقررت تقسيم ( او اغتصاب ) ممتلكات تلك المجموعة . فان ذلك الرفض كان امراً طبيعياً ومتوقعاً .

ونظراً لتأييد الدول الكبرى للدولة الاسرائيلية منذ نشأتها فقد انضمت بعض الدول العربية في مؤازرة الشعب الفلسطيني في كفاحه العادل ضد المغتصبين الصهاينة من جهة ، ولاعتقاد البعض من تلك الدول ان ذلك الكيان الاسرائيلي ما هو إلا نقطة ارتكاز لاستعمار جديد في الوطن العربي من جهة اخرى . ومنذ تلك اللحظة اصبحت الدول العربية شريكة في ذلك الصراع ومسئولة عن اعمالها. وبالاضافة إلى ذلك فان الاعمال العدوانية المتزايدة التي قامت بها القوات الاسرائيلية بعد سنة ١٩٤٨ ضد بعض الدول العربية المجاورة ادخلت عوامل جديدة في « المعادلة » ( الموديل ) . فبدلاً من ان يبقى الصراع بين الفلسطينيين العرب وإسرائيل توسع النطاق – خاصة بعد حرب يونيه سنة ١٩٦٧ – واصبح الخلاف الآن بين بعض الدول العربية والسلطات الصهيونية . والذي اخشاه هو ان تحاول هذه الدول العربية تسوية خلافاتها مع السلطات الصهيونية – عن طريق الدول الكبرى او هيئة الامم المتحدة – وتترك الفلسطينيين العرب « في وسط الطريق » لان هذه الدول العربية لا تستطيع ان تفرض حلاً عادلاً للفلسطينيين العرب على السلطات الاسرائيلية ، ولا ترغب ان تجبر الفلسطينيين

بقبول اي حل تتقدم به اسرائيل . ولذلك فقد تضطر الدول الكبرى للتدخل مرة اخرى و « فرض » مشروع تقسيم آخر يُرجعنا ربع قرن آخر إلى الوراء . وما لم تأخذ الشعوب العربية هذه الامور الآنفة الذكر بعين الاعتبار فانني لا ارى املاً في ايجاد تسوية دائمة وعادلة لهذا الصراع مهما صحب ذلك من « فصل » او ابعاد للقوات المتحاربة فان ذلك الحل سيكون موقتاً ، وسرعان ما نجد انفسنا في نفس الدوّامة .

## جدول رقم ١

### توزيع السكان حسب مشروع التقسيم *

| المنطقة | العرب و « الآخرون » | اليهود | المجموع |
|---|---|---|---|
| الدولة العربية | ٧٢٥,٠٠٠ | ١٠,٠٠٠ | ٧٣٥,٠٠٠ |
| الدولة اليهودية | ** ٤٠٧,٠٠٠ | ٤٩٨,٠٠٠ | ٩٠٥,٠٠٠ |
| منطقة القدس | ١٠٥,٠٠٠ | ١٠٠,٠٠٠ | ٢٠٥,٠٠٠ |
| المجموع | ١,٢٣٧,٠٠٠ | ٦٠٨,٠٠٠ | ١,٨٤٥,٠٠٠ |

* المصدر : د. وليد الخالدي ( المحرر ) « من المأوى إلى الفتح » (From Haven to Conquest) بيروت : معهد الدراسات الفلسطينية سنة ١٩٧١ ، ص ٦٧٧ .

** يجب ان تصحح هذه التقديرات على ضوء المعلومات التي تقدم بها ممثل المملكة البريطانية بشأن السكان البدو . فوفقاً للفقرة رقم خمسة من تلك المذكرة حوالى ٢٢و٠٠٠ بدوي « يمكن ان يعتبروا مقيمين بشكل عادي في المناطق التي خصصت للدولة العربية حسب خطة مشروع التقسيم » ، والبقية – حوالى ١٠٥و٠٠٠ نسمة – مقيمين في المنطقة المخصصة للدولة اليهودية . وهكذا فاننا نلاحظ ان الدولة اليهودية المقترحة كانت ستحوي اغلبية عربية منذ بداية نشأتها.

## جدول رقم ٢

## توزيع السكان حسب العرق والمناطق الادارية ـ ١٩٤٥ *

| المنطقة | السكان بالنسبة المئوية | |
|---|---|---|
| | عرب | يهود |
| عكا | ٩٦ | ٤ |
| بئر السبع | ٩٩ | اقل من ١ |
| بيسان | ٧٠ | ٣٠ |
| غزة | ٩٨ | ٢ |
| حيفا | ٥٣ | ٤٧ |
| الخليل | ٩٩ | اقل من ١ |
| يافا | ٢٩ | ٧١ |
| جنين | ١٠٠ | صفر |
| القدس | ٦٢ | ٣٨ |
| نابلس | ١٠٠ | صفر |
| الناصرة | ٨٤ | ١٦ |
| رام الله | ١٠٠ | صفر |
| الرمله | ٧٨ | ٢٢ |
| صفد | ٨٧ | ١٣ |
| طبريا | ٦٧ | ٣٣ |
| طول كرم | ٨٣ | ١٧ |

* المصدر : اقتبس من الاحصاء القروي لفلسطين سنة ١٩٤٥ . سامي حداوي ( المحرر ) ص ٣٧ . ( جداول ١ و ٢ ) .

## جدول رقم ٣

### احصائيات عن الزراعة العربية واليهودية *

| | الزراعة العربية | | | الزراعة اليهودية | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | المساحة (بالدونم) | الانتاج (بالطن) | المردود (كغ/الدونم) ** | المساحة (بالدونم) | الانتاج (بالطن) | المردود (كغ الدونم) ** |
| الحبوب | ٤,١٥٢,٤٨٠ | ١٩٣,٣٧٦ | ٤٦,٥ | ٢١٥,١٩١ | ١٦,٥٧٩ | ٧٧,١ |
| الخضروات | ٢٣٩,٧٣٣ | ١٨٩,١٠٤ | ٧٨٧,٥ | ٤٠,٢٠٠ | ٥٥,٨٠٠ | ١٣٨٨,٠ |
| اعشاب مزروعة | ٢٣,٩٧٠ | ٢٠,٨٢٧ | ٨٧١,٠ | ١١٩,٥٧٣ | ١٧٦,٥٢٥ | ١٤٧,٦ |
| فواكه (غير الحمضيات) | ٣٥٥,٧٠٩ | ٧٣,٣٢٠ | ٢٣٦,٨ | ٣٧,٢١٧ | ٢١,٣٩٨ | ٥٦٧,٥ |
| الزيتون | ٥٩٢,٥٤٦ | ٧٨,٢٨٧ | ١٣١,٦ | ٧,٥٨٧ | ١,١٨٢ | ١٥٥,٧ |
| البطيخ | ١٢٠,٣٠٤ | ١٣٥,٦٣٤ | ١١١,٧ | ٥,٦٧٥ | ٧,١٩٣ | ١٢٦,٧ |
| لحمضيات والموز *** | ١٤٤,٥٢٢ | — | — | ١٤٠,٨٠٧ | | |

* المصدر : د . وليد الخالدي ( المحرر ) « من المأوى إلى الفتح » ( بالانجليزية ) ( بيروت : معهد الدراسات الفلسطينية ، سنة ١٩٧١ ) مبنى على احصاء فلسطين – مجلد ١ ، ص ٨٤٤ .

** المردود لم يتوافر في المصدر الاصلي – لقد حسب من قبل الكاتب للمقارنة .

*** هذه المحاصيل غير معطاة في المرجع الاصلي . اخذت من « الإحصاء القروي لفلسطين » سنة ١٩٤٥ ، جدول ٢ ، ص ٧٩ .

– ان مجموع الانتاج غير متوفر في هذا المصدر وقد اعطيت المساحات هنا في هذا الجدول لتظهر حقيقة مهمة وهي أن مساحة اراضي الحمضيات والموز ( المحاصيل التجارية الرئيسية ) لكل من العرب واليهود كانت متساوية تقريباً .

## جدول رقم ٤

### توزيع ملكيات الاراضي حسب العرق والمناطق الادارية سنة ١٩٤٥ . *

النسبة المئوية لمجموع ممتلكات **

| المنطقة | العرب | اليهود |
|---|---|---|
| عكا | ٨٧ | ٣ |
| بئر السبع | ١٤ | اقل من ١ |
| بيسان | ٤٤ | ٣٤ |
| غزة | ٧٥ | ٤ |
| حيفا | ٤٢ | ٣٥ |
| الخليل | ٩٦ | اقل من ١ |
| يافا | ٤٧ | ٣٩ |
| جنين | ٨٤ | اقل من ١ |
| القدس | ٨٤ | ٢ |
| نابلس | ٧٦ | اقل من ١ |
| الناصرة | ٥٢ | ٢٨ |
| رام الله | ٩٩ | اقل من ١ |
| الرملة | ٧٧ | ١٤ |
| صفد | ٦٨ | ١٨ |
| طبريا | ٥١ | ٣٨ |
| طول كرم | ٧٨ | ١٧ |

* المصدر : اقتبس هذا الجدول من سامي حداوي ( المحرر ) « الاحصاء القروي الفلسطيني – سنة ١٩٤٥ » ص ٣٧ ( جدولي ١ و ٢ ) .

** ان بقية الحساب تمثل اراضي بور ، اراضي حكومية ( ميري ) واراضي يملكها « آخرون » .

## جدول رقم ٥

## توزيع الاراضي حسب السكان في الدولتين العربية واليهودية ومنطقة القدس – سنة ١٩٤٧ *

| | الدولة العربية | | الدولة اليهودية | | منطقة القدس | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | المساحة (فدان) | النسبة المئوية | المساحة (فدان) | النسبة المئوية | المساحة ( فدان ) | النسبة المئوية |
| اراضي العرب | ٢,٢١٢,٠٧٥ | ٧٧,٦٩ | ٨٩٤,٤٥٦ | **٣٤,٢٤ | ٣٧,١٦٥ | ٨٤,٧٠ |
| اراضي اليهود | ٢٣,٨٨٥ | ٠,٨٤ | ٣٤٥,٩٦٤ | **٩,٣٨ | ٣,٠٧٤ | ٧,٠١ |
| اراضي « آخرين » | ٢٠,٨٦٤ | ٠,٧٣ | ١٢,٥٢٢ | ٠,٣٤ | ٢,١٢٦ | ٤,٨٥ |

* المصدر : جون وحداوي : « المفكرة الفلسطينية » ، (The Palestine Diary) المجلد الثاني ، ص ٢٧١ .

** يظهر من هذا الجدول وهاتين النسبتين ان ممتلكات السكان العرب الفلسطينيين كانت اكبر من ممتلكات السكان اليهود حتى في « الدولــة اليهودية ». ( زد إلى ذلك ان السكان العرب كانو ايضاً هم الاكثرية في هذه الدولة المقترحة – راجع جدول رقم ١ ) .

ملحوظة : وحدة المساحات في هذا الجدول هي الفدان ( او الايكر Acre ) ويقدر كل ٤ دونماً بفدان واحد تقريباً .

# المراجع والملاحظات


١ — ريتشارد هارتشورن ، « اقتراحات عن اصطلاحات الحدود السياسية » ( بالانجليزيـــة ) في مجلـــة **ANNALS, THE ASSOCIATION OF AMERICAN GEOGRAPHERS,**Vol. 26 (1936), ص ٥٦ — ٥٧

٢ — نورمان باوندز : الجغرافيا السياسية (POLITICAL GEOGRAPHY) (New York : McGraw Hill, 1963) ص ٦٣ .

٣ — روبرت جون وسامي حداوي : المفكرة الفلسطينية — ١٩٤٥ — ١٩٤٨ . THE PALESTINE DIARY ...... 1945 - 1948, (New York: New World Press, 1970), ص ٢٧١

٤ — جون‌دان وحنا هويمد جيسكي «الترب وتوزيعها في اسرائيل» (بالانجليزية ) JOURNAL OF SOIL SCIENCE, Vol. 14, No. 3 (1963), ص ١٠

راجع ايضاً : A.H. DOERR, J.F. COLING, and W.S. KERR III, « AGRICULTURAL EVOLUTION IN ISRAEL IN THE TWO DECADES SINCE INDEPENDENCE, » **MIDDLE EAST JOURNAL,** Vol. 24, No. 3 (SUMMER, 1970), ص ٣٢٢،

وص ٣٢٤ ( شكل ٢ ) . ولدراسة اشمل عن المناطق الطبيعية في فلسطين راجع جغرافية الوطن العربي — للدكتور محمد سعودي ( بيروت : دار

النهضة العربية ، ١٩٦٧ ) ص ٤١٢ — ٤٣٨ ، وص ٤٩ .

٥ — جون رويدي « DYNAMICS OF LAND ALIENATION » في كتاب د. ابراهيم ابولوغد ( المحرر ) تحويل فلسطين **(THE TRANSFORMA-TION OF PALESTINE)** ,
(EVANSTONE : NORTHWESTERN UNIVERSITY PRESS, 1971),
ص ١٣٥. راجع ايضاً :
W.R. POLK, D.H. STAMLER, and E. ASFOUR,
**BACKDROP TO TRAGEDY : THE STRUGGLE FOR PALESTINE,**
(BOSTON : BEACON PRESS, 1957) ص ٣١٣

٦ — جانيت ابولوغد : « تحويل فلسطين من الناحية الديموغرافية » — في كتاب الدكتور ابراهيم ابولوغد : « تحويل فلسطين » . المذكور اعلاه — ص ١٤٤ .

٧ — سامي حداوي : الاحصاء القروي لفلسطين : ١٩٤٥ . ( بيروت : مركز الابحاث للدراسات الفلسطينية — سنة ١٩٧٠ ) ، ص ١٧ .

٨ — جانيت ابولوغد — op. cit. ص ١٥٣ .

٩ — سامي حداوي — الاحصاء القروي . ص ٢٤ .

١٠ — ان حقوق ومصالح العرب في هذه التصنيفات قد بُحثت تحت « اراضي حكومية » ، ص ٢٩ — ٣٣ ( من نفس المرجع ) .

١١ — ابراهيم غرانوت : « نظام الاراضي في فلسطين » ( بالانجليزية )
(LONDON : EYRE and SPOTTISWOODE, 1952), ص ٢٧٨
ولنفس المؤلف : « الاصلاح الزراعي وسجل اسرائيل » ( بالانجليزية ) سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٨ ، جدول ٢ .

١٢ — سامي حداوي — الاحصاء القروي ، ص ١٩ — ٢٠ .

١٣ — و. لودر ميلك : « استصلاح ارض صحراوية من عمل الانسان » ( بالانجليزية ) في MAN and THE ECOSPHERE, READINGS IN SCIENTIFIC AMERICAN, ص ٢١٩ — ٢٢٧

١٤ — غرانوت ، ( ١٩٥٦ ) ، .op. cit ص ٣٦ — ٣٧ .

# الوطنية في الأدب المصري (الفرعوني) القديم

بقلم

الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف

استاذ الآثار المصرية المساعد بجامعة بنغازي
كبير الأثريين بمركز تسجيل آثار ودراسة تاريخ الفن
والحضارة المصرية القديمة بالقاهرة

## الوطنية في الادب المصري ( الفرعوني ) القديم

لعل المصري القديم أن يكون أشد الناس وطنية وحباً لبلاده واعتزازاً بها . بل لقد أحبها حباً لم يحببه مواطن وطناً . وتكاد عاطفة حب الوطن والحنين إليه والاعزاز له ، والحرص على علائه والحزن على بلائه تتمثل في كل ما لدينا مما أخرج من نظيم الأدب القديم ونثيره . أحب فيها الحزن والسهل ، والصحراء والخضراء ، وأحب فيها سماء زرقاء صافية وشمساً وضاحة سافرة أبداً قلّ أن تتبرقع بالسحائب والغيوم . وأحب فيها النيل الذي كان لـــه كالشريان الذي يجري في الجسم فتجري بجريانه الحياة، فروى أرضه وأينع حصده وغذاه بمائه ، وأحب فيها كما سماه « نسيماً حلواً يقبل من الشمال » كان يعده من متع الدنيا والآخرة . لقد رأى بلاده نعمة من الخالق ذرأها نعيماً للمخلوق . وحسبنا من دليل على حبه لها واعجابه بها وتقديره لمكانتها في نفسه أنه تخيل الفردوس الذي ينعم به في الآخرة صورة من مصر وما أوتيت من حظ عظيم بل لقد كان الكد والكفاح في أرضها متعة لم يكره استئنافه في الفردوس هناك[1] .

كانت مصر نعمة من الخالق ، وكانت أعز ما خلق وأنعم به على الناس ، ولقد عبر عن عرفانه بذلك في فصل من متون الأهرام، وهي من أقدم فصول الأدب الديني عند المصريين ، حيث شبهت مصر فيه بعين ( حور ) عين الاله الذي ضحى بها من أجل أبيه ( اوزيريس ) وذلك في صراعه مع عمه ( ست ) ليأخذ بحقه في ارث أبيه وينتقم له . وأصبحت عين ( حور ) منذ

ذلك التاريخ البعيد رمزاً لأعز ما يقدم من الهدْي والقربان، وكانت مصر كذلك أعظم ما خلق الاله الذي شيدها فأحسن التشييد ، وأفاض عليها من الزينة والجمال ما ألهج بالحمد لسان العابد حيث يقول مخاطباً مصر :

« حمداً لك يا عين حور
يا من زينك بيديه
إنه هو الذي زينك
إنه هو الذي شيدك
إنه هو الذي أسسك »[٢] .

وكان يقدر نعمة الاستقرار التي أتاحتها له بلاده الخصيبة الآمنة ، فكان ينظر إلى حياة البداوة وما فيها من التنقل والقلق فيقدر لبلده ما يجد فيها من الرغد وخفض العيش ، حيث يصف حال البدوي فيقول :

« إنه لا يحيا في مكان واحد ولكنه هائم الأقدام ، حيث ظل يقاتل منذ عهد ( حور ) فلم يغلب ولم يغلب... لا يعلن اليوم الذي يقاتل فيه ( أي بغير بغتة ) وقد ينهب محلة منعزلة ولكنه لا يقاتل بلداً آهلاً »[٣] .

وحسبنا دليلاً على اعجابه ببلاده أنه لما خرج منها فساح في الأرض ورأى غير مصر من البلاد لم يعجبه غيرها بلداً وموطنــاً ، ولم ترق في عينيه بلاد فيها جبال وتلال وغيوم وأمطار وأشجار وغابات فأعرض عنها ، بل واعتبر أرضاً بمثل تلك الظروف بلداً حرم السعادة والبركة التي حظيت بها مصر التي ظل يرى فيها مقياساً يقاس إليه كل بلد فلا يبلغ منزلته . كتب كاتب إلى زميل له يقول :

« إنك لم تجس خلال سورية حيث السماء مظلمة بالنهار وحيث تغطيها أشجار السرو والبلوط التي تطاول السماء ، وهناك الأعداد من الأسود التي تفوق الفهود والضباع ، كما يحوطها البدو من كل جانب ، إن الرجفة لتأخذك وشعر رأسك لينتصب على أطرافه وتهوي روحك في يدك إذ طريقك مملوء

بالجلاميد والحصى فلا أثر تمشي عليه حيث يغشاك الغاب والشوك والحسك وآثار الذئاب »[٤] .

ورأى أنهار دجلة والفرات تجري من شمال إلى جنوب وعهده بالنيل في مصر يجري من الجنوب إلى الشمال ، فوجد في ذلك خلافاً لما ينبغي من سنة الانهار ، فسماها « المياه المعكوسة التي تهبط التيار في اتجاهها إلى الجنوب »[٥] .

ونقرأ بعض ما كتب المصريون في النيل فنجد استشعاراً لما أفاء عليه من النعمة والخير وعرفاناً وحباً لذلك النهر الذي أقبل يغذو وطنه الحبيب الذي ملكت عليه حياته كل ربوعه :

« تحية لك أيهـــا النيل
يا من خرج من الأرض وأقبل يحيي مصر
إنه هو الذي يروي المروج التي خلقها ( رع ) ...
... ليقيم كل ظمآن حيـــاً
وهو الذي يسقي الصحارى وما بَعُد عن الماء
فان منه الندى الذي يهمي من السماء ...
إنه صاحب زمام نيرى ( إله الحصيد )
ومنجح صنعة ( بتاح ) ... ...
رب الاسماك وصانع الشعير وخالق القمح
...........
إذا هبط كانت الأرض كلها في أتراح وحزن الكبير والصغير
وإذا طما كانت الأرض في أفراح
إنه الآتي بالغذاء ، الغني بالارزاق
خالق كل خير ، رب الجلال ، حلو العبير »[٦] .

وكذلك فقد كان مقدراً للخالق تلك النعمة التي أرسلها ، فإذا به هو ويدعو ربه شاكراً معدداً آلاءه يناديه بأعظم صفاته فيقول منها « يا خالق النيل »

ويرى فيما يرسل على غير مصر من الأمطار « نيلاً » يهمي من السماء :

« يا خالق النيل في العالم السفلي
فتجريه كما تشاء
تحفظ حياة الناس لأنك خلقتهم لنفسك
أنت للأرض كافة الرب الذي يشرق لهم
كل البلاد القصية أنت خالق حياتها
وذرأت لهم نيلاً في السماء يهمي من أجلهم
فيموج على الجبال كالبحر العظيم
يروي حقولهم في مدائنهم(٧) .

ولقد كان للشمس من حبه واحساسه وتقديره النصيب الأوفى ، ولم يكن في حديثه عن الشمس مجرد عابد يردد الحمد والدعاء لما عبد والّه بل كان إنساناً رقيق الحس يستشعر الجمال ويسحره الفن بما فيه من أصباغ وألوان :

« تحية لك يا « رع » الجميل في كل يوم
يا من يشرق في الصباح بغير انقطاع
يا « خيري » يا مجتهداً عملاً ...
إذا أشرقت هان الذهب فهو ليس كمثل بريقك
يا منشيء نفسه وصانع جسده
يا خالقاً وليس بمخلوق
يا فريداً في صفاته وعابر الأبدية
إن بريقك كبريق السماء وإن ألوانك لتضيء أكثر من اديمها
كل العيون تنظر بك ولا عمل لها إذا غربت(٨) .

ولقد أوتي المصري من دقيق الاحساس ورقيق الشعور ما ربطه ببلاده ووثق عواطفه بها فأحبها حباً صادقاً فيه عمق وحنين يجذبه إليها كما عبر

( اخناتون ) عن ذلك في أناشيده رغم ما أراد لعقيدته من صبغة عالمية تشمل الناس أجمعين .

« إنك لجميل عظيم
متلألىء رفيع فوق كل البلاد
قد أحاطت أشعتك بالأقطار وبكل ما خلقت
أنت « رع » حملتهم أسارى
وأوثقتهم جميعاً بحبك
أنت رفيع وقد فاضت أشعتك قرباً »[9].

كذلك كان حب المصري مصر وحنينه إليها ، فكان لذلك حرصه على أن تمتد حياته وحياة أسرته وأبنائه فيها ثم الموت والدفن في تربتها .

ويتمثل ذلك الحنين فيما وصل إلينا من قصص الأسفار والمغامرات ، فلا يغفل مؤلف القصة لمحة أو لمحات يعبر بها عن بعد الوطن والشوق المستبد به والحنين إليه . ومن أروع ما صور لنا من ذلك قصة ساتوهى ، وهي تروي قصة أمير من أمراء الأسرة الثانية عشرة خرج مع الجيش المصري بقيادة ولي العهد ( ستوسرت ) لقتال قبائل ( التحنو ) ، وكان أن توفي الملك ( امنماح الأول ) والجيش على الطريق ، فأرسل الموظفون من سمار الملك بالقصر من يبلغ ولي العهد سراً بذلك النبأ ويستدعيه على عجل . ويتحدث ساتوهي فيقول :

« ولقد كنت قائماً هناك عن قرب حين أقبل الرسول فسمعت صوته وهو يحدثهم ، فإذا قلبي يضطرب ،.. وذراعاي ترتخيان والفزع يدب في أوصالي جميعاً ... وكان أن وليت وجهي شطر الجنوب فقد قررت ألاّ أعود الى القصر ، إذ قدرت أن فتنة سوف تقع هناك ولا أستطيع القول بأني سوف أعيش بعدها .. »[10] .

ومضى ساتوهي في فراره يقطع الفيافي والقفار حيث تسلمه بلد إلى بلد وهو في أثناء ذلك يواجه الموت من الجوع والعطش والاعياء، حتى استقر

به المقام في سورية . هناك استقبله حاكم الإقليم فأحسن استقباله ووطأ له جانبه وألان له الحديث وجعله على رأس بنيه وزوجه كبرى بناته، ثم أذن له أن ينتقي من أرض بلاده خير ما يملك فوهبه له فكثر ماله وأصبح ذا ثراء ضخم وسلطان واسع وجاه عريض ، ثم تولى قيادة الجيش فضم إليه ما فتح من الأرض ، وكان قد أتيح له فضلاً عن ذلك أن يقضي على حساده ومنافسيه فدانت له البلادهناك بغير منازع ، ودرت عليه أخلاف الرزق ما جعله يتذكر ما تعرض له من التشرد والأذى وما وقع له من المحن والخطوب، وقد تبدل شقاؤه نعيماً وعسره يسراً فيعبر عن ذلك في أسلوب مؤثر جميل فيقول :

« أصبحت غنياً بما عندي من عبيد وما لي من بيت فخم ومكانة رفيعة ، لقد فعل ربي ما فعل رحمة بمن أضله الهوى ففر إلى بلد غريب، إن يوم النصر هذا إنما هو إيذان برضوان ربي عليّ . لقد كنت بالأمس لاجئاً ولكني أجد اليوم من ينتصر لي . كنت هارباً يبيت على الطوى ويبرح به الألم والجوع ، والآن يطعم الجار من زادي. وكنت أهيم بعيداً عن وطني في العراء ، ولكني أتألق اليوم بأثواب الكتان . كنت حائراً مضطراً إلى الجري لا أجد من أرسله، أما اليوم فأنا أملك جموع العبيد وهذه داري أنيقة ورحابي واسعة وقد ارتفع ذكري إلى مسامع القصر »[11] .

ولكن النعيم الذي عاش فيه الرجل لم يكن ليلهيه عن وطنه والشوق لرؤيته والتطلع لأن يستقر جسده فيه بعد موته ، فكان ذلك التعبير المؤثر الذي يصور لنا الحنين أحسن تصوير ويصور لنا اعزاز الوطن كيف يكون، وكيف يحمل الرجل على ترك قبيلته وبنيه وأمواله ليعود إلى وطنه، وتصور لنا ذلك الفرح الذي أخرجه عن طوره ووقاره وعقله ــ وكان قد طعن في السن وشب أبناؤه وتزوجوا وأصبح لكل منهم قبيلته كل ذلك حين عفا عنه الملك وأذن له بالعـــودة .

« يا رب ، يا من قدر على الفرار ، كن رحيماً بي وأعدني إلى بلادي ،

هلاّ قدرت لي رؤية البقعة التي يحن قلبي للعيش فيها؟! أمن شيء لديّ أعظم عندي من أن يدفن جسدي في الأرض التي ولد فيها ، آتني غوثك ، لقد حل الخير وتأذن الله برحمته ، فهل ... يُحسن ختام من أحزن قلبه ... وفرض عليه الحياة في الغربة... وهل يسمع دعاء من على البعد ...؟! »[١٢]....

... ولما خوطب جلالة ملك مصر العليا والدنيا ... في حالي ... أرسل إلي ... هيا عد إلى مصر ... وبلغني هذا الأمر وكنت واقفاً بين أقاربي من أهل القبيلة ، فلما قرىء عليّ خررت ساجداً ثم قبضت قبضة من تراب فحثوتها على رأسي ثم اندفعت في الحيّ حول خيامي أصرخ فرحاً ... »[١٣] .

فالوطن عند المصري مسقط رأسه الذي ولد فيه ودرجت طفولته في كنفه وتربى في رحابه وعاش على ضفافه، لا يعدل به مالاً ولا جاهاً ولا سلطاناً فضلاً عن وطن آخر .

ولقد كان الوطن كذلك مهد الأسرة من زوج وولد ، وكانوا أثمن ما يقدر المصري ويعتز به ، وكانت العودة إلى الوطن بعد غربة ، ولقاء الزوجة والبنين من أشد ما يبعث الفرح والغبطة إلى نفسه ويملؤها سعادة ورضا ، ولنا من ذلك مثل فيما ورد من قصة بحار حطمت الأنواء سفينته وحملته الأمواج بين الموت والحياة إلى جزيرة في البحر؛ هناك استقبله افعوان هائل كان ملك الجزيرة فأحسن استقباله وهدأ من روعه وبشره بأنه عائد إلى وطنه في سلام قال :

« لسوف تملأ أحضانك بأبنائك وتقبل زوجتك وترى بيتك ، وأجمل من كل شيء انك سوف تبلغ وطنك وتعيش هناك مع أطفالك وفي وسط اخوتك ... انظر لسوف تبلغ وطنك في شهرين فتأخذ أطفالك في أحضانك وتسعد في الوطن » [١٤] .

كانت العودة إلى الوطن أقصى ما يتمنى المصري المغترب ، وكان ذلك يملؤه سعادة ذهبت مضرب الأمثال . من ذلك رجل ضاقت به سبل الحياة وخنقه الهم واستولى عليه اليأس القاتل ، فلم يجد خلاصاً من محنته إلاّ بالموت قال :

« إن الموت أمامي اليوم
كالشفاء الذي يرتد إلى المريض
وجلوس المرء على شاطىء النشوة
وعودة الرجل من القتال إلى موطنه
إن الموت أمامي اليوم
كحنين المرء لرؤية بنيه
وقد أنفق السنين في الأسر »(١٥) .

بل لعل حب الوطن والحنين إليه عند المصريين أن يطغى على أواصر القربى ووشائج الدم وصلات الرحم الدنيا ، كما نرى في قصة الأخوين الشقيقين أنوبو وباتا: كانا أخوين لأب واحد وأم واحدة وكان أكبرهما أنوبو ــ وكانت له زوجة وبيت ــ يضم إليه شقيقه الأصغر باتا يكفله ويرعاه في بيته . ويمضي الزمان والفتى يشب وينمو ويتفجر جسده بشباب ناضج وقوة عارمة . وتنظر الزوجة إلى سلفها فيعجبها شبابه الفائر فتراوده عن نفسه . ويغضب الفتى لما تردّدت فيه زوجة أخيه التي كانت منه بمنزلة الأم من الخيانة والخبث وينتهرها انتهاراً عنيفاً ، ولكنه يعدها بكتمان ذلك عن أخيه ، غير أنها تخشى من زوجها علمه به فتسبق إلى اتهام الأخ البريء بذنبها ، وإذا الأخ الأكبر يثور ثورة هائلة كأنه الوحش المفترس ويشحذ خنجره ليفتك بأخيه ... واستطاع الأخ أن يبرىء نفسه، ولكنه وجد أن لا سبيل بعد ذلك لأن يساكن أخاه بعد الذي وقع بينهما من الشر والشك ، فأعلن إليه أنه سينفي نفسه في وادي الأرز بلبنان، وأنه سوف ينزع قلبه من صدره فيودعه زهرة من زهور الأرز ، وحدثه أنه ميت إن قطعت الأرزة وسقط القلب في الأرض، وأوصى أخاه الأكبر أن يقبل عليه في لبنان ليعتني به إذا عرف أن مكروهاً أصابه ، وليبحث عن القلب الضائع في تربة لبنان ، وأوصاه أن يجد في البحث ولا يسأم ولو أنفق سبع سنين دأباً ، فإذا عثر عليه وضعه في وعاء من ماء بارد ليرتد

إلى الحياة . وجعل له آية يعرف بها متى ينزل به السوء إذا أرغى كأس الجعة في يده .

وعاد الأخ الأكبر حزيناً كاسف البال على فراق أخيه وما وقع بينهما من الشر فانتقم من زوجته بقتلها ، ومضت به الأيام بائساً وحيداً ، وإذا به يتناول كأساً من جعة يوماً فيرغي إلى حافته وإذا النبيذ حامض في فيه ، فيعرف أنها الساعة التي يفتقد فيها أخاه، فيتناول عصاه ويرحل إلى لبنان .... ويدخل على أخيه فإذا هو مسجى قد فارقته الحياة فيبكيه بكاء شديداً ، ثم يخرج للبحث عن القلب الضائع في تربة لبنان... « فأنفق ثلاثة أعوام كاملة وهو لا يجده ، فلما أقبل عام رابع كان فؤاده قد حن إلى العودة إلى مصر فقال لسوف أرحل إذا كان الغد »[١٦].

فقد استبد الحنين إلى الوطن بالأخ ، وهو الذي رحل إلى لبنان ليستنقذ أخاه المنفي المظلوم من الموت ، وهو يعلم أن هناك أملاً في إعادته إلى الحياة إذا وجد القلب فيكفر عما رماه به من التهم وما أصابه لذلك من الشقاء، وهو يعلم كذلك أن أخاه قد أوصاه ألاّ يسأم من البحث سبع سنين ولكنه لم يستطع قبض ذلك الفيض من الشوق إلى الوطن ولما يمض نصف الأجل الذي جعله أخوه موعداً للعثور على القلب ، فقرر الرحيل والتخلي عن أخيه راضياً بموته في الغربة كي يعود إلى أرض الوطن وتربته ، وحسبه ذلك حيث لا زوجة ولا بنـــين .

* * *

ولقد صورت قصة ( ونآمون )[١٧] ورحلته إلى فينيقيا حبه لوطنه مما لقي في أسفاره من أجله من المحن والخطوب ، وما كان من بعده عن مصر وشوقه لها وحنينه إليها حتى تهاوى على الشاطىء يبكي وهو ينظر إلى الطيور المهاجرة تمر به مقبلة عليه من مصر ثم عائدة إليها ثم مقبلة ثم عائدة تحمل إليه الحنين وتشعره بمر الأيام وكر العشي كأنما يردد مع الشاعر قوله:

أسرب القطا هل من يعير جناحه          لعلي إلى من قد هويت أطير

* * *

وكانت الوطنية كذلك تستهدف كل ما فيه مصلحة الوطن وخلاصه من الأذى ، ولقد كان المصري يستشعر الألم العميق في أن يرى وطنه على غير ما يحب له ويشتهي من الرفعة والخير ، ولم يكن المواطنون على اختلاف طبقاتهم بالذين يتقاعسون عن أن يسهموا في سبيل خلاص وطنهم بما يراد منهم من الجهد الفعال أو التكاتف الذي يقتضي الكتمان. وقد روي مثال من ذلك في ختام طائفة من قصص[١٨] رويت على ألسنة الأمراء من أبناء (خوفو). لأبيهم في سمرهم معه، وكان آخر المتحدثين إليه من بنيه ولده ( جدف رع ) ، إذ أخبره عن ساحر يعيش في عهده يستطيع أن يأتي من خوارق الأعمال ما لم يسمع بمثله، ويعرف فضلاً عن ذلك أسرار المغاليق من معبد ( جحوتي ) . وشغف ( خوفو ) بذلك فاستدعى الساحر الذي أتى له من خوارق الأعمال ما أعجبه وأدخل على قلبه السرور ، فلما سأله عن أمر المغاليق كشف له عن سر خطير ارتاع له، ذلك ان امرأة من الشعب سوف تلد في عهده من الاله ( رع ) بنين ثلاثة يؤول إليهم عرش مصر . وتمضي القصة فتحدث بولادة البنين الثلاثة على أيد الآلهة، وكانت الأم حريصة على كتمان خبر مولدهم خوفاً من بطش فرعون ومكره بهم، وكذلك حرص الناس ممن بلغهم نبأ هذا المولد المقدس على الكتمان. « وكان أن غضبت روجدت ( الوالدة ) على خادمة لها لأمر من الأمور فعاقبتها بضربها ، فقالت الخادمة لمن في البيت من الناس لقد ولدت ثلاثة ملوك ، فلأذهبن ولأخبرن جلالة الملك ( خوفو ) بذلك . وكان أن قصدت ( أولاً ) أخاً لها لأمها فحدثته بالأمر فقال لها ، أتراك أتيت إليّ لأشترك في الخيانة ثم تناول جديلة من كتان فأصابها بضربة شديدة » . ثم تمضي القصة إلى ختامها فتجعل جزاء الفتاة على ما انتوت من خيانة في حق الوطن بأن أكلها تمساح حين وردت النهر لتتناول شربة من مائه .[١٩]» .

ومع ذلك فقد انحدرت إلينا قطعة هي من عيون الأدب الوطني ، بل

من أروع ما وصل إلينا من أدب الوطنية ؛ تلك هي أحاديث ( أيبوور ) الحكيم[٢٠] ووصفه لحال البلاد أواخر الدولة القديمة وما تردت فيه من ضعف، وفيها نجد الحب العميق والوطنية الصادقة التي تنظر إلى ما ألمّ بالبلاد من محن وخطوب فيحز فيها الألم العنيف والحزن القاتم . وكان ( ايبوور ) يتحدث إلى ملك شيخ – هو في أكبر الظن ( ببي ) الثاني الذي لها عن كل شيء فهو لا يعرف من أمر بلاده إلاّ ما تتحدث به بطانته من الكذب والزور ، ولكن ( ايبوور ) يقتحم عليه شيخوخته وسكينته التي أخلد اليها واستنام لها ، فيصف له في أسلوب رائع حزين حال البلاد وما تردت فيه من الاضطراب وما حل بالناس من بؤس وشقاء :

« انظر ، لقد شحبت الوجوه ... وأصبح المجرم في كل مكان، وانعدم رجل الأمس، و .. إن النيل ليفيض ولا من يحرث ، وكل امرىء يقول : إننا لا ندري ماذا حل بالبلاد... ولقد أصبح العظيم مثقلاً بالأحزان والحقير مفعماً بالأفراح... ويقول أهل المدينة دعنا نطرد الأغنياء من بيننا ، إن القذارة في أنحاء البلاد وما من ثوب أبيض في ذلك الزمان .. لقد انقلبت البلاد كأنها عجلة الفخاري.. انظر لقد نسفت الصروح والأساطين والجدران بالحرائق ودمرت المدن وأصبح الصعيد مقفراً وزحفت الصحراء على البلاد ... لقد بشمت التماسيح بما نهشت، انظر وإن الأحمق ليقول : لو اني عرفت الإله لقدمت له القرابين... لقد أصبحت الوقاحة في الناس جميعاً ، وإن الرجل ليقتل أخاه ابن أمه، ولم يعد ابن العظيم يعرف ممن لا أب له ... ألا ليتني رفعت صوتي من قبل، إذن لتجنبت الآلام التي أنا فيها الآن ، انظر إن الكبير والصغير ليقول كل منهما : « يا ليتني مت » والأطفال يقولون : « ما كان ينبغي أن نخرج إلى الحياة » . ولم يعد في البلاد رجال »[٢١] .

وكذلك شكاوى ( خع خير رع سنب )[٢٢] الذي كتب كما وصف قوله من جوامع الكلم وباقات الأحاديث معبراً عما يجد في قلبه من الأسى لما يجري في البلاد من تقلبات البؤس والجور والاضطراب والعدوان :

« إنني أتأمل فيما وقع وفيما مر بالبلاد ... إن الأرض في اضطراب وقد صارت خراباً ... ولقد اسقط الحق وإذا الجور في قاعة المجلس ، ودمرت تعاليم الآلهة وخرقت حدودها ، إن البلاد في بؤس والحزن في كل مكان والمدن والقرى تنوح. إن الناس كذلك جميعاً معتدون... ترى هل لي قلب يعرف كيف يحتمل ، وهل أهدأ إليه حتى أحمله بكلمات البؤس وأسوق إليه آلامي ... لقد حل الكدر اليوم ... والناس جميعاً في صمت منه ... إن البلاد كلها في حال مروع ، لا أحد براء من العدوان ، وكذلك كل الناس يقترفونه ... إن القلب في أسى ما أطول شقائي وأثقله [٢٣] .

ولقد كان لما ذاقت مصر من المحن والآلام السياسية أن انتشر نوع جديد من الأدب هو أدب الكهانات ، إذ تشيع في الناس قصص ، مرصعة بحكم طابعها الغيبي وصوغها الأدبي بالاستعارات والكنايات ، تبشر بظهور المخلص الذي يقبل لدفع الضر وكشف الأذى عن الوطن الحبيب ، ويملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً . وكانت بشائر الدولة الوسطى وعودة البلاد إلى الوحدة بعد الانقسام قد ذاعت في الناس على لسان كاهن يدعى نفرتي[٢٤] رووا تاريخه الى أيام عاهل الأسرة الرابعة ومؤسسها ( سنفرو ) . فقد روي أن الملك طلب إلى خاصته رجلاً يحدثه « بالكلم البليغ والقول المختار » فجاؤوه بالكاهن القارىء ( نفرتي ) الذي سأل الملك قائلاً « عما حدث أيها العاهل أو عما سوف يحدث ؟ » قال .. بل عما سوف يحدث. أما ما قال القارىء ( نفرتي ) حينما استغرق في التفكير فيما سوف يحدث في الأرض مستحضراً حال الشرق حيث يهيم الاسيويون بقوى أسلحتهم وتتحرق أفئدتهم على المجتمعين للحصاد فهو : « ... انهض قلبي ونح على هذه الأرض ، هناك أشياء يقول الناس عنها إنها مروعة... لقد فسدت الأرض فلا من يعنى بها ولا من يتكلم ، أيها الباكي كيف تكون هذه الأرض . لقد احتجبت الشمس فهي لا تسطع في عيون الناس ، ولن يستطيع أحد العيش إذ تحتجب بالغيوم إنني قائل ما هو أمامي ... لقد غاضت أنهار مصر حيث يخوض الناس الماء بالقدم وتهب ريح

الشمال على ريح الجنوب وسوف يولد طائر غريب في مناقع الدلتا ... لقد فسدت حقاً تلك الأمور الطيبة واختفى كل خير وهوت الأرض من سوء طعام البدو الذين هم في أنحاء الأرض ، الأعداء في الشرق ويهبط الأسيويون مصر .. ولن يستمع مدافع... وسيدخل الناس إلى القـلاع ... وتشرب وحوش الصحراء من أنهار مصر وتكون على هواها على ضفافها لانعدام من يدفعها ... إنني أريك الأرض رأساً على عقب وما لم يحدث قد حدث ، فيحمل الناس سلاح الحرب فتعيش الأرض في اضطراب ... ويضحكون ضحكات الألم ولا يعنى المرء إلاّ بنفسه ، إن الرجل ليقبع في عقر داره مولياً ظهره لرجل يقتل رجلاً ، إنني أريك الابن عدواً والأخ عدواً والرجل يقتل أباه ... إن الناس يعاملون المواطنين بالكراهية ليسكتوا كل فم ينطق ، فإذا ردت كلمة خرجت ذراع بعصا ... فإذا القول في القلب كالنار حيث لا تحتمل كلمة من فم ... لقد نقصت الأرض وزاد حكامها ... وابتعد ( رع ) عن الناس ... إنني أريك الأسفل هو الأعلى ... والناس يعيشون في الجبانة ..... ثم يأتي ملك من الجنوب اسمه أميني المنتصر ابن امرأة من النوبة وقد ولد في الصعيد، سوف يأخذ التاج الأبيض ويلبس التاج الأحمر وسيرضي الربين بما يريدان ... أبشروا أيها الناس في زمانه إن ابن الانسان سوف يصنع اسمه أبداً وأزلاً . أما الميالون إلى الشر والمتآمرون بالثورة فسوف يكتمون أحاديثهم خوفاً منه . وسوف يسقط الأسيويون بسيفه ويسقط التحنو عند لهيبه والثوار أمام غضبته.. وسوف يعود الحق إلى نصابه... »

كل ذلك يدل على تعلق المصريين بوطنهم وحرصهم على خلاصه وسلامته وتقديرهم لولي الأمر الرشيد .

وكذلك كانت وطنية الملوك فيما حملوا من أمانة الحكم وصالح الرعية ، فنقرأ للملك ( الاهناسي اختوى ) من عصر الفترة الأولى وهو يبصّر ولده وولي عهده ( مريكارع ) [٢٥] بأصول الحكم مما يجب عليه من حسن معاملة الناس وإقامة العدل مع الرحمة فيهم وذلك تقديراً لما تؤتيه تلك السياسة من طيب النتائج

وما يرتد على البلاد من ذلك من خير حيث يقول :

« احذر أن تعاقب ظلماً ، ولا تقتل فلن يفيدك ذلك ، بل عاقب بالضرب والسجن ( ليس غير ) وبذلك تزدهر البلاد . »

وربما لحق بذلك من حيث حرصه على ازدهار البلاد باقامة العدل ما قال بعد ذلك « لا تفرق بين ابن النبيل وذي المولد المتواضع ، واتخذ لنفسك الرجل لكفايته » .

* * *

ولقد تجلت وطنية المصريين كذلك في ميادين القتال ، حيث كانوا يبذلون من جهودهم ونفوسهم في سبيل بلادهم ما كان مثالاً للشجاعة والاقدام والاخلاص للوطن وكان ملهماً كذلك لبعض ما أنشؤوا من النثر والشعر ، إذ انحدرت إلينا منذ الدولة القديمة من أخبار المواقع قطع أشاد فيها القواد بما أحرزوا من النصر أقدمها ما سجل ( أوني ) وزير الملك ( پيپي ) الثاني من أخبار حروبه[٢٦] التي قادها في فلسطين ، حيث تأثرت نفس الكاتب القديم في بعض فقراتها فساقها شعراً كما نسوق ترجمتها هنا كذلك شعراً :

وعاد الجيش هذا في سلام ... ودمر أرض سكان الرمال
وعاد الجيش هذا في سلام ... وسوّى أرض سكان الرمال
وعاد الجيش هذا في سلام ... وقد دكّ القرى ذات الحصون
وعاد الجيش هذا في سلام ... بما حصدوه من كرم وتين
وعاد الجيش هذا في سلام ... وبالنار ابتلى كل القصور
وعاد الجيش هذا في سلام ... وقد قتل المئين من الالوف
وعاد الجيش هذا في سلام ... وكم أسراه من جم غفير
فأجزل لي جلالته عليه ... ثناء فاق في كل الأمور

كما روى ( سبك خو ) وهو من رجال ( ستوسرت ) الثالث أحاديث حروبه التي اشترك فيها تحت لواء مليكه وما كان من شجاعته في احدى مواقعه

في بعض بقاع فلسطين تسمى سكمم – ولعلها شكيم التي ذكرت في التوراة – قال : « واستهل جلالته بابتداء رائع ... أما سكمم فقد سقطت مع قبائل رتنو الخاسئة على حين كنت أعمل في المؤخرة ، ثم التحم الجنود بعضهم ببعض كي يحاربوا الأسيويين فضربت أسيوياً وأمرت جنديين بأخذ يده دون أن أغادر المعركة ، وظل وجهي يتقدم ولم أول الأدبار بين يدي أسيوي وحياة سنوسرت إني لأقول الحق »[٢٧] .

ولقد كان لاحتلال الهكسوس ثم ما ساد مصر يومئذ من روح الكفاح أثره فيما أنتج المصريون من الأدب ، إذ دخل الأدب الميدان يعبىء المشاعر ويذكي الحماسة ، وانتشرت أولاً القصص التي تصور ظلم الهكسوس وافتئاتهم وتستنكر بقاءهم حتى هب المصريون فانقضوا على العداة الغاصبين فأجلوهم عن البلاد وطهروا منهم الأرض . من ذلك قصة كان التلاميذ أيام الدولة الحديثة يدرسونها كغيرها إملاء ونسخاً[٢٨] ولم يحفظ لنا منها سوى جزء يسير إذ

« حدث أن كانت أرض مصر في شقاء ، ولم يكن لها سيد ولا ملك إذ ذاك ، وحدث كذلك أن الملك ( سقنزع ) كان حاكماً للمدينة الجنوبية . وكان الشقاء في مدينة الأسيويين حيث كان الأمير ابيبي في هوان وكان قد سيطر على الأرض كلها بخراجها وعلى الشمال كذلك بكل شيء طيب من الأرض الحبيبة . وكان الملك ابيبي قد اتخذ لنفسه (سوتخ) رباً ولم يخضع لرب أياً كان في الأرض إلا ( سوتخ ) ... أما ( ابيبي ) فقد انتوى أن يبعث برسالة مسيئة إلى الملك ( سقنزع ) ... فلما وصل رسول ( ابيبي ) إلى أمير المدينة الجنوبية ... قال له الرسول إن الملك ( ابيبي ) يرسل إليك قائلاً : عطل بركة أفراس النهر التي في شرقي المدينة فإنها تذود ( عنه ) النوم بالنهار والليل ، وإن أصواتها في آذان المدينة ، وحار أمير المدينة الجنوبية طويلاً فلم يعرف كيف يرد رسالة مبعوث الملك « ابيبي » .

ولم يكن هذا الشقاء الذي كانت تعاني منه مصر يومئذ وأبرزه كاتب

القصة سوى حكم الأجنبي الذي تسلط عليها واتخذ عاصمته في ( هران ) شرقي الدلتا حيث أنكر آلهتها واحتاز خراجها وكل شيء طيب فيها كما قال . ولكن مصر كما عبر عنها الكاتب في صدر كلامه لم تعترف به فكانت مع ذلك بغير سيد ولا ملك؛ ولم يلهها ما كانت تتمتع به يومئذ من رخاء اقتصادي عن استقلالها وحريتها فقام ( سقنزع ) في المدينة الجنوبية أميراً ينزع إلى الاستقلال الذي أحس به أپيپي فأرسل إليه مناوشاً مخاشناً . وما ندري لعل صياح البرانق الذي حرمه النوم أن يكون رمزاً لما داخله من قلق عميق لصيحة الاستقلال التي علت واشتدت هناك .

ثم تتصل القصة عن ( سقنزع ) أنه قال لمبعوث الملك أپيپي : لسوف يسمع سيدك شيئاً عن هذه البحيرة... ثم أمر باستدعاء كبار موظفيه وكذلك رؤساء عسكره فأعاد عليهم الرسالة بأسرها ... فصمتوا جميعاً ... ولم يعرفوا كيف يجيبون طيباً أو سيئاً .

ومهما يكن من شيء ، فقد شبت حرب التحرير بقيادة ( سقنزع ) على الهكسوس، حيث سقط العاهل المصري في حومة الوغى شهيد الاستقلال ، وما زال جثمانه تحت عيوننا اليوم في متحف القاهرة بما فيه من دلائل الكفاح والتضحية حيث سقط على أثر ضربات فأس شجت رأسه ، وخلفه ولده (كاموسي ) الذي حمل راية الجهاد من بعده . ولقد تجلت وطنية المصريين الصادقة فيما حفظ من أحاديث (كاموسي ) الذي عزم على مواصلة القتال حتى يحرز النصر أو يهلك دونه قال :

« هل لي أن أعرف فيم قوتي وفي هوارة أمير وفي النوبة آخر . أأجلس لصق أسيوي وزنجي وتحت كل امرىء شريحة من مصر ويشركني الأرض فلا أجاوز ( منف ) ... انظروا إنه على الأشمونين فما يستقر أحد حتى تبتزه أتاوات الاسيويين . لسوف أصارعه وأبقر بطنه . إن أمنيتي أن أنقذ مصر وأقمع الأسيويين » . فقال كبار من مجلسه: أجل ها هو مد الأسيويين حتى

القوصية وقد أخرجوا ( لنا ) ألسنتهم أجمعين ولكنا هانئون بما تحتنا من مصر ، فالفانتين قوية والأرض الوسطى معنا حتى القوصية، وأحسن حقولهم تحرث من أجلنا وأبقارنا في مناقع البردي ، والحبوب ترسل لخنازيرنا ولن تؤخذ منا أبقارنا ... وإذا أقبل معتدٍ قمنا ضده »[٢٩] .

وأكبر الظن أن الكاتب إنّما ساق هذا الحديث بذلك الأسلوب الذي يعبر عن رأيين أو مذهبين يتساجلان ليجعل منه درساً للناس وليقضي على ما عسى أن يخالج النفوس من التردد وسقوط الهمة ويبطل ما قد يوسوس في الصدور من حجج التقاعس أو تعلات القعود. وقد عبر بهذا الحديث عن مذهبين : مذهب العزة والكرامة يعبر عنه الملك ، فهو يرفض بقاء الدخيل ويرفض معه كل مهادنة وكل سلام- ما دام على استعداد - ويكره أن يشتري عرشه وثروة تتدفق عليه وعلى رجاله باستقلال بلاده وعزتها، ومذهب آخر يرى مهادنة الاحتلال ولو إلى حين ، فأصحابه سعداء بالتعايش السلمي مع الهكسوس ولا يرون بأساً من سلطان اسمي لهم لا يحسون حيث هم بوطأته ، فهم كما قالوا يتمتعون بأملاكهم فلا حاجة بهم إلى المغامرة بمواصلة الحرب وخوض غمارها . ولكن الملك وسائر مستشاريه وأهل البلاد قد رأوا غير هذا الرأي، فان استقلال الوطن مطلب ينبغي ألا يعرف فيه المواطن هوادة ولا ليناً ، ولا يقبل فيه المساومة أو ينتحل في القعود عنه المعاذير فكان لذلك رأي كاموسي في أصحاب مذهب التعايش في قوله : « لقد ساؤوا في نفس جلالته »[٣٠] .

ولقد صدق الناس مليكهم ما حدس فيهم من العزم القوي والوطنية الصادقة وكانت ثقته عظيمة في استعداده وفيما هو مقدم عليه فأعلن أنه سوف يقاتل الهكسوس « **حتى يتحقق النجاح** » وعندئذ سوف تعلن البلاد كلها وتنادي « في طيبة كاموسي حامي مصر »[٣١] . فكان أن شن على الهكسوس حرباً لا هوادة فيها ومن ورائه جيش كالأسود من مواطنين مؤمنين بقضية بلادهم لم يدخروا وسعاً ولا مالاً في سبيله ، ولقد خلدت أخبار تلك المعارك على لسان (كاموسي ) حيث يقول : « لقد هبطت النيل ، لقوتي ، لطرد الأسيويين

بأمر ( آمون ) ذي الرأي السديد، وكان جيشي القوي أمامي كأنه جذوة من نار وكانت فصائل من البجاة بأعلى القمرات ( للسفن) للكشف عن الأسيويين وتدمير مواقعهم[٣٢] . وكان الشرق والغرب يفيض علينا الدهن والنبيذ ، والجيش يتلقى الطعام من كل مكان. وقد دفعت كتيبة قوية من البجاة على على حين توليت حصار ( تتي بن پيپي ) في ( نفروسي ) حتى لا أفلته ... وقد كان جعل ( نفروسي ) وكراً للأسيويين ..... وفي الصباح انقضضت عليه كالصقر فما حل الافطار حتى دحرته ، فدمرت أسواره وقتلت قومه وأنزلت زوجه إلى ضفة النهر ، أما جنودي فكانوا كالأسد في فرائسها ، وقد غنموا العبيد والقطعان واللبن والدهن والعسل ، فاقتسموا مالهم وقلوبهم منشرحة »[٣٣] ...

ولعل من أشهر من كتب لنا عن جهوده وكشف عن وطنيته من جنود مصر القديمة( يوعحموس بن ايانا )[٣٤] ، الذي روى ما شهد من وقائع وما أبلى في معارك حرب التحرير بنوع خاص ، وذلك تحت لـواء مليكه ( يوعحموس) الأول الذي حمل راية الجهاد من بعد سلفه (كاموسي ) وانعقد له لواء النصر على الهكسوس فأجلاهم عن مصر وتعقبهم في فلسطين والرجل فيما ساق من حديث قد كشف في عبارة بليغة ونغمة حلوة عن ايمان عميق ببلاده ورفيع خصالها من عرفان بالبار من بنيها واعزاز بمن أحسن البلاء فيهم ، فيقول في صدر حديثه : « إن شهرة الشجاع فيما أحرز لن تضيع في هذه البلاد أبداً » فإذا أشار إلى الجيش أو تحدث عنه لم ينسبه إلاّ إلى قومه ومواطنيه فيقول: «كنت على رأس « **قواتنا** » فقاتلت قتالاً يفوق العقول » وليس أبلغ من قوله **قواتنا** تعبيراً عن الوطنية واستشعاراً بمكانة الجيش من الشعب ولا تأثيراً في النفس على ايجازها ، فالقوات له وللشعب وليست للملك وحده ليس غير[٣٥] .

وهكذا سادت روح الحرب والمغامرة مصر منذ حرب التحرير ضد الهكسوس ، وأقبل الشباب على الجيش ينخرطون فيه ويندفعون في معاركه ،

يفخرون بما شهدوا من مواقع وما بذلوا من ضروب الشجاعة والاقدام تحت لواء الملك ، وبذلك اتسعب فرص الانشاء الأدبي ، وأقبل الناس على سماع قصص المواقع والمغامرات وقصائد الحماسة والبذل .

ومما روي من وحي الحروب قصة [٣٦] لعلها كانت نموذجاً ووحياً لما تردد فيما بعد في اليونان من حديث حصان ( طروادة ) . وقد تداعت أحداث تلك القصة المصرية مع بطل من قواد ( تحتمس ) الثالث يدعى ( تحوتي ) في فلسطين والحرب دائرة من حول يافا حيث كان يحاصرها بطل القصة وما زال الملك في عاصمته لما يخرج بعد للقتال . وظاهر أن الحصار قد شق وطال ، فكان أن رأى القائد المصري أن يحتال ويصطنع شيئاً من خدعة في الاستيلاء عليها ، فدعا أمير يافا إلى لقاء بينهما حيث أحسن استقباله وسخا له في الشراب حتى ثمل ، وتحدث إليه أنه قرر الانضمام إليه والانتصار له ، وزعم له أنه سيلجأ إليه مع زوجه وبنيه ليعيشوا عنده في يافا ، واستطاع بذلك أن يعد تحت سمعه وبصره للدخول إلى المدينة جياداً يقودها مائتا جندي ، ولكنها كانت تحمل خمسمائة آخرين مختبئين في جوالق ومعهم ما يحتاجون إليه من أسلحة وعتاد ، ثم ضرب أمير يافا ضربة أفقدته وعيه ، وأمر قائد عجلته بالاسراع إلى زوجته يبشرها بعودة زوجها الأمير ومعه القائد المصري لاجئاً . « ففتحت أبواب المدينة المغلقة أمام الجنود . وهكذا دخلوا المدينة فأطلقوا زملاءهم المختبئين فقبضوا على رجال المدينة ... وبذلك استولت يد الملك القوية على المدينة ، وفي المساء أرسل ( تحوتي ) إلى مصر مخاطباً ( تحتمس ) بقوله : « أبشر فقد سلمك أبوك ( أمون ) الطيب أمير يافا وكل رجاله ومدينته كذلك » .

ولقد كان في حروب ( رمسيس ) الثاني مع الحثيين وما بذل في معركة قادش من الجهاد ما قدح قريحة الشعراء والكتاب في ذلك الزمان ، فصوروا محنة رمسيس حيث أحاطت به الآلاف من عجلات الاعداء ينوشونه من كل مكان ، وحيث أدرك ان عليه في تلك اللحظة يقوم مجد أمة وشرف دولة ومستقبل شعب ، فظل في نفر قليل يقاتل قتال المستميت معاتباً ربه داعياً له

مستنجداً به فازعاً إليه حتى لحقت به جيوشه لنصرته آخر الأمر ، وذلك في ملحمة طويلة بديعة سرت بين الناس ونسبت إلى كاتبها ( بنتاور )[٣٧] .

ثم كان عهد ولده ( مرنپتاح ) وكان حافلاً بالمواقع العنيفة التي أبلى فيها المصريون أحسن البلاء حتى خلصوا البلاد من خطر ماحق باستخلاصهم النصر على أعدائهم الذين انقضوا على مصر انقضاض الوحش على الفريسة . وكان من أروع ما بقي لنا يومئذ أنشودة النصر التي سجلت على ما عرف باسم لوح اسرائيل[٣٨] لورود اسم اسرائيل فيه لأول مرة في التاريخ ، وفيها يحمد الناس ربهم ومليكهم أن خلص مصر وخلصهم من أعدائهم ومتعهم بالسلام والأمن ، ووضع عن كاهلهم عبئاً كأنه جبل من نحاس :

الشمس قشعت غيماً كان على مصر
وجعلت مصر ترى ضياء الشمس
وأزاحت جبلاً من نحاس عن أعناق الناس
فمنحت الأنفاس للناس التي كان في تضييق

............

الفرح العظيم قام بمصر
والهتاف انطلق في مدائن مصر

............

يتحدثون بالنصر الذي أحرزه ( مرنپتاح ) الراضي بالحق
ما أحبه ! الحاكم المنتصر
وما أعظمه ملكاً بين الأرباب
وما أحسن حظه سيد الأمر

............

ما أحلى الجلوس والحديث
والمشي والتجوال في الطرق بغير خوف في قلوب الناس
لقد تركت القلاع لشأنها

والآبار فتحت للرسل
ومعاقل القلاع هادئة في الشمس
حتى يستيقظ حراسها
والبجاة نائمون ممددون
والبناو والتوكتد في الحقول حيث يريدون
وقطعان الحقول تركت بغير راع
وتعبر لــج النهر
ولا صيحة بليل تنادي أن قف
هناك آت بلغة أجنبية
بل يذهب المرء ويجيء بالغناء
ولا صيحة للناس كما كان في الأحزان
وعمرت المدائن من جديد
وحارث حصيده آكله
لقد ارتد ( رع ) إلى مصر .

ولئن كان النشيد تمجيداً للملك وما أحرز من نصر على أعداء مصر ، فان فيه احساس الشعب وفرحته بذلك النصر ، ولم يكن مناط النشيد الاشادة بشجاعته بقدر ما هو نصر للبلاد وخلاص لها ولشعبها مما قضته وقضوه في استعداد وضيق وقلق يشيع فيهم . بل نكاد نحس في تلك الأنشودة روح الشعر المرسل الحديث وما يصور من ظواهر صغيرة كناية عما شمل الناس من الأمن والاستقرار والاطمئنان للمستقبل حيث يأكل حارث حصيده .

بل لقد جعل النشيد للحب الذي استحقه الملك علة يقوم عليها هي النصر الذي خلص الناس من قلق وخوف حرمهم حياتهم السوية الميسرة من جلوس وحديث وتجوال. وكذلك فالنشيد هنا يستبدل بلفظ الملك لفظ الحاكم وما فيه في المصرية من دلالة الراعي المسؤول ، وذلك فضلاً عن وصفه بسيد الأمر ، كأنما أراد كاتبه تدقيق النصر للناس وما انتهوا إليه من خير بقدر توثيقه

للملك وما يكتسب من مجد وفخار .

ولقد كان المصري يعتز بوطنه ويفخر به ويدرك مكانته من سائر الشعوب من حوله ، ويعتز بما يصدر إليها من الحضارة والفن والعلم والثقافة ، ويدرك امتيازه بذلك عليها حيث بلغ منها شأواً بعيداً لم تبلغ إليه، وكان يقلقه أن تتعرض حضارته تلك للدمار حيث تتعرض ليد أجنبي جاهل لا يحفظها ، وفي ذلك قالت ( حاتشبسوت ) بعد أن تولت حكم مصر وأصلحت ما دمر الهكسوس :

« استمعوا أيها النبلاء والجماهير مهما كثرت . لقد فعلت ذلك بمشورة قلبي فلم أنم تغافلاً ، بل لقد أصلحت الخراب وأقمت ما كان حطاماً منذ الزمان حين كان الأسيويون في أرض الشمال في هوان والمشردون بينهم يدمرون ما كان صنع . لقد حكموا بغير ( رع ) فلم يعمل بالأمر الإلهي حتى عهد جلالتي . لقد قمت على عروش ( رع ) ... ولقد أبعدت من يكرههم الأرباب ، وأزالت الأرض أقدامهم ( آثارهم ) » (٣٩) .

فلقد كان المصري يعلم أن بلاده أستاذة ما حولها من الشعوب بل يفخر بذلك وقد عبر عن ذلك فأحسن التعبير في قصة ( ونامون )(٤٠) التي ذكرنا من قبل وقد كان رحل إلى جبيل بلحلب خشب الأرز لبناء سفينة ( أمون ) المقدسة . فقد روي عن أمير جبيل رغم جفوته وسوء لقائه للكاهن المصري أنه قال عن مصر : « لقد خلق ( أمون ) البلاد جميعاً ، خلقها ولكنه خلق قبل كل شيء مصر التي أقبلت منها ، وهي التي خرجت منها الفنون لتصل إلى بلادي » .

لقد كان في ذلك اعتراف بآلهة مصر وفضلها ، واعتراف بأن مصر كانت أول ما خلق الله من البلاد ثم مصدراً للثقافة والفن ؛ وسواء روى مؤلف القصة واقعة صحيحة عن أمير جبيل أم أنه أنطقه بتلك الكلمات دعاية وتبشيراً ، فان القصة مع ذلك إنما تبرز ما وقر في نفوس المصريين من استشعارهم فضل بلادهم الذي اعترف به الاغريق على كل حال ، فلها من العراقة السبق

ومن الحضارة الخلق والابتكار وتعليم الجيران من البلدان والأقطار .

ومثل تلك القصة في هذا السبيل قصة كتبت بين أواخر حكم الفرس مصر وأوائل العصر اليوناني فيها[٤١] ، وهي من عصور المحن السياسية التي كان المصريون فيها لا يفتؤون يفزعون إلى تاريخهم يحيونه وفضلهم يتذاكرونه ، فقد روي يومئذ أن رمسيس الثاني عاهل مصر العظيم كان قد شخص إلى بلاد النهرين فتلقاه أمراؤها مرحبين راكعين بين يديه حاملين إليه الطرف من هدايا الفضة والذهب واللازورد والزبرجد ومن ألوان الخشب كل حلو وفاخر . وتقدم إليه أمير بختن بهديته وكان على رأسها ابنته التي حسنت في قلب رمسيس فتزوجها وخلع عليها اسم ( نفرورع ) . ثم وقع بعد سنين أن ارسل أمير بختن إلى زوج إبنته رمسيس رسولاً ، فلما أدخل عليه بما يحمل من هدايا حياه وقبل الأرض بين يديه ثم قال : إنما أقبلت يا مولاي من أجل بنت رشت أخت جلالة الملك ، فقد تغلغل الداء في جوارحها ، فهل لجلالتكم أن ترسلوا حكيماً يراها . وأرسل فرعون ( تحوت‌م‌حب ) إلى ( بختن ) حيث وجد الأميرة تحت سلطان روح لا قبل له بها وان الاله ( خونسو ) خليق بشفائها ، فأرسل أمير بختن يطلب تمثاله من رمسيس فأرسله حيث قدمت إليه القرابين وشفيت الأميرة مما أصابها ، فعم الفرح البلاد وأسرّ الأمير في نفسه استبقاء تمثال الاله الذي آمن به ايماناً عميقاً .

وفضلاً عن ذلك ، فقد أدرك المصريون ما للمسرح من قيمة ومنزلة ومنزلة في أذهان الناس . غير أنهم لجؤوا في ظل احتلال الفرس إلى التلميح والرمز في اثارة النفوس على المحتل واستنزال اللعنة على قمبيز ملك الفرس ، وكانوا قد نسبوا إليه بوائق ومظالم كثيرة ولذلك فقد أخرجوا مسرحية استخفت من تحت مسوح الدين واتخذت من شخوص الآلهة أبطالاً ، تلك هي مسرحية عودة اله الشر ( ست )[٤٢] ، ولم تكن في واقع أمرها سوى مسرحية سياسية عاصفة لاذعة لا سبيل لأية رقابة في العالم أن تسمح بمثلها في أي بلد محتل في عصرنا هذا الحديث ، فلم يكن ( ست ) في المسرحية سوى

الغازي الأجنبي الذي لم يقنع بما منحته الآلهة من أرض فاحتل مصر واستولى عنوة على عرش (حور) . ذلكم هم الفرس الذين دخلو مصر مرتين عام ٥٢٥ ق . م و ٣٣٠ ق . م . وقد كانت صيحات الممثلين في نهاية الفصل لأول من المسرحية هي : « إننا نطردك ذليلاً إلى بلاد آسية ، فمصر تدين لحور وتخرج عليك »، فاذا علمنا أن أسطورة (حور) و (ست) في أصولها لم تجعل قط من آسية موطناً ولا مقاماً لمملكة اله الشر (ست) عرفنا كيف كان المصريون يعدلون من أساطيرهم في خدمة هذا الهدف السياسي الوطني النبيل .

ولعلنا لا نبالغ حين ننفي عن المصريين التعصب وننسب إليهم الفلسفة أو نظرة فيها شيء من الفكر والحكمة أو ننسب إليهم الفطرة السليمة وهـذا أضعف الايمان . ذلك أن المصري لم يكن متعصباً لجنس ولا لون، وإنما كانت تعنيه الثقافة والحضارة وتعنيه الحياة في تلك الأرض التي أحبها وظل يعتبرها موطن كل شيء أو أم الدنيا . كان المصري هو كل من سكن مصر وتحدث بلغتها واتخذ عاداتها وتزيا بزيها، وكان الأجنبي يستطيع ان يكون مصرياً إذا اتخذ لغة مصر وعاداتها ولبوسها واندمج في أهلها، ولقد أتى على مصر أفواج من الزنوج والأسيويين والليبيين فلم يلقوا فيها إلا خيراً ، ولقيت آلهتهم كذلك التجلة والتبجيل فعبد المصريون بعل وعثاث وعشتار[٤٣] وسووها بآلهتهم ، بل بل لقد بلغ بعض هؤلاء الوافدين أرفع المناصب في الدولة، فبلغ شيشنق الليبي عرش مصر فرعوناً لا يعرف لنفسه وطناً غيرها ، وذلك في أعقاب استقرار أجداده بمصر واندماجهم في أهلها ودخولهم خدمة ملوكها .

أما إذا احتفظ الأجانب بأجنبيتهم فذلك ما يؤلم المصري ويؤزه، فاذا به يشكو تدفقهم على بلاده في فترات المحن الوطنية وفي عصور الضعف السياسي كما تقدم بنا في أكثر من موضع في هذا المقال . بل لعل المصريين ينكرون صفة المصرية عن المصري الخالص إذا هجر بلاده وخلع عاداتها ولو كان من بيت الامارة وسليل الأسرة المالكة ، فان الامراء من بيت (ستوسرت) حين استقبلوا (ساتوهي) بعد غربته التي أنفقها في الشام قد وصفوه بأنه « جاء

أسيوياً في خليقة بدوي »[٤٤] .

ولقد كان المصري يشعر وهو في تلك الواحة الخضراء التي تكتنف النيل أن الحضارة في مصر والبداوة في غيرها . حيث عبر عن ذلك في قصة فيها كثير من الاشارة والرمز[٤٥] . :

« يروى أن الإله الشمس ( رع ) كان يحيا في الأرض ( مصر ) وكانت ابنته ( تفنوت ) تحيـا في صحراوات النوبة العليـا في صورة لبؤة ضارية ، تجوب الأودية وعيناها تلفظان شرراً وأنفاسها تزفر لهباً وقلبها يتقد حقداً . وكانت تتعقب أعداءها فتسحقهم وتنهش لحومهم وتلغ في دمائهم . ولكن ( رع ) قد كان يحب لابنته أن تعود إليه وتعيش إلى جانبه لأنها ابنته التي يحبهـا ، ولكي تدفع عنه أعداءه وتقضي عليهم. لذلك فقد أرسل إليها ولده ( شو ) مع إله الحكمة ( تحوت ) ليغريها بحديثه وسحر ألفاظه .. فطفق يهدىء من روعهـا بأحاديثه العذبة، فحدثها عما ينبغي أن ترى من . الأعاجيب في بلاد أبيها، ووصف لها النيل والحقول الخضر وقراها الجميلة ومدنها البديعة ، حيث تنشأ لها المعابد حين تعود، وتحدث إليها بأنها لن تضطر بعد ذلك إلى الغارة في سبيل طعامها ، فسوف تقدم إليها الوعول والغزلان في كل يوم ، ولن تنقطع الموسيقى والرقص بين يديها. ولم يكتف تحوت بمجرد الأحاديث، فقدم لها كأساً من نبيذ وأمر بالغزلان فقربت إليها والموسيقى فعزفت بين يديها، على حين ظل يتلو عزائمه السحرية كما طفق أخوها يغريها بالعـودة .

وتأثرت ( تفنوت ) بذلك كله فسكن غضبها ورضيت بالرحيل إلى مصر فعانقها ( شو ) جذلان فرحاً ، وتقدموا في موكب تملؤه الفرحة في صحبة المغنين من أهل النوبة وتناول ( شو ) طنبوراً طفق يعزف عليه راقصاً بين يدي أخته ، فلما انتهى الموكب إلى جزيرة ( فيلا ) نزلت ( تفنوت ) مـن الصحراء في صورة غزال ثم طفقت تنظر إلى عجائب مصر ، ولما تطهرت

بمياه جزيرة ( البيجة ) المقدسة إذا بها تتحول فتاة رائعة الحسن فارعة القوام تفيض عيناها نوراً ووجهها بشراً ، فلما رآها أبوها عانقها محبوراً وتلقاهـا الآلهة في كل مكان ... ووجدت في كل معبد مكاناً لها إلى جانب أخيها الذي اتخذها لنفسه زوجاً .

فلقد ظلت ( تفنوت ) ابنة الاله على وحشيتها وصورتها الضارية طالما عاشت بعيدة عن مصر ، فلما هبطت بها اكتسبت دماثة الخلق ورقة الطبع فتحولت إلى صورة الغزال أولاً ثم انتقلت إلى صورة البشر أو هيئة « الناس » – وكان المصريـون يخصون أنفسهم بلفظ الناس – حيث عاشت في مصر واستقرت في الوطن المتحضر الحبيب .

# الاختصارات

ANET = Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Edited by Pritchard

# الحواشي والمراجع

1 A. Bayoumi, Autour du champs des Souchets et du champ des offrandes (Service des Antiquités de l'Egypte, Le Caire 1940) p. 1 ff.

ومن المناظر المألوفة في الآثار المصرية منظر الملك أو الشريف وهو يحرث الأرض الآخرة كمنظر سن نجم في مقبرته .

2 K. Sethe, Die altaegyptische Pyramidentexte (Leipzig 1908) §.

3 N. Golenischeff, Les Papyrus hieratiques no. 1115, 1116 A. et 116 B. de l'Ermitage Imperiale à St. Petersburg (St. Petersburg 1913) Ph. IX-XIV l. 91-94., Gardiner, New Literary Works from Ancient Egypt JEA I (1914) p. 30; ANET p. 416; Erman, Literature p. 80-81.

4 A. H. Gardiner, Egyptian Hieratic Tests Series I Part I (Leipzig 1911) pp. 11-15; ANET p. 477; Erman, Literature p. 228.

5 J.H. Breasted, Ancient Records of Egypt (Chicago 1961) Vol. II § 73.

6 G. Maspers, Hymne au Nil (IFAO Bibliothèques d'étude V, Le Caire 1912, Erman, Literature p. 146, ANET p. 372.

7 Erman, Literature 288-291; ANET 370-371; N. de G. Davies, The Rock Tombs of El-Amarna VI (London 1908) Pla. XXVII.

8 I.E.S. Edwards, Hicroglyphic Tests from Egyptian Stelae in the British Museum VIII (London 1939) p. 22-25 Pl. XX. A. Vorille, Bulletin de IFAO XLI (1942) p. 25-30; ANET p. 367-368.

9 See note 7 above.

10 Alan H. Gardiner, Die Erzöhlung des Sinuhe und die Histengeschechte in Hieratische Papyres Berlin V (Herausgegchen Von Adolf Erman, Leipzig 1909) B. 1-7., G. Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens de l'Epoque Pharaonique (Paris 1949) p. 7.

11 op. cit. B 148-156.

12 op. cit. B. 156-163.

13 op. cit. B. 185-201.

14 Pap. Ermitage 1115 l. 133-136, 167-169 (see note 3 above); Erman, Literature p. 33-34.

15 R.O. Faulkner, The Man who was tired of life, JEA p. 21-40; A. Erman, Gesprâch cines Lekensmünden mit seina seele (Berlin 1896); Erman, Literature p. 86.

16 G. Möller, Hieratische Lesestucke II (Leipzig 1927) p. 1-20; Lehebore, op. cit. p. 153; A. H. Gardiner, Late Egyptian Stories. (Bibliotheca Aegyptiaca I, Bruxelles 1932 p. 23 l 13,6.

17 Gardiner, op. cit. p. 61; Erman, Literature p. 174 ff.

18 Lefebvre, op. cit. p. 70 ff; Erman, Literature p. 36 ff.

19 Lefebvre, op. cit. p. 90; Erman, Literature p 46-47.

20 C. Leemans, Monument

في بردية محفوظة الآن بمتحف ليدن

Egyptiens du Musé d'antiquité des Pays-Bas à Leide (Leyden 1841-82) II Pls CV-CXIII.

21 A.H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage (Leipzig 1909) Erman, Literature p. 92-108; ANET p. 441 ff.

22 Gardiner, op. cit. pp. 95 ff.

23 A. H. Gardiner, New Literary Notes from Ancient Egypt JEA. I (1914) p. 102-103, Erman, Literature 108-110.

24 Erman, op. cit. p. 110-115

وكان يقرأ من قبل تفررحو

25 W. Gobnischacff, op. cit. Pls. IX-XIV; ANET p. 414 ff.; Gardiner, JEA I p. 20-36, Erman, op. cit 75-84

26 Tresson, l'inscription d'Ouni (Bibliotheque d'Etudes IFAO VIII, le Caire 1949); K. Sethe, Vokunden des Alten Reiches (Leipzig 1932) p. 98-110; J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt (Chicago 1961) I § 306-315; ANET 228.

27 K. Setle, Aegyptische Lesestücke (2nd Ed. Leipzig 1928) pp. 82-83; Breasted, op. cit. I § 676-687; ANET p. 230.

28 Gardiner, Late Egyptian Stories pp. 85-89; Erman, Literature, pp. 85-89, Eiman, op. cit. 165-67; JEA V (1918) pp. 45-45.

29 A. H. Gardiner, The Defeat of the Hyksos by Kamose: The Carnarvon Tablet No. 1. JEA III (1916) pp. 95-110, plo XII, XIII; Erman, op. cit. pp. 52-54., ADNET pp. 232-233.

30 ibid.

31 ibid.

32 ibid.

33 ibid.

34 K. Sethes Urkunden der 18 Dynastic (Leipzig 1905) pp. 1-11; V. Loret, l'inscription d'Ahmes fils d'Abana (Bibl. d'Etude IFAO, le Caire 1910); Breasted, op. cit. II § 1-13; 81-82, ANET p. 233 f.

35 See Breasted, op. cit. II § 39 note d & § 81.

36 The Taking of Joppa; Gardiner, Late Eg. Stories p. 82-85, Erman, op. cit. 167-169; Lefebvre, op. cit. pp.

37 Ch. Kuenj; La Bataille de Cadech (Memoire, IFAO LV, le Caire 1928); Gardiner, The Cadesh' Inscriptions of Ramsess II Oxford 1969).

39 K.A. Kitchen, Ramasside Inscriptions (Liverpool 1968) Vol. IV fasc. 1 p. 12--19; Erman, op. cit. 274-278, ANET p. 376.

39 A.H. Gardiner, Davies's Copy of the Great Speos Artemidos Inscription JEA XXXII (1946) p 47-78; ANET 230-231.

40 Gardiner, Late Eg. Stories pp. 61-76; Erman, op. cit. pp. 174-185; Lefebvre, op. cit. p. 204 ff,

41 The Brentesh Stela; E. Legrain, Les monuments égyptiens de la Bibliothèque Nationale (Paris 1879-81) Pls. XXXVI-XLIV ; Breasted, op. cit. III §§ 426-427; ANET p. 29.

(٤٢) المسرح المصري القديم تأليف ايتين دريوتون وترجمة ثروت عكاشة (القاهرة ١٩٦٧ صفحة ١٢٤ وما بعدها .

43 R. Stadelmann, Syrisch-Palastinen Sische Gottleiten in Agypten (Leiden 1967).

44 A. H. Gardiner, Die Erzahlung des Sinude ... etc. I B 265.

(٤٥) أنور شكري : أتوريس قصة الحضارة المصرية ـ مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول العدد الثامن المجلد الثاني ـ ديسمبر ١٩٤٦ (١٩٤٧)

45 H. Junker, Die Onuris - Legende (Wien 1917);
H. Juenter, Der Auszug der Nachor-Tefnut aus Nubien (Berlin 1911).

# آراء وأنباء

# صانعو التاريخ العربي

كتاب لفيليب حتي

بقلم :

الأستاذ سعيد الأفغاني

## ظاهرة وكتاب

# صانعو التاريخ العربي

**تأليف الدكتور فيليب حتي** **ترجمة الدكتور أنيس فريحة**

**٣٨٠ صفحة بالفهارس ، من القطع المتوسط**

**بيروت ـ دار الثقافة (الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ م)**

المحتويات كما ذكرها المؤلف :

الكتاب الأول في الدين والسياسة : محمد – عمر – معاوية – عبد الرحمن الأول – – المأمون – عبيد الله المهدي – صلاح الدين .

الكتاب الثاني في ميدان الفكر : الغزالي – الشافعي – الكندي – ابن سينا – ابن رشد – ابن خلدون .

هذا الكتاب حصيلة ما ترسب من انطباع في ذهن مؤلفه عن العرب والإسلام في فترتين من حياته ، فترة شبابه وفترة استقلاله ، ويشبهه في ذلك عدد من ناشري الكتاب ؛ وإذ كان هؤلاء يمثلون شبه ظاهرة في أيامنا هذه ، كان من الحق والأمانة لتاريخ عصرنا بيانها صريحة غير مجمجمة :

فأما الفترة الأولى فقد كان فيها فريسة عوامل ثلاثة ، كلها وضع على عينيه نظارة سوداء مقعرة في جزء ، محدبة في جزء بعد أن شحنت نفسه الناشئة

المتفتحة لما يوحى إليها، بكل ما في الصليبية[1] المتوارثة عند دول الاستعمار من حقد وعداوة للعرب والإسلام ، ومن تزييف للحقائق واختراع للسير والأحكام ، ثم قيل له : بهذا المنظار انظر كلما أردت أن تعرف أو تذيع شيئاً عن العرب والإسلام .

هذه العوامل الثلاثة هي : الكنيسة، والغزو الفكري الأجنبي المتمثل في المبشرين والمستشرقين ، والبيئة العامة التي نشأ فيها وكانت قد اتخذت اتجاهات خاصة أواخر أيام العثمانيين ، حول سنة ١٨٦٠ م بالتحديد . خلق هذه الاتجاهات وغذاها الدول الأجنبية ذات الأطماع القديمة المعروفة في بلاد الشام ( ساحلاً وداخلاً ) ؛ فاستغلت ضعف الدولة العثمانية ( الرجل المريض ) واستغلت تمتعها بالامتيازات التي لا حدود لها في جسم هذا الرجل المريض حتى أصبحت دوائر قناصلها حكومات داخل حكومة ، فكان لروسيا وفرنسا وإيطاليا وإنكلترا وأمريكا وحتى الدانمارك وهولندا وبلجيكا.. فئات من الإرساليات التبشيرية (كنائس ومدارس ومستشفيات ) في هذه الرقعة الصغيرة من الأرض بين جبال طوروس وغزة . وكانت القدس وبيروت أكثرها مباءات لتلك الدول ؛ ولم يكن فيها حينئذ مدارس نظامية للتعليم غيرها ،

---

(١) يخلط بعضهم بين النصرانية والصليبية لذا كان من الواجب التفريق بينهما :
فالنصرانية هي الدين الذي جاء به السيد المسيح عليه السلام، والصليبية هي الروح الخبيثة التي شحن بها بابوات القرون الوسطى أتباعهم من العوام الأوروبيين حتى تيسر لهم تجهيز حملات متطوعة منهم لإنقاذ الأرض المقدسة – زعموا – من أيدي المسلمين. وكان من هذه الحملات وباء جارف من الوحشية والقذارة والبعد عن الإنسانية ، واستمرت نحو مئتي عام ، رجع بعدها الصليبيون إلى بلادهم وقد اكتسبوا – على رغمهم – شيئاً من حضارة المسلمين . وما زالت هذه الروح الخبيثة تنمو وتتطور حتى صارت في أيامنا غزواً ظاهراً وخفياً وحرباً لا سرية فيها ميادينها الأديان والأوطان والأفكار والأذهان، والكتب ومنابر الجامعات والمؤتمرات .. ثم نفوس أبنائنا الذين نرسلهم ليتعلموا في أوروبا وأمريكا كل اختصاص حتى التاريخ والعربية والشريعة ، إي والله حتى العربية والشريعة في بعض الا قطار الغربية فيأتوننا – إلا من عصم الله – بما يريد العدو من أفكار تدمر كل قائم من مقومات المجتمع ، كل يعمل لهم في اختصاصه .

إلاّ ما ندر من كتاتيب عزف عنها غير الفقراء من الناس .

من هذه المؤسسات نشأ معلمو الأجيال اللاحقة ، فزرعوا في نفوس تلاميذهم ما كان زُرع فيهم من جراثيم الوباء، وتسلسل الوباء وانتشر حتى صار سلطة ذات قوة تؤيد أفكارها ومبادئها بالنار والحديد أيـــام الاحتلال الفرنسي في النصف الشمالي من سورية ، والاحتلال البريطاني في نصفها الجنوبي . وحمل النشء هذه النوازع الأثيمة بمقادير تتفاوت تبعاً لاستعداد كل نفس وما فيها من مناعة أو طواعية ، وتبعاً للطائفة التي ينتمي إليها الناشئون وللأسر التي يربون فيها.

وأما الفترة الثانية فحين يلتحق الناشىء بالجامعات، ويتغرب في طلب العلم في أوروبة وأمريكا وتؤخذ نفسه بالظاهر المنتشر هناك من روح الحرية والاستقلال في الرأي ، ويحاول – إن كان فيه نزوع للخير – أن يكون حراً مستقلاّ فيما يطالع ويتخذ من رأي، وربما كان مخلصاً في ابتغائه لنفسه التحرر و ( موضوعية البحث ) والنزاهة في الحكم ، لكن ( الروح اليهودية الخفية ) المتغلغلة بخبث ونعومة في أروقة الجامعات الأوروبية والأميركية منذ القرن الثامن عشر تسوقه إلى المزالق من حيث لا يشعر ، إذ صرفت اتجاهه عـــن المصادر السليمة في بحثه ( وهو أيضاً ضعيف في لغتها لم يألفها ) ، وأحاطته بل أغرقته بالمصادر الملوثة ( الموجهة ) ذات المنهج البراق، فتملأت نفسه منها وصدر عنها في أحكامه . ولا يبرئه من التبعة في رأي العلم والحق حسن نيته وأنه لم يهتد إلاّ إلى هذه المصادر المضللة.

ما أردت بهذه الأسطر دفاعاً عن المؤلف، بل تقريراً لواقع أحاط به ولا يد له فيه، إنه مسيَّر غير مخيَّر ، شأنه شأن عشرات ممن أغرقوا أسواق بيروت بكتبهم واستولوا على منابر في جامعات بمساع ممن منحهم الشهادات في فترة أظنها بشّرت بالانقضاء بإذن الله، فترة أسميها ( فترة الانبهار بالبريق الأجنبي ) . فترة أعرف من أساتيذها عدداً إذا لم يروا في بحوث طلابهم

وعلى صفحاتها قائمة بالمصادر الأجنبية بأحرفها اللاتينية ولو كان البحث في ( لغة باعة البقول في سوق القرية ) أسقطوا البحث وقالوا : بحث غير جامعي ولا منهجي !!

لا بد من هذا البيان إنصافاً للمؤلف وأمثاله، وحين يستطيع الإفلات من هذا الإطار وذلك المنظار ويترك عقله وعينيه ترى الأشياء كما خلقها الله يقع على صواب كثير لا يخفى على المتأمل في كتابه وسأشير إلى بعضه .

شيء واحد وددت أنه لم يقع ، هو الزج بكلمة ( تاريخ ) في عنوان الكتاب وفي صفحاته كما زُجّ بكلمة ( البحث العلمي )، وكان الصدق أن يكون العنوان : ( انطباعاتي عن عظماء عرب ) ، وسترى أن الكتاب ليس من التاريخ في شيء لفقدان صاحبه الأدوات التي لا بد منها لمن يكتب عن العرب والإسلام ، وأن ما فيه من صواب هو نتيجة اللحظات التي تحرر فيها المؤلف من سلطان الشحنات السابقة .

* * *

خطة الكتاب التي سلكها المؤلف في انتقاء مصادره واهية جداً ، وهي هي التي أبعدت كتابه عن الالتحاق بكتب التاريخ أو شبه التاريخ ، قال في مقدمته القصيره :

« إن المادة التي اعتمدناها في هذه الدراسة مستمدة من المصادر الأولية(؟) ، بعد مقابلتها بنتائج الأبحاث العلمية ( !!!؟ ) التي قام بها علماء في الشرق والغرب ( ؟ ) . ولذا لم نرّ ضرورة للقيام بأبحاث مستجدة، فقد استفدنا من المادة التي أثبتناها في كتبنا السابقة: ( تاريخ العرب ) و( تاريخ سورية ) و ( تاريخ لبنان ) و ( تاريخ الشرق الأدنى .[1] ) »

ويعلم المؤلف الفاضل أن كتبه المذكورة لا تصلح مصادر للاعتماد ،

---

(١) ص ٧ .

لانجراره فيها على أذيال أجانب بعيدين كل البعد عن روح الأمة العربية في بقاعها ، وعن تمثّل روح الشعوب التي يحاولون الكتابة عنها ، والديانات التي يدينون بها ، وهيهات لمثلهم أن يطابق كلامهم الواقع على حقيقته مهمـا يحاولوا ، هذا فيمن حسنت نيته منهم ، بصرف النظر عمن يرغمون المعلومات على خدمة أهداف موجهة من الأصل توجيهاً مرسوماً سابقاً لزعزعة مجتمع ما ، إنهم يصبون في ذهنه عصارات سامة تلتهم إيمانه بنفسه وبتاريخه وبأمته وبدينه وبلغته وبكل مقوماته الأصيلة كما تفعل العناكب السامة فيما يعلق بشباكها تمهيداً لافتراسه .

كان على المؤلف أن يبين ماذا يعني بـ ( المصادر الأولية ) ، ألم يقل في مقدمته : « ولو أن كاتباً غيرنا حاول ما حاولناه ... لكان فسّر التاريخ على غير ما فسّرناه . »[1] والذي ينعم النظر في حواشيه التي يعزو فيها إلى مصادره يجدها قليلة جداً ، ويجد أن بعضها لا يصلح مصدراً في دراسة نزيهة جادة ، ولا سيما الأجنبي منها ، ولعل أكثر مصادره اطلاعاً هو الأب ( لامنس ) ، والمؤلف يعلم أنه ذو نزعة متطرفة متهورة بعيدة عن الأمانة ، موغلة في تزييف الأحكام ليحظى برتبة ( قديس ) جزاء جهوده في غسل أدمغة تلاميذه في منطقة الاحتلال الفرنسي وقراء كتاباته خارجها ، من كل حقيقة تتعلق بالعرب والإسلام ليحل محلها الزيف الذي صنعه ، ويعلم كذلك أن جمهرة المستشرقين لا تعتمده ، مع إقراري أنا شخصياً بأنه من أكثرهم اطلاعاً على تراثنا ، لكن نقله واستنباطه لا أمانة فيهما البتة .

أما شهادة المؤلف بأن ( لامنس ) « أنصف الأمويين في حكمه »[2] فلعل مردها إلى النظرة السطحية المتسرعة الساذجة ، فلامنس آخر من يلفته الإنصاف ، لكنه رأى مؤرخين عرباً اتهموا الأمويين بقلة الدين والجور

---

(١) ص ٧ .

(٢) ستمر إشارة أخرى إليه في بحثنا ( البناء على الشاهد الأبتر ) في العدد القادم إن شاء الله .

وبتقريب النصارى والعكوف على الخمور والملذات ، فكان رد الفعل عنده أن يُشيد بهم من حيث ظن خروج كثرتهم على الإسلام فذلك ما عطفه عليهم[1].

ما أظن أن المؤلف الفاضل الدكتور فيليب حتي يماري في أن الخطوة الأولى في الأسلوب السليم في التأليف، هي عرض المصادر ونقدها وغربلتها وتقويمها ثم تصنيفها قبل المضي في الاعتماد عليها، وهو ما لم يفعله في كتابه هذا ولا كتبه السابقة التي اعتمد عليها. ومن هنا استبعدنا أن يكون هـذا الكتاب تاريخاً أو دراسة علمية، إنه انطباع شخصي بعد رؤية بالمنظار الأسود المهوش الذي وصفنا آنفاً ، فلننظر في بعض أجزاء لبعض الصور التي نتجت عن هذه الرؤية :

* * *

## عن الرسول :

لم يستند في أكثر كلامه عنه على حقائق موثوق بها تاريخياً ، بل خلط روايات بتفاسير شعبية وأساطير قال إنها ( إسلامية مسيحية ) كأسطورة ( بحيرى الراهب ) التي لم تصح ، ليسوغ لنفسه أن يقول :

١ ـ « إنها تعكس لنا شيئاً عن العلاقات القديمة بين الديانتين وعن أثر المسيحية » ـ ص ١٦ .

ونقول : إن الذي لا أصل له ـ ويوافقنا عليه المؤلف فيما نظن ـ لا يعكس شيئاً البتة ، والأساطير والروايات الموضوعة فيما بعد ، لا تقرر حقائق سابقة، فخيالٌ أن يكون علاقات قديمة بين الديانتين أضغاث أحـلام .

٢ ـ « ينبغي أن يكون النصارى الذين تعرف إليهم النبي (كذا، كأنه انتهى

---

(١) الحاشية السابقة .

من تحقيقه ) من جماعة السريان أو الأقباط أو الأحباش على أطراف سورية والعراق » ص ١٧ .

ما مصادرك في أنه تعرف على نصارى ؟ من هم ؟ ولماذا ( ينبغي أن يكون ) ؟ ومن وضع الأحباش على أطراف سورية والعراق ؟ أسئلة أعفى المؤلف نفسه من الجواب عنها بل من التفكير فيها .

٣ ـ « ولربما كان النبي ينتفع بالقراءة والكتابة في تصريف شؤونه ، ولكن يبدو أنه لم يكن متأكداً من أنه يستطيع أن يكتب أموراً في الدين » ! ! ! ـ ص ١٨ . لا تعليق ، ولعل لهذه الجملة معنى في الأصل الإنكليزي .

أعرف أن مبشرين ومستشرقين حاولوا بكثرة التكرار إيهامنا أنه صلى الله عليه وسلم يعرف الكتابة ، لكنها كانت محاولة صبيانية ساذجة ، وإلاّ فهل كان يسكت القرشيون الألداء في خصومتهم عمن تحداهم بالقرآن وبأنه أمي لا يكتب وهو يقرعهم كل يوم بالآية الكريمة : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذاً لارتاب المبطلون »[1] ، لو عرفوا أن له إلماماً ولو قليلاً بالكتابة ؟

لم يسأل المؤلف نفسَه هذا السؤال وهو يحاول كتابة تاريخ !

٤ ـ « وأول من استجاب لهذه الدعوة الكريمة بعد صحبه والأقربين من أهله كانت جماعة المنبوذين والمعدمين والعبيد ، وهم الذين أشارت إليهم الآية الكريمة « واتبعك الأرذلون » ـ سورة الشعراء ١١١ . »

لا أيها الفاضل ، إن هذه الآية نزلت في أتباع نوح لا أتباع محمد ، عد إليها وابدأ قبل سطرين فسترى أن مصادرك خاطئة .

٥ ـ « واعترافه بالكعبة وبالحجر الأسود وبئر زمزم وهي من بقايا الجاهلية العربية ، جعل الإسلام يبتعد عن الديانتين التوحيديتين اليهودية والنصرانية . ص ٣١ .

---

(١) سورة العنكبوت ٢٩/٤٨ .

تساءلت : أبقي مثقف أجنبي ( بله العربي ) من دارسي تاريخ العرب سنة تأليف الكتاب لا يعلم ان هذه بقايا من دين إبراهيم ، استغلها عرب الجاهلية لأوثانهم ، حتى جاء الإسلام فأعاد لها مكانتها الأولى وطهرها من الأوثان والأصنام ؟

وأدعى إلى العجب أن يعترف المؤلف بعد أسطر بقوله « لاقى النبي العربي والقرآن الكريم على يد المسيحيين في العصور الوسيطة من التشويه والتشنيع الشيء الكثير ، وتبدو هذه الحقيقة مذهلة لأن الإسلام من ( بين ) جميع الأديان الأخرى أقرب دين إلى المسيحية .. الخ » ص — ٣٢ .

تولى المؤلف الرد على نفسه فكفانا المؤونة ، وسيكون أقرب إلى الواقع حين يحذف في طبعة قادمة قوله ( في العصور الوسيطة )، فالأمر — كما يعرف — استمر واتسع في عصرنا هذا ، وكان حاله في الأقربين أشد منها في الأجنبين .

## عن عمر :

٦ — « كان عمر أكثر اقتداراً من أبي بكر ... عمر حاول أن يقضي على حروب الردة » — ص ٣٧

٧ — « كان عمر في الخامسة والأربعين من عمره عندما دخل الإسلام » ص ٣٧
— « وكان عند إسلامه في الرابعة والثلاثين من عمره » — ص ٤٠ !!!

٨ — « الواقع أن هذا الكتاب الذي كتبه عمر إلى الأمصار يفصح[1] عما كان يضمره من حسد . » !! — ص ٤٨ .

(١) وهو : « إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فخموه وفتنوا به ، فخفت أن يوكلوا إليه ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع .. »
والظاهر أن المؤلف خفي عليه معنى « فخفت أن يوكلوا إليه » وهو عكس ما قاله تماماً ، هو إبعاد عن تفخيم الأشخاص بله عبادتهم .

٩ ـ عقب المؤلف على إقامة عمر الحد على ابنه أسوة بغيره من عامة الرعية بقوله : « والغريب أن المؤرخين المعاصرين الذين يكتبون سيرة عمر يتغاضون عن عنصر القسوة في هذه الحادثة ، تماماً كما أنهم يتغاضون عن قسوته في معاملته خالداً وإذلاله بعد خدماته الجلّى ، ولكن عبادة الأشخاص تحول دون رؤية الخطأ فيمن يعبدونه . » ـ ص ٦٠ .

أنحتاج إلى أكثر من هذه النقول عن المؤلف لنوقن أنه لم يعرف عمر ولا المبادىء التي يصدر عنها عمر ، وأن من عناهم بالمعاصرين ربما كانوا أعمق فهماً وأبعد عن السذاجة في الحكم . لقد أثار المؤلف في نفسي الإشفاق أكثر من شيء آخر ، حين كانت قدمه الواحدة على الأرض وحاول رفع الثانية إلى أعلى درجات السلم ، وذلك حين وازن ـ وفهمه للتاريخ هذا الفهم ـ بين أبي بكر وعمر .

## عن علي :

١٠ ـ « كان بضربة سيفه يقطع الفارس وهو على صهوة جواده إلى نصفين ، النصف الأسفل يبقى على الجواد ، ويتدحرج النصف الأعلى على الأرض ! ! » ـ ص ٦٤ . (كذا)

١١ ـ قتل عثمان « نتيجة لمؤامرة اشترك بها المسلمون بمن فيهم (كذا) عليّ على ما يرجح ! ! » ـ ص ٦٤ .

١٢ ـ « كان علي يمارس سياسة مترددة متقلبة ... أعوزته مزايا الزعامة السياسية من بعد نظر ويقظة وحزم ... هو زعيم فئة إسلامية كبيرة الشيعة ... والواقع أن علياً في معتقدات العامة من الشيعة يحتل مرتبة أعلى من مرتبة محمد ، وغلاتهم يؤلهونه » ـ ص ٦٧ .

١٣ ـ « الخلافة التي تولاها مؤسس الشيعة عليّ مدة خمس سنوات » ـ ص ١٣٣

١٤ ـ « أفلح عبيد الله المهدي في تسلم صولجان علي بن أبي طالب . » ـ ص ١٦٠ .

وكل هذا ليس من التاريخ في شيء ، فلم يشترك عليّ في مؤامرة ، وهو أتقى لله وأعلى نبلاً من أن ينحدر إلى هذا ، والمؤامرة سيق إليها بعض المسلمين بدسائس يهودي مريب هو ابن سبأ واستنكرها عامة المسلمين ، فقوله ( اشترك فيها المسلمون بمن فيهم عليّ ) جهل بالتاريخ وبعليّ معاً ، وعليّ صدر في مآتيه عن أحكام الشريعة لا عن سياسة متقلبة ولم تعوزه مزايا الزعامة السياسية ، ولكن خوف الله ألجمه عن كل دسائس السياسة ، ومن السذاجة والظلم معاً أن نقايس من نعرف من السياسيين من بغاة المناصب والمنافع أياً كانت السبل إلى منافعهم ، بمن كانت المثل العليا بين عينيه في كل ما يأتي وما يذر . والشيعة الذين يحلون علياً فوق مرتبة محمد لم يخلقهم الله ، وإنما خلقهم خيال الكتاب الأجانب وأهواؤهم ، والمؤلهون علياً ليسوا من الشيعة البتة . وعليّ لم يؤسس الشيعة ولا كانت على أيامه ، ولم يكن زعيمهم بل كان خليفة للمسلمين عامة ، ولا ابتغى ملكاً ولا صولجاناً ولا .. كل ما جاء في هذه الأسطر من أوهام يبرأ منها التاريخ الصحيح . ومن شدا شيئاً من التاريخ العربي في مصادره السليمة يعرف بطلان كل ما قال المؤلف .

**في المقالات والعقائد :**

١٥ — « الدين والفلسفة عدوان طبيعيان لأن الدين يعتمد الوحي والفلسفة تعتمد العقل » — ص ٢١٣ .

قول مردد كثيراً في أوروبا المسيحية ، لكن نقله إلى دين آخر ومكان آخر هو الباطل ، ولا تضاد بين الوحي الصادق والعقل السليم .

١٦ — «كان المعتزلة قد سبقوا المتكلمين ( !!! ) في الأخذ عن الفلسفة الإغريقية والمنطق الأرسطي لدعم حججهم ، غير أن المعتزلة كانت لهم ميول فاطمية ( !! ) بينما كان المتكلمون من السنيين ( !! ) .

وإزاء المتكلمين كان هناك الشيعة الباطنية ( !! ) الذين كانوا يرون

أن للنصوص الدينية تفسيراً باطنياً أشرنا إليه عند كلامنا على الإسماعيلية ، ومقابل الباطنية كانت الفرقة التي تعرف بالظاهرية ( !! ) والتي تقول بالتفسير الحرفي للنصوص الدينية . » !! — ص ٢٠٣ .

وهذا كله تخليط من لا يعرف الفرق ولا مقالاتهم ، والمسلم به أنه لا يهجم على الكلام في الملل والنحل ارتجالاً . إنه يحتاج إلى دراسات متنوعة متأنية ، ونقول للمؤلف بإيجاز :

المعتزلة من المتكلمين بل هم أبرز أهل الكلام بين الفرق ، والكلام ليس قاصراً على أهل السنة ، بل في الشيعة متكلمون ، والباطنية ليسوا شيعة بعد ان انفردوا بمبادىء جديدة ولا يوضعون إزاء المتكلمين ، والظاهريون لا يقابلون الباطنيين ، إن الباطنية نحلة خاصة منطوية على نفسها ، والظاهرية ليست نحلة ولا طائفة ، هي مدرسة فقهية من أهل السنة كالشافعية والحنفية والزيدية والمالكية ، كلهم سنيون ...

وما كان أغنى المؤلف عن الخوض في هذه المتاهات لأمثاله كما خاض المستشرقون ، ولو تركها لأهلها لأراح واستراح .

## في المذاهب الفقهية :

١٧ — « برزت شخصيتان الأولى منهما في الحقل الفكري ( ! ) والثانية في الحقل الديني ( ! ) وهما الإمام أبو حنيفة ومالك بن أنس ... كان أبو حنيفة عالماً يعنى بالنظريات ( !! ) وأما مالك فكان عالماً دينياً يمارس القضاء ( !! ) ... وكان المذهب المالكي يعتمد الحديث بينما المذهب الحنفي يعتمد القياس والرأي ... فلم يتأثر بمذهبهم ( يعني أهل المدينة ) الذي يعتمد الحديث والسنة ، بل كان يأخذ بالاستحسان والقياس ... فإن الفروقات (كذا ) بين المذهبين قليلة ودقيقة بحيث أنه يصعب على الدارس أن يكتشفها . » — ص ٢٣٣ .

١٨ – « إن بعض الشعائر والعادات الدينية السابقة للإسلام ( ؟ ) ظلت متبعة بعد الإسلام عن طريق الإجماع ، وكذلك الأمر فيما كان يحسبه علماء الدين خروجاً على الدين أو بدعة باطلة فإنه بواسطة الإجماع أصبح أمراً مألوفاً مقبولاً في معتقدات العامة من الناس . » – ص ٢٤٧ .

الكلام الأول ( ١٧ ) عن أبي حنيفة ومالك تخليط مخترع أعجب مما سبق ، وليت من يجهل شيئاً لا يحاول ( فبركة ) المعلومات عنه ولا التفلسف فيه ؛ فأبو حنيفة ومالك ( عالمان دينيان ) عملا في حقل واحد هو الفقه ، والكتاب والسنة أصلان عند الإمامين لا يقدم عليهما شيء ، وأبو حنيفة لم يعنَ بالنظريات ، ومالك لم يكن قاضياً ، وكل هذا يعلمه المثقف العربي بالضرورة . وقد أثار المؤلف عجبي وحيرتي فقد قرر في أول الفقرة ( ١٧ ) أن لكل منهما حقلاً مختلفاً عن الآخر هذا يعنى بالنظريات ( ؟ ) وذاك عالم ديني ، ولم ينهِ الفقرة نفسها حتى نقض أولها فقال : « إن الفروقات (كذا عبارة المترجم ) بين المذهبين قليلة ودقيقة بحيث أنه يصعب على الدارس أن يكتشفها » ! !

أما الفقرة ( ١٨ ) فكلها باطل لا أصل له ، فلا الشعائر الدينية تثبت عن طريق الإجماع ، ولا معتقدات العامة تجعل البدعة مقبولة ، والمؤلف – كما ظهر – لا يعرف الإجماع ما هو ، وما كان بدعة سيظل بدعة ، ولا علاقة لمعتقدات العامة في إثبات شريعة .

* * *

وبعد ، فلعل المؤلف الفاضل اقتنع كما اقتنع الكاتب بأن أدوات البحث لموضوع الكتاب غير متاحة له ، ومن هنا قلنا إن الكتاب ليس كتاب تاريخ بحال من الأحوال ، بل سجلٌ انطباعات في ذهن المؤلف بعد سنين وقراءات بعضها صحيح وأكثرها باطل .

أما حين ينفرد المؤلف مستقلاً عن غيره – وقلما يكون ذلك – فقد

يأتي بأحكام بعضها يستحق النقاش وبعضها يعوزه الإحكام والاحتياط في التعبير وبعضها سديد .

فمثال النوع الأول قوله عن القومية : « العصبية القبلية التي نسميها في لغتنا السياسية : القومية » .

ومثال النوع الثاني آخر جملة في الكتاب : « ابن خلدون أول من فلسف التاريخ ، وآخر جبار من جبابرة الفكر في الإسلام » [1] .

أما « أول من فلسف التاريخ » فوددت لو ألحق بها ( في حد علمي ) فالذي نشر من تراثنا هو الأقل، ومن يدري لعل الغد يكشف لابن خلدون سلفاً سابقاً ، وأما جملة ( آخر جبابرة الفكر ) فقد أذكرتني بقصيدة فيكتور هوغو يخاطب نابليون الأول الذي لقب وليده ( أمبراطور الغد ) وقوله له ( الغد بيد الله لا بيدك ) ، ومنذا حجّر فضل الله ألا يأتي من يفوق ابن خلدون في المستقبل . فهل انتهى عمر الدنيا يوم ألف المؤلف كتابه !.؟

وأما مثال النوع الثالث فقد كشف عن نظرة شاملة صحيحة سديدة ، يحاول كثير من الأجانب وأذنابهم سترها أو تزييفها، لقد أرسلها المؤلف واضحة قيمة لا عوج فيها ولا التواء في مطلع كتابه وذلك قوله [2] :

« لم يسجل التاريخ لنا اسم رجل واحد سوى النبي العربي محمد ، كان صاحب رسالة وباني أمة ومؤسس دولة ... هذه الثلاثة التي قام بها محمد كانت في نشأتها وحدة متلاحمة متراصة لا يمكن أن تنفصم الواحدة منها عن الأخرى ، وكانت إلى حدٍّ ما متوافقة يشد بعضها ازر بعض، وكان الدين من بينها ، على مدى التاريخ ، القوة الموحدة ، وكان أبقاها زمناً » .

هذا بعض ما سجلت حين قرأت الكتاب ، ووددت لو كان المؤلف قريباً

---

(١) ص ٣٥٣ .
(٢) ص ١٣ .

مني فأطلعه على كل ما سجلت وأذاكره في أمور كثيرة في كتابه[1]، فبعض انطباعاته المستقلة توحي بأن المذاكرة معه ليست عقيماً ، وأنا بعد أحسن الظن بالطبيعة البشرية وميلها إلى الخير إنْ خليتْ ونفسها، بعيداً عن كل مؤثر وموسوس .

* * *

إذا كان الحافز على نشر هذا الكتاب باللغة الإنكليزية أن يُقرأ في أمريكا وأوروبا حيث « لاقى النبي العربي والقرآن الكريم على يد المسيحيين في العصور الوسيطة من التشويه والتشنيع الشيء الكثير » إلى درجة أذهلت المؤلف فأراد بتأليفه هذا تصحيح كثير من تصوراتهم .. فصواب نشره هناك ظاهر ، وعمل المؤلف عمل إنساني نبيل ، والضرورة إليه ماسة ؛ ولكن هل كانت هناك حاجة إلى نشره بالعربية وقلّ مثقف في بلادها يجهل هذا القدر من المعلومات ، بل

(١) لا أدري ماذا تحمل الترجمة من تبعة أو إساءة ، لكني شعرت أنها ليست هناك ، وأن صاحبها غريب عن موضوع العرب والإسلام ، وأن الركاكة وسقم اللغة وضعف الثقافة تسيء إلى كل موضوع ، فمثلا :

ص ١٧ – « غاب حراء »، ليس في مكة غابات ، و ( حراء ) مغارة في جبل معروف في مكة .

ص ١٧ – و « يتهجمني لك العتي ترضى » كلمات لا معنى لها ، ولو رجع المترجم إلى حيث أشار المؤلف لوجد الصواب : « يتجهمني ، لك العتبى حتى ترضى » .

ص ٦٤ – « اشترك المسلمون بمن فيهم علي » تعبير غاية في الركاكة ، ولو سلك السهولة فقال ( اشترك المسلمون وفيهم علي ) لنجا .

ص ٧٤ – « ذاكرش ناتيء ». الكرش تؤنثها العرب – أنظر « مختار الصحاح » أصغر معجم صحيح .

ص ٨٨ – « اليمانيون » خطأ ، صوابه إما ( اليمنيون ) وإما ( اليمانون ) .

ص ١٣ – بنو أنما » صوابها ( بنوا أنماً ) .

ص ١٣ – المؤلف لم يعز إلى مجموعة صور ، حتى يكتب تحت الآية : صورة البقرة .
إنما عزا إلى السورة الثانية في القرآن الكريم : سورة البقرة .
... وهكـــذا .

يعرفه على صحته في مصادره الأصيلة السليمة ، والمجتمع العربي معافىً في الجملة من هذه الإحن الصليبية ومن ذلك التشويه والتشنيع ؟

سؤال أجيب أنا عليه بـ « لا » ويجيب المؤلف الفاضل بـ « نعم » ، ولعل في علمه عن بعض هذه البؤر والبيئات ما ليس في علمي.

لقد أراد خيراً على كل حال – والله يجزي كلاً على نيته أخطأ أو أصاب – وفوق كل ذي علم عليمٌ .

## المؤتمر الجغرافي بعد المؤتمر التاريخي

كانت كلية الآداب في بنغازي قد دعت إلى مؤتمر تاريخي حول ( ليبية في التاريخ ) فانعقد في ( ١٦ ــ ٢٣/ ٣/١٩٦٨ م ) وكانت حصيلة بحوثه مجلداً كبيراً في سبعمائة صفحة من القطع الكبير نصفها بالعربية ونصفها الثـــاني بالانكليزية .

وفي هذا العام دعت كلية الآداب في بنغازي إلى مؤتمر جغرافي في مبناها الجديد بين ١٥ و٢٥/ ٣/ ١٩٧٥ م هدفه شمول الأرض الليبية كلها بدراسات حقلية في جميع التخصصات الجغرافية ، وستصدر جامعة بنغازي هذه الدراسات في مجلد ضخم ييسر تداولها في أيدي العلماء والمعنيين بهذه البحوث .

وقد لبى الدعوة نفر من الجغرافيين المتخصصين من البلاد العربية ومن انكلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا والولايات المتحدة الأميركية وغيرها .

وترجو المجلة لهذا المؤتمر التوفيق والنجاح وألا تمضي شهور حتى تكون ثمراته في متناول الكليات ومعاهد البحث والعلماء والطلاب كما كان لسلفه المؤتمر التاريخي .

# مطبوعات كلية الآداب

أصدرت كلية الآداب في جامعة بنغازي في مطبوعاتها لعام ١٣٩٤ هـ ( ١٩٧٤ م ) الكتب الآتية :

١ ـ تاريخ الرومان ( الجزء الثاني ) للدكتور إبراهيم نصحي في ( ٨٣٦ ) صفحة .

٢ ـ الفلسفة الحديثة ( عرض نقدي ) للدكتور كريم متى في ( ٢٩٥ ) صفحة .

٣ ـ رسائل فلسفية ( للكندي والفارابي وابن باجه وابن عدي ) تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي في ( ٣٠٤ ) صفحة .

٤ ـ حجة القراءات للإمام أبي زرعة حققه وقدم له مدخلاً في فن القراءات وتاريخه الأستاذ سعيد الأفغاني ، في ( ٨١٤ ) صفحة .

٥ ـ وثائق تاريخ ليبية الحديث .

Thus, the distribution of the land and population was totally unfair and utterly unacceptable to the Arabs. That this should have been so, is not surprising since the proposed boundaries would have been entirely superimposed which carry with them usually a high potential for conflict. Even if the Arab Governments decide to sign a peace treaty with Israel, this conflict will not cease because the basic rights of the Palestinians are still being ignored.

Partition impractical — in addition to an international region around Jerusalem. In terms of the physical set up of these two states, the Jewish state was more favored in having most of its territory (excluding the Negev) made up of good-rich lowland (the Coastal Plain, Esdraelon valley, and the Huleh — Galilee Lowland), whereas the Arab State was assigned the Central Highlands (Upper Galilee, Samara and Judeau, or Jerusalem-Hebron Highlands) in addition to a narrow coastal strip around Gaza — which is basically dry and sandy. Accordingly, the Jewish territory was composed of the « first quality » land (excluding the Negev), whereas the Arab State was made up of « medium and poor » land (land classification had been done by the Government of Palestine). This meant that the Arab State would have been crippled economically because it lacked a good agricultural base at the outset.

The Partition Plan ignored also the ethnic distribution of population. The Jewish state was assigned 905,000 people, of whom 407,000 people Arabs — in addition to the Bedouins of the Negev who were estimated to be about 120,000 persons. In other words, the Jewish state would have had an Arab majority at the outset. Moreover, the Jewish population in Palestine was about 10% of the total population of Palestine in 1920, but due to legal and illegal immigration their number had risen to about 500,000 persons — which was equivalent to about 40% of the total population of Palestine in 1947; and so the UN Partition Plan had ignored the political rights of the Arab Majority by partitioning their lands without their consent. The regional distribution of the population showed also that in 1947 the Jews had majority in one administrative district only — that was Jaffa district (which included Tel Aviv, the main Jewish urban center). In all the other 15 districts, the Arabs held the majority, yet many of them were assigned to the Jewish State.

Similarly, the UN Partition Plan had been unfair in distributing land holdings. In 1920, the Jews held about 3% of the total area of Palestine. After 27 years of hard work to get a foothold in Palestine, the Zionist organizations were able to hold less than 6% of the total area of Palestine. However, the Partition Plan set for the Jewish State 56.5% of the total area of Palestine (i.e. over 50% more than they owned). In no district did the Jews own the majority of its land, yet many districts were attached to the Jewish State.

## « SUPERIMPOSITION OF INTERNATIONAL BOUNDARIES AND THE ARAB-ISRAELI CONFLICT »

(Dr. FAWZI ASADI, Dept. of Geography).

At the time we hear of the « Peace Conference » for solving the Arab-Israeli conflict through the good offices of the two super-powers, and in accordance with the Security Councils' resolutions, we keep hearing of more armed clashes and bloodshed on the Golan Heights and in other Israeli — occupied territories. These clashes indicate that both contended parties are still clinging to their essential demands and may never give them up.

However, since the two super-powers have pledged to solve this conflict, we might face a new superimposition of boundaries, as we saw in the 1947 Partition Plan of Palestine, which may lend to a new form of lengthy conflict.

The term « superimposition of boundaries » means that « those boundaries had been established after the territory to be divided had been settled and developed but they ignore completely the cultural and ethnic characteristics of the area divided ».

The purpose of this paper is to show to what extent the Partition of Palestine had ignored the cultural and ethnic characteristics of Palestine, and to relate these characteristics to the rejection of this Partition Plan by the Palestinians — in the hope that such tragedy will no recur in another Arab region. The UN Partition Plan had proposed partitioning Palestine into two states : one for the Arabs and the other for the Jews — but each state was composed of three separate sections — making the

# SUPERIMPOSITION OF INTERNATIONAL BOUNDARIES AND THE ARAB-ISRAELI CONFLICT - (SUMMARY)

By

Dr. FAwzi Asadi

**Department of Geography**

tality of the Poet's age. This is why the 'Contra Symmachum' should be regarded as an important document. Until recently this poem has been regarded as a difficult text to tackle. It is available in the Patrologia Latina, which is a reproduction of the edition of Arevalo (1788), in the 'Corpus de Vienne' (Bergman), (1926), and in the edition of 'Les Belles Lettres' (1948).

worth nothing if it is compared with the eternal grace and everlasting blessings with which God has favoured the city of Rome. (40) Almighty God has created the world and its beautiful aspects for mankind, but man should enjoy these worldly creations in a spirit of moderation.

Nor should mankind be illusioned by these worldly enjoyments as ultimate happiness in themselves. (41) Life, as the Poet makes it clear, is intended originally to be a temptation, and it is man's committment to learn how to resist these temptations of molesty, of ambition and of cupidity. (42) Prudentius' argument proceeds so on and so far.

It is evident that the arguments in Book II are not unlike to those polemics which St. Ambrose had already used.

Contrary to what might be thought, the value of the 'Contra Symmachum' does not lie in its originality but rather in its reflection of the standard Apology of the age. It casts more light on the arguments adopted by early Christian writers during the heated strife between Christianity and Paganism. The same arguments are extant from an earlier date; in the 'Apology'of Tertullian (c. 197), in the 'Octavius' of Minucius Felix, in the writings of St. Cyprian (c. 250), in the epistles of St. Ambrose and in the works of Lactantius (c. 300). The 'Contra Symmachum' has another merit in the fact that it illustrates the indefatigable zeal of patriotism which Symmachus defended with all might. His love to Rome is very impressive, though he was a Spaniard by birth. Lastly, it provides the historian with a vivid picture of the men-

---

(40) vs. 104-131.

(41) vs. 132-140.

(42) vs. 141-160 :

> Atque aevum statui, sub quo generosa probarem
> Pectora, ne tropens et non exercita virtus
> Robur enervatum gereret sine laude palestrae.
> Inlecebrosus enim sapor est et pestifer horum,
> Quae, dum praetereunt, miro oblectamine mentes
> Implicitas unictasque tenent. Vincenda voluptas,
> Elaqueanda animi constantia, ne retinaclis
> Mollibus ac lentis nexa et captiua prematur. .

The Poet firmly believes that Theodosius the Great had extended remarkable services to Rome, which excell those services worked by patriots like Marius and Ciceron. (37).

Then Prudentius proceeds to pay great credit to the eloquence of his adversary Symmachus, yet he is deeply regretful that such eloquence should have been exploited for a bad purpose (38).

In his Preface to Book II, Prudentius reproduces an extract from the Gospel based on the story of St. Peter and his brothers on their drifting boat. When the storm broke out the disciples were panic-stricken, but all of a sudden Christ appeared before them walking on the surface of the waves. Christ invited Peter to advance towards him. Peter obeyed, but being hesitant, he was in danger. Christ held him by the hand and led him into safety. Similarly, when Prudentius undertook to challenge Symmachus, he had to run a great risk. But Christ supported him in this critical enterprise. This enterprise of Prudentius was the refutation of the arguments provided by Symmachus in his eloquent «Relatio».

Symmachus claims that the Altar of Victory had given the Romans all their triumphs and glories. Prudentius, however, argues that this was not so; for it was the audacity of the Roman soldiers alone which made these victories possible. (39).

As for the legacy of the old fathers, says Prudentius, it is

---

(37) vs. 524-543 :

Lurea victoris Marii minus utilis urbi,
Cum traheret Numidam populo plaudente Iugurtham,
Nec tantum Arpinas consul tibi, Roma, medellae,
Contulit extincto iueta inter vincla Cethego,..
Imperium sine fine docet, ne Romuls virtus
Iam sit anus, norit ne gloria parta senectam.

(38) vs. 632-642 :

O linguam miro verborum fonte fluentem,
Romani decus eloquii, cui cedat et ipse
Tullius, has fundit dives facundia gemmas.
Os dignum, aeterno tinctum quod fulgeat auro,
Si mallet laudare Deum, cui sordida monstra
Praetulit et liquidam termeravit crimine vocem.

(39) vs. 17-38.

«In what terms could I talk of Antinous who had also been deified. This minion of the divinely prince, this young man who had been prostituted and deprived of his virility in the bosoms of Emperor Hadrian; this Ganymede of a god. Antinous does not serve the cups of wine to the gods, but rather lays in bed with his Jupiter, drinking the sacred wine of Ambrosian nectar, while, inside the temple, this Antinous, accompanied by his husband, receives the prayers of the Roman congregation.» (34)

Nor was that all, adds the author, for the Romans worshipped the natural forces, such as the ocean (Neptune), the fire (Vulcanus), the son (Apollo). They even worshipped the devils of Hell such as Prosperpina and Pluton. (35).

Prudentius regards Theodosius the Great as the instrument of God; because he had forced Rome to abandon all these idolatrous cults, which are unbecoming of the Mistress of the whole world. Then follows a laudatory part dedicated to the memory of Constantine the Great; who had triumphed for the cause of the Faith after his victory over Maxentius. (36)

---

Caesareum Iovis ad speciem statuentia templum.
Adiecere sacrum, fieret quo Livia Iuno,
Non minus infamis thalami sortita cubile
Quam cum fraterno calvit Saturnia lecto..

(34) vs. 271-275:

Quid loquar, Antinoum caelesti in sede locatum,
Illum delicias nunc divi principis, illum
Purpuero in germio spoliatum sorte virili,
Hadrianique dei Ganymedem, non cyathos dis
Porgere, sed medio recubantem cum Iove fulcro
Nectaris ambrosii sacrum potare Lyaeum,
Cumque suo in templis vota exaudire marito?

(35) vs. 354-398:

Hoc tamen ut cumque est tolerabile, quid, quod et ipsae
Dant tibi, Roma, does inferni gurgitis umbrae?
Eumenidum domina, Stygio caput exerit antro,
Rapta ad tartarei thalamum Proserpina regis;..

(36) vs. 461-505 :

Hos signo invictus transmissis Alpibus ultor
Servitium solvit miserabile Constantius,
Cum te pestifera permeret Maxentius aula...

tors of Rome, Mars (Gradivus) and Venus (Cythereum), says the author, were simple and mortal debauchés, whom naïve peoples had transformed into gods (29).

Mars and Venus gave birth to the cult of Minerva and Juno; the mother of an endless line of mortal heroes and deities. (30). These superstitious beliefs of the ancient Romans, which their children had to suck with their first milk, had been transmitted from one generation to the other, and they had been personified by statues, family rituals and public feasts (31).

Then Augustus and his spouse Livia (32) were deified and worshipped. Even Antinous, the minion of Hadrian, was also deified (33):

---

indocilis fatui ducebat ineptia vulgi,
Ut transire suis cum sordibus induperator
Posset in aeternum coeli super ardue regnum..
Tum quia, quae vivis veneratio regibus ante
Contigerat, functis eadem iam munere lucis
Cessit et ad nigras altaria transulit urnas,
Inde puellarum laudibria, pignera, partus,
Et furtiuus amor iuvenum et deprensa iugalis
Corruptela tori, quoniam regalibus aula
Fervere tunc vitiis solita est, nec podita luxu
Divorum sulodes sancti meminisse pudoris.

(29) vs. 164-179.

Atque ut, Roma, tuos caelesti ex sede parentes,
Quis te semideam iactant auctoribus ortam,
Praestringam breviter, Gradivum vel Cythaream..
Crediderim generosae aliquem stirpis, sed eundem
Moribus infamem, conspressa virgine per vim
Se dixisse deum, ne stuprum numinis ullus
Obicere auderet turpi miseraeque puellae.

(30) vs. 180-192.

(31) vs. 193-244.

(32) Augustus divorced twice and then married Livia Drusilla, whom he had taken by force from her husband Tiberius Neron. She was pregnant when Augustus married her..

(33) vs. 245-270:

Hunc morem veterum docili iam aetate secuta,
Posteritas mense atque adytis et flamine et aris
Augustum coluit, vitulo placavit et agno,
Strata ad pulvinar iacuit, responsa poposcit.
Testantur tituli, produnt consulta senatus

The Preface to Book I gives an account based on the Acts of the Apostles (28, 1-5): St. Paul and his companions, on their itinerary, kindled a fire to warm themselves up. Suddenly, a serpent, which had been lurking in the branches collected for the fire, stings St. Paul at his finger. He is not much bothered, and while invoking the name of Christ, he rejected the reptile away, and it dashed right into the burning fire. In the same manner, the Church, having outlived the Tempest of Persecutions, was now embarking on the shores of peace. Yet, a venomous serpent suddenly breaks outrcying with poisonous eloquence: i.e. the «Relatio Symmachi». Most fortunately the harm inflicted by this «poison» is not great: for God's mercy does not allow sacrilege to jeopardise the Faith. (21)

Book I is devoted to launching a severe attack on pagan deities; wherein Prudentius ridicules Saturn (22), Jupiter (23) Mercury (24), Priape (25), Hercules (26), and Bacchus (27). These so-called gods are no more than ordinary kings, whom simple folks had enthroned as divinities in the Capitol (28). The ances-

---

(21) Contra Symmachum, Praefatio, vs. 20-51 :

Paulus dum fragiles cogere surculos
Et densere faci congerium studet,
Incautam cumulis inservit manum,
Tropebat glacie pigra ubi vipera....
Hydrum praecipitem dum rotat inpetus,
Arsurum mediis intulit ignibus....
Sic nunc post hiemem vimque trucis freti,
Quo iactata ratis tunc Sapientiae est,
cum sub sacricolis territa regibus
Vix panso poterat currere carbaso,
Adflictos que suos turbine saeculi
Vactaret rabidis fluctibus innatans,
Morsum vulnificum lex pia pertulit.

(22) vs. 42-58.
(23) vs. 59-83.
(24) vs. 84-101.
(25) vs. 102-115.
(26) vs. 116-121.
(27) vs. 122-144.
(28) vs. 145-163:

Tantum posse omnes illo sub tempore reges

In 393 A.D. Theodosius the Great — became the sole ruler both of the Eastern and the Western parts of the Empire. In his reign the pagans lost hope; for he issued an Edict implying the destruction of all pagan relics throughout the Empire.

In 395 A.D. Theodosius divided the Empire between his two sons: Arcadius and Honorius, the first in the East and the second in the West. Honorius was only twelve years old when he came to the throne. His tutor and generalissimo was the German barbarian Stilicho, who was the de facto ruler. Honorius' reingn was marked by pagan tendencies. These tendencies were accelerated by the death, in 397, of St. Ambrose, the indefatigable champion of Catholicism. There is, indeed, substantial evidence of these pagan tendencies in the fact that the Imperial Court nominated a pagan called Claudianus as official Poet Laureate of the Palace. In 399, Honorius forbade the demolition of pagan temples and the suppression of ancient ceremonies. It is also probable that the Altar of Victory was re-established in the Curia of the Senate. This hypothesis is justified by some verses in a poem composed by Claudianus praising Stilicho. These verses run as follows:

Quae vero procerum voces, quam certa fuere
Guadia, cum totis exsurgens ardua pennis
Ipsa duci sacras Victoria panderet aedes.
Adsis perpetuum, Latio, vastique senatus
Annue, diwa, tui.. (19).

The Alrar of Victory is further mentioned by Claudianus as «ornamenting the august Sanctuary where the Senators assemble:»

Adfuit ipsa suis ales Victoria templis,
Romanae tutela tagae, quae divite pompa
Patricii reverenda fovet sacraria coetus. (20)

These new circumstances stimulated our Poet, Prudentius, to compose his poem entitled «Contra Symmachum». The poem lies in two Books, preceded by an allegoric introductory.

---

(19) Dé laudibus Stiliconis, iii, 213.
(20) Sixth Consulate of Honorius, 597 ff.

the Empire, St. Ambrose retaliates that such famines and epidimics are frequent phenomena in world history. Hence they should not be attributed to superstitious powers. (17)

It would seem that Valentinian II had declined Symmachus' petitions even before he received the second letter of St. Ambrose. In 389 A.D. a group of pagan Senators attempted once more to gain some concessions, when the Emperor of the East, Theodosius, came on a visit to the Emperor of the West at Milan. But St. Ambrose was still there, and Theodosius' attitude to paganism was very disencouraging.

In 392 A.D. Valentinian II died. It is said that he committed suicide, but there is great probability that he was assassinated by the chief of the Praetorean Guard, a Frank called Argobast. Argobast elevated Eugenius the rhetorician to the throne of the Western Empire. The pagan senators were heartened by these changes, and once more decided to plead their case to an Emperor who was known for his sympathy to profane antiquity. Yet Eugenius would not dare to take measures that might alienate his Catholic subjects. He, therefore, donated a monetary gift of his own fortune to the pagans so as to help them practise their own cults. But. St. Ambrose was offened by Eugenius' attitude and he flatly condemned it as sacrilegious.(18)

---

(17) Ambrosii Epistola xviii: «Tria igitur in relatione sua vir clarissimus praefectus urbis proposuit, quae valida putavit: quod Roma veteres, ut ait, suos cultus requirat, et quod sacerdotibus suis virginibusque Vestalibus emolumenta triluenda sint, et quod, emolumentis sacerdotum negatis, fames secutu publica sit. In prima propositione, .. Nam de Senonibus quid loquar, quos Capitolii secreta prnetrantes Romanae rliquiae non tulissent, nisi eos pavido anser straptiu prodidisset En quales templa Romana praesules habent. Ubi tunc erat Jupiter? An in ansere loquebatur? ....En quod factum, quae triste piaret nefas, fames, ut aiunt, publica vindicavit; quia usui omnium proficere coepit, quod proficiebat commodis sacerdotum.... Et certe ante plurimos annos templorum iura toto orbe sublata sunt: modone demum diis gentilium venit in mentem suas iniurias ultum ire? Propterea nec assueto cursu Nilus intumuit, ut Urbicorum sacerdotum dispendia vindicaret, qui non vindicavit suorum? »

The Letters of St. Ambrose are available in the Patrologia Latina, vol. xvi, cols. 1001-1006.

(18) Cf. Epistola 57.

to suffer such afflictions in my old age ?» (15)

In actual fact, Valentinian and his counsellors gave good hearing to Symmachus' impressive speech; not without admiration.

But St. Ambrose was on his guard, both vigilant and militant. When he first learnt of the nature of Symmachus' mission, he drafted his first letter to Valentinian II warning him against the intrigues of the pagans in the following words:

«If, today, a pagan emperor (may God forbid it) erected an altar of idols, and if he forced the Christians to partake of its sacrifices, would not they then have to watch and breathe the ashes thereof, suffer the smell of sacrilege and the smoke of its fire?.... Would not that act be regarded by Christians as a sign of persecution?» (16.

Afterwards, when St. Ambrose realized that Symmachus had been given favourable reception by the Imperial court, he addressed a second letter to Valentinian II, in which he refuted the three arguments extended by Symmachus : If Rome is now reclaiming her old deities on the grounds that it was these deities who had enabled the City to extend her power over the whole world, it should be argued that these deities did not combat for Rome, but it was Rome's valiant warriors who did the task well and fine.

The pagans demand privileged treatment and fiscal immunities, but, says St. Ambrose, the Christian clergy do not enjoy such privileges. As for the argument that it was the wrath of the old deities that had caused famines and plagues in the provinces of

---

(15) Ibid. : «Optimi principum, patres patriae, reveremini annos meos, in quos me pius ritus adduxit; utar caerimoniis avitis, neque enim paenitet. Vivam meo more, quia libera sum; Hic cultus in leges meos orbem redegit, haec sacra Hannibalem a moenibus, a Capitolio Senonas repelleurnt. Ad hoc ergo servata sum, ut longavea reprehendar?»

(16) 'Ambrosii Epistola XVII : «Si hodie gentilis aliquis imperator, quod absit, aram statueret simulacris, et eo convenire cogeret christianos, ut sacrificantibus interessent, ut oppleret anhelitus et ora fidelium cinis ex ara, favilla de sacrilegio, fumus ex buste, et in ea curia sententiam, cogerentur, persecutionem esse crederet christianus, qui cogeretur tali optione ad senatum venire.»

encouraged the pagan senators to renew their attempt. The attempt succeeded, and Symmachus was given audience with the young Emperor (384). There Symmachus read an eloquent report (relatio) to a listening prince and his ministers. In his argument, Symmachus pointed out that the pagan senators were doing their utmost in order to support Valentinian II's reign: they protect the legacy of the wise ancestors, and defend the rights and destinies of their countrymen. Accordingly, it was unfair that the ruler should suppress the customs of the forefathers. (13).

Symmachus goes on to say: «We reclaim a religious statue which, for a long time, had been of great advantage to the Republic. Assuredly one could enumerate many emperors belonging to this sect or the other, each defending his own doctrines, but none of these emperors went so far as to suppress those of his subjects who adhere to the customs of the old days.» Then he puts forward an ironic interrogation in the following remark: «Or, is not he who regrets not the fall of the Altar of Victory a friend of the Barbarians?» (14) Further on, Symmachus personifies Rome pleading her cause to the young Emperor in the following terms: «Noble emperors, patrons of the country, have respect to my old age, these sacred rites of mine had made it possible for the Romans to achieve all past glories. Allow me, then, to practice my old beloved ceremonies, for nowhere else have I now to retreat to and deplore my days to come. Let me live in my disguise; for I was born free. It is this old religion of mine that had subjected the whole universe to my laws; my sacrifices had repulsed Hannibal off my walls, and my deities had expelled the Senons from the Capitol. Oh for me; was I only saved in the past in order

---

(13) Symmachi Relatio, 1, 'cui enim magis commodat, quod instituta maiorum, quod patriae iura et fata defendimus, quam temporum gloriae? Quae tunc maior est, cum vobis contra morem parentum intellegistis nil licere.'
The full text of the 'Relatio' is in Seek, Monumenta Germaniae Historica, Auctores antiquissimi, vol. vi, 1 p. 289 seq.

(14) Ibid. : «Repetimus igitur religionum statum qui reip diu profuit.... Quis ita familiaris est barbaris, ut aram Victoriae non requirat?»

posed to burn some grains of incense on his first entry to the House on this altar. G. Boissier gives a vivid illustration of this tradition in the following terms:

> 'La déesse semblait présider aux délibérations du Sénat; c'est vers elle qu'on tendit les mains, lorsqu'à l'avénement d'un nouveau prince on jurait de lui être fidèle, et, tous les ans, le 3 du mois de Janvier, quand on faisait des vœux solennels pour le salut de l'Empereur et la prospérité de l'empire. Ces cérémonies s'étaient accomplis sans interruption depuis Auguste jusqu'au triomphe du Christianisme.' (12).

In 357 A.D., when the Emperor Constans came on a visit to Rome for the first time in his life, he had the Altar of Victory removed from the Curia of the Senate. But the altar was soon restored to its original place in the House, presumably by Julian the Apostate (361-363). Valentinian I (364-378), who was a tolerant ruler, let the relic stand thereat in the house of the pagan senators. But in 382, his son and successor Gratian started a violent struggle against paganism. Thus the Altar was once more removed. Gratian, moreover, confiscated the property of the pagan temple, together with those of the Sacerdotal Colleges, and, to the pagans' great dismay and horror, he imposed on their clergy payable taxes as was the case with unprivileged classes. The pagan senators were shocked by these measures. So they commissioned a delegation to the Imperial Court at Milan to plead their case. The delegation was headed by Symmachus, who was one of the illustrious orators of his age. Meanwhile, Pope Damascus wrote to St. Ambrose, Bishop of Milan, exhorting him to caution the Emperor against Symmachus'mission. In fact St. Ambrose was so influential at the Imperial Court that Gratian refused to receive the pagan delegates. In the following year (383), Gratian was assassinated at Lyons, during his struggle with a rebel called Maxentius. However, Theodosius, the Emperor of Constantinople, succeeded in curbing the rebellion of Maxentius, and in restoring the Western part of the empire to Gratian's younger brother, Valentinian II. Valentinian was only twelve years old, and this fact

---

(12) G. Boissier, op. cit., p. 261.

Sidonius Apollinarius (1), by Gennadius (c. 480) in his 'De viris illustribus', by St. Avitius (c. 500) (2), by Gregory of Tours (6 c.) (3) Fortunatus (6 c.) (4), by Isidore of Seville (d. 636), (5), by Bede (7 c.) (6). The scholars of the Carolingian Renaissance held Prudentius in great esteem; so did Theodulphus, (7), Alcuin, (8) 'St Agobard who describes him as 'vir doctus' (9), and Dungalus who quotes him in various places in his 'Liber adversus Claudium Taurinensem'. (10) So was the case with many scholars of the ninth century and of later periods of the Middle Ages.

In this paper I am particularly concerned with Prudentius' Contra Symmachum, as a document of historical value. It represents the last episode in the controversial story of the 'Altar of Victory.'

After his victory at Actium, Octavianus Augustus set up the Statue of Victory in the Curia of the Senate. This Statue had been carried by the Romans after their conquest of Tarentum. (11) At the feet of this Statue there was an altar. Each Senator was sup-

---

(1) Letter no. ii, 9 (c. 472) : 'similis scientiae viri hinc Augustinus, hinc Varo, hinc Horaius, hinc Prudentius lectitabantur.'

(2) De laude Castitatis, vs. 375 seq. : 'Has virtuis opes, haec sic solatia belli Describens, mentis varris cum corpore pugnas Prudentiue ore.

(3) Miraculorum liber 1, De gloria martyrum 41.

(4) De vita S. Martini, 19, P.L. vol. 88, col. 365: 'Martyribusque piis sacra haec donaria mittens, Prudens prudenter Prudentius immolat actus'.

(5) P. L. vol. 83, col. 1110, carmen 9 :
'Si Maro, si Flaccus, si Naso et Persius horret,
Lucamus si te Papiniusque tedet,
Par erat eximio dulcis Prudentius ore,
Carminibus variis nobilis ille satis.''

(6) De Arte Metrica, ch. 14, P.L. vol. 20, col. 168.

(7) 'Diverosque potens prudenter promere plura, Mètro, o Prudenti, noster et ipse parens.'

(8) De SS. eccl. Eborac., P.L., vol. 101, col. 843.

(9) Contra libros iv Ambarii abbatis, ch. 2, P.L., vol. 104, col. 340.

(10) Dungallus Reclusus, P.L., vol. 105, col. 484.

(11) Cf. Dion Cassius, 51, 22, 1-2. For further readings see, A. Puech, Prudence, Paris, 1881; G. Boissier, La fin du paganisme, Paris 1891; P. De Lambriolle, Saint Ambroise, Paris, 1906; L. Malunowicz, De are Victoriae in curia Romana quomodo certarum sit, Wilno, 1937. .

his mental faculties, Prudentius suffered deep affliction. He had given too much of his life to this world, from which he was about to part, while he had not devoted so far any part of this long life to God, before Whom he was to appear and account for his deeds on the Day of Judgement to come. He therefore resolved to devote the rest of his life to praising the glories of God. Presumably he retired from public life and joined a religious community. This presumption is substantiated by one of his hymns entitled 'Cathemerinon.' No evidence of the place or date of his death is available.

The works of Prudentius are colossal; they amount to 10,000 verses, and fall into two categories: First comes his Lyrical poems which include the 'Cathemerinon' and the 'Peristephanon'. The first of these two poems is a series of hymns composed by the poet to be chanted at the diverse hours of the day and also at certain religious festivities. The second is dedicated to the memory of a number of martyrs.

The second catogery is of didactic nature, embracing the 'Apotheosis' on the nature of God, the 'Hamartigenia' which is a polemic against the Dualistic doctrine of Marcion the Gnostic the 'Psychomachia' in the form of an allegoric epic preaching virtue which is personified by warriors fighting a war of right and might in a manner not unsimilar to that of Virgil's heroes. Then follows the 'Contra Symmachum' in two Books. This is a retaliation to the 'Relatio Symmachi', an eloquent argument whereby Symmachus had demanded from the Emperor Valentinian II the restoration of the Altar of Victory into the Curia of the Senate. Finally we have a number of illustrative verses based on Biblical scenes, entitled 'Ditto chaeon'. With the exception of the Preface and the 'Contra Symmachum', all the poems of Prudentius bear Greek titles.

It is rather peculiar that none of the prominent contemporaries of Prudentius had made mention of him: neither St. Jerome nor St. Augustine did. But starting from the second half of the fifth century, his name is pointed out as a renowned poet by

## AURELIUS PRUDENTIUS CLEMENS AND HIS CONTRA SYMMACHUM

**Biography:** The sole information we have of Prudentius' life is derived from his works; precisely from his 45 verses constituting the preface to the 'Contra Symmachum.' Unfortunately, the Poet's statements in this particularity are vague and inconclusive. Here one has to resort to conjecture.

He was born in 348 A.D., in Spain, most likely at Saragossa, or Clahorra, or Tarragena; for he refers to these three cities with the word 'nostra'. He must have been born to a Christian family; nowhere does he make mention of being a convert. His parents were obviously well-to-do people; since they had given him good education, which was available at that time only to the privileged classes. First he joined the Grammar school, then he passed on to the school of Rhetorics. After graduating, approximately at the age of seventeen, he gave himself fully to sensuality and unbridled amusements. When he had had enough of that sort of life, he harboured on a new career of life, and became a lawyer. His conscientiousness in this field and his enthusiasm at the tribunals led him, inevitably, into trouble. So he left the Bar and took an office of administrative nature. At this point he speaks of having been 'in charge of illustrious cities, of enforcing the law, of rendering justice unto the wronged, and of having frightened culprits to death'. Prudentius' honesty was ultimately rewarded; for he was nominated to a high office at the Imperial court.

At the age of 57, seeing the clouds of old age descending on

# AURELIUS PRUDENTIUS CLEMENS

# CONTRA SYMMACHUM

By

**Dr. I. T. EBEID**

Department of History

UNIVERSITY OF BENGHAZI

Hyman, Herbert H.

1953 «The Value System» of different Social Classes: A Social Psychological Contribution to the Analysis of Stratification». PPè 426-442 in Reinhard Bendix and Seymour Martin Lipset (ed.) Class, Status and Power. Glen-coe, Ill. : The Free Press.

Lander, Bernard.

1937 «Juvenil Delinquency in New York City». Journal of Psychology 3 (January): 1-25.

Merton, Robert K.

1957 Social Theory and Social Structure. Glencoe, Ill: The Free Press.

Miller, Walter B.

1958 «Lower Class Culture as a Creating Milieu of Gang Delinquency». Journal of Social Issues 14: 5-19.

Moses, Earl R.

1947 «Differentials in Crime Rates Between Negros and Whites in comparisons of Four Socio-Economically Equated Areas». American Sociological Review 12 (August): 411-420.

Nye, Ivan F., James F. Short, Jr., and Virgil J. Olson.

1968 «Socio-Economic Status and Delinquent Behaviour». The American Journal of Sociology 63 (January) : 381-389.

Reckless, Walter C.

1933 Vice in Chicago. Chicago: University of Chicago Press.

Shaw Cliffard R. and Henry D. McKay. ,

1942 Juvenile Delinquency and Urban Areas. Chicago: University of Chicago Press.

Sutherland, Edwin H. and Donald R. Cressey.

1966 Principles of Criminology. 7th ed. New York: Lippincott.

Wiers, Paul.

1944 Economic Factors in Michigan Delinquency. New York: Columbia University Press.

Wilder, David E. el.

1968 Actual and Perceived Consensus on Educational Goals between school and Communty. New York: Columbia University Press.

Vaz, Edmund W.

1967 Middle-Class Juvenile Delinquency. New York: Harper & Row.

## BIBLIOGRAPHY


Blalock, Hubert M.
1960 Social Statistics. New York: McGraw-Hill Book Company, Inc.

Bowers, William J.
1964 Student Dishonesty and its Control in College. New York: Columbia University.

Burgess, Ernest W.
1952 «The Economic Factor in Juvenile Delinquency». Journal of Criminal Law and Criminology and Police Science 43 (May-June) : 29-42.

Clark, John P. and Eugene P. Wenninger
1962 «Socio-Economic Class and Area as correlates of Illegal Behaviour among Juveniles». American Sociological Review 27 (December) 826-839.

Cloward, Richard A.
1959 «Illegitimate Means, Anomie, and Deviant Behavior». American Sociological Review 24 (April) : 164-176.

Cohen, Albert K.
1955 Delinquent Boys : The culture of the Gang. Glencoe Ill:The Free Press.

Dirksen, Clotus.
1948 Economic Factors in Delinquency. Milwaukee: Bruce Publishing Co.

Hurtung, Frank H.
1966 Crime, Law and Society. Detroit: Wayne State University Press.

The percentages in Tables 3 and 5 are almost identical which means that holding social class constant did not affect the original relationship which exists between orientation and cheating.

Using the formula of average partial association*, the relationship between tolerance of cheating and cheating behaviour remained unchanged tau c = .30 in spite of holding social class constant.

**CONCLUSION**

It was hypothesized that students of the lower socio-economic classes would have higher rates of cheating than students of the upper social classes. The hypothesized relationship was derived from two sources. First, a number of theories of deviancy have pointed out that lower social classes have more than their share of crime and delinquency. Since cheating behaviour is one form of deviant behaviour, one may expect that students of the lower social classes would have more than their share of cheating incidents. Second, some social scientists who have studied this particular type of behaviour suggested that students of the lower social classes get involved in cheating behaviour more often than students of higher social classes (Wilder, 1968: 384). However, no significant relationship, directly or indirectly, was observed between social class and cheating in the present study.

It has been stated that almost all of the theories which relate delinquency and crime directly or indirectly to the lower class were based on research done among officially known delinquents or criminals. A great deal of argument has been developed lately showing the limitations of using institutionalized deviants and officials records. It has been argued that data of law enforcement agencies give biased estimates of the true rate of deviant behaviour. And the higher rate of the lower classes is due solely to the fact that formal agencies of social control are more likely to classify individuals of lower classes as deviants. If such argument is true, no strong relationship between deviant behaviour and lower classes should appear from research based on self-reported delinquency or crime. More research like that reported here is needed before an unequivocal conclusion of no relationship between social class and deviant behaviour can be reached.

* The formula of partial tau'c which is identical to that of r was used, see (Blalock, 1960: 329-336).

**TABLE 4**

Cheating Behaviour by
Tolerance of Cheating

| Cheating | Tolerance of Cheating | | |
|---|---|---|---|
| Behaviour | Low | Medium | High |
| High | 11 | 22 | 39 |
| Medium | 37 | 43 | 43 |
| Low | 52 | 35 | 18 |
| Total | 100 | 100 | 100 |
| | (314) | (288) | (350) |

Chi-Square = 108.235 df = 4 $P < .001$
tau c = .30

To test hypothesis number five, two kinds of comparisons were conducted. First, the degree of association between orientation and cheating was compared without controlling for social class with that after partialling out the affect of social class. Second, the degree of association between tolerance of cheating and cheating behaviour was compared with the degree of association between the two variables while holding social class constant. Table 5 shows the relatoinship between orientation and cheating with social class controlled.

**TABLE 5**

Cheating Behaviour by Orientation
After Controlling for Social Class

| Cheating Behaviour | Socially Oriented | Academically Oriented |
|---|---|---|
| High | 29 | 17 |
| Medium | 42 | 39 |
| Low | 29 | 44 |
| Total | 100 | 100 |
| | (554) | (326) |

Chi-Square = 27.71 df = 2 $P < .001$
c = .17

Data in Table 3 show that hypothesis number three has been supported. The chi square of 35.703 with two degrees of freedom is highly significant. The degree of association (C = .17) is moderately high; there is a relationship between emphasizing social activities and engaging in cheating behaviour.

**TABLE 3**

Cheating Behaviour By
Orientation

| | Orientation | |
|---|---|---|
| Cheating Behaviour | Socially Oriented | Academically Oriented |
| High | 29 | 18 |
| Medium | 42 | 39 |
| Low | 29 | 43 |
| Total | 100<br>(607) | 100<br>(356) |

Chi-Square = 25.703 df = 2 $P < .001$
c = .17

The major underlying assumption behind hypothesis number four is that there is a strong relationship between attitude and behaviour. It is implict in the hypothesis that individuals who disapprove of certain types of behaviour would not engage in them. Data in Table 4 show that the hypothesis on the relationship between tolerance of cheating and cheating behaviour is supported. The chi square value of 108.235 with four degrees of freedom is extremely high. The degree of association (tau c = .30) is rather strong, especially when it is compared with other degrees of association between the different variables in this study.

not supported. The chi square value of 10.884 with 8 degrees of freedom is, however, significant at the .1 level. But considering the degree of association between social class and tolerance (tau c. 048), there is little evidence to suggest that social class has an important bearing on student tolerance for cheating.

**TABLE 1**
Tolerance of Cheating
By Social Class

| Degree of Tolerance | Social Class: Five | Four | Three | Two | One |
|---|---|---|---|---|---|
| High | 40 | 36 | 34 | 34 | 28 |
| Medium | 30 | 27 | 35 | 25 | 33 |
| Low | 30 | 37 | 31 | 41 | 39 |
| Total | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 |
| | (139) | (299) | (284) | (95) | (87) |

shi square = 10.884 N.S. tau c = .048

Inspection of Table 2 reveals that hypothesis number two is not supported. Contrary to what was expected, the weak relationship between social class and orientation is opposite from the predicted direction. In other words, the proportion of the academically oriented students is higher among the lower classes than among the upper classes..

**TABLE 2**
Type of Orientation By
Social Class

| Orientation | Social Class: Five | Four | Three | Two | One |
|---|---|---|---|---|---|
| Academically Orieted | 41 | 38 | 39 | 37 | 29 |
| Socially Oriented | 59 | 62 | 61 | 63 | 71 |
| Total | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 |
| | (141) | (306) | (284) | (96) | (87) |

Chi-Square = 3.714 N.S. C = .043

## METHODOLOGY

The data for this study were obtained from a sample of 1012 high school seniors. A questionnaire was given to the entire class in three public high schools located in a large midwestern metropolitan area. The three schools were selected randomly from a list of high schools whose principals agreed to allow their students to participate in the research. Some 443 students filled out the questionnaire during the 1969-1970 school year while the rest of the questionnaires were completed during the 1970-1971 school year.

A seven items scale to measure cheating was constructed. Hollingshead's two factor index of social position was used to determine the student's socio-economic background. To measure tolerance of cheating seven indicators were assembled based on statements in the literature. The respondents were asked to indicate their degree of agreement or disagreement with seven statements. And to measure a student's type of orientation and his commitment to academic work one question was constructed. Students were asked to rank:

Groups and activities (atheletic, social etc.) outside the school.

Groups and activities (athletic, social etc.) related to school studies and academis work.

Studies and academic work.

It was assumed that students who were highly committed to the intellectual aspect of the school would rank «studies and academic work» first.

## RESULTS

To test the major hypotheses the chi square test of significance was selected, and the strength of relationships was estimated by C, the co-efficient of contingency, and by Kendall's tau c. Because of the large size of the sample and the nature of the data, it was decided to accept chi square values which were significant at the .01 level or less.

The results in Table 1 show that hypothesis number one is

failed to internalize the educational values. But is there a relationship between social class and students' failure to internalize the educational values?

According to some social scientists (Hartung, 1964:34), the lower social class does not emphasize school achievement, success, and hard work, which dominate the goals of the middle and upper classes. Bowers (1964: 210) sees even a relationship between lower class and dishonesty:

> The lower classes are reputed to place less emphasis on strict adherence to norms of honesty than the upper class.

Therefore, students of lower classes may not define cheating as deviant behaviour. If this is the case, it can be expected that students of lower classes will have a higher proportion of cheaters than students of other social classes. This is because it is assumed that the individual's attitudes toward a given form of behaviour determine the likelihood of engaging in this behaviour.

On the basis of the above discussion the following hypotheses are suggested:

(1) On the average, lower class students are more tolerant of cheating behaviour than students of upper social classes.

(2) Generally, lower class students, when compared with students of other social classes, are less interested in school and academic work.

(3) Students who are not interested in school and academic work would have a higher rate of cheating than the rest of students.

(4) Students who tolerate cheating behaviour are more likely to engage in cheating, while students who do not tolerate cheating behaviour are not likely to engage in cheating.

(5) Among students who are socially oriented or highly tolerant of cheating those of lower social classes would have a higher rate of cheating than those of upper social classes.

The status frustration hypothesis introduced by Merton and expanded by Cohen, Cloward, Ohlin is based upon the proposition that a structure of goals and means exist in society. Every society has its general goals which are known to the members of the society and desired by all.

Also, it has a system of norms which defines and sets the boundaries of the acceptable means to attain these goals. However, individuals do not have equal access to the normative means. Those who comprise the lowest social stratum have the least opportunity for access to the means. Consequently some individuals, especially the males, become frustrated with the structure of normative means and seek deviant alternatives, assuming that they have access to these alternatives, as a reaction formation.

The second type of theories relating deviancy and lower social class argues that environmental and not membership in the lower class are to be blamed for the high rate of deviancy. This category of theories, which came to be impressively labeled as Cultural Transmission Differential Theories, assumes that deviant behaviour in general and delinquency in particular is learned through association with other deviants. Thus a residential area with a high rate of crime and delinquency would make it more possible for youngester to get an opportunity to learn to become delinquant (Shaw and McKay, 1942; Sutherland and Cressey : chap. 4).

Accordming to this category of theories, individuals of all social classes may become delinquents, but this is only in theory because residential areas which provide a milieu for learning delinquency are, however, described as «Slums» or «disorganized areas». Definitely the majority of middle and upper social classes do not reside in such areas.

Cheating behavior has always been considered by school administrators as a form of deviant behaviour punishable by school rules. Also, it has been argued that one of the main goals of school is to teach students the highest cultural values of their society. Thus honesty is expected to be emphasized throughout the educational experience. Students who cheat have probably

## SOCIAL CLASS AND CLASSROOM CHEATING*

Social scientists have claimed that a system of Social ranking exists in every society. Individuals and groups are ranked from low to high in terms of their social position according to a number of factors such as education, occupation, possessions, interaction, prestige, etc. Studies in the area of stratification have shown that once a system of social classes can be identified, a wide range of identifying characteristics of each social class can also be distinguished — different social classes have different value orientations, patterns of family life, types of behaviour, and distinct life styles.

Social class has been shown to be strongly related to patterns of deviant behaviour. For example, empirical findings tend to indicate that the lowest social stratum has the highest delinquency and crime rates (Burgess, 1952; Dirksen, 1948; Lander, 1937 ; Moses, 1947; Reckless, 1933; Shaw and McKay, 1942; Wiers, 1944). Theories which are based on the assumption that the lower social class has a disproportionate share of deviant behaviour can be placed into one of two categories. The first category assumes that certain elements of the lower class culture encourage and generate delinquency and crime. Miller (1958 : 5-19) for example lists six such elements or characteristics. Thus according to this category of theory, delinquency is a normal way of life in lower social class.

---

* This paper is based on research which the author has conducted in the United States during 1969-1971.

# SOCIAL CLASS AND CLASSROOM CHEATING

By

**Dr. MUSTAFA OMAR ATTIR**
Assistant Professor
Department of Sociology
UNIVERSITY OF BENGHAZI

## TABLE OF CONTENTS

UNIVERSITY OF BENGHAZI

# BULLETIN OF THE FACULTY OF ARTS




VOL. 6

1974

UNIVERSITY OF BENGHAZI

# BULLETIN OF THE FACULTY OF ARTS

Vol. 6

1974